دار الراتب الجامعية

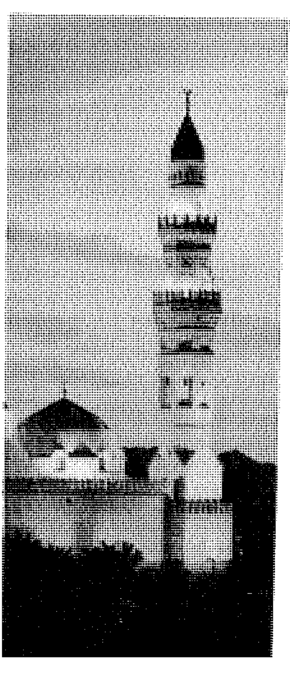
سلاسل سوفنير

الدكتور
حسّان حلّاق
جامعة بيروت العربيّة

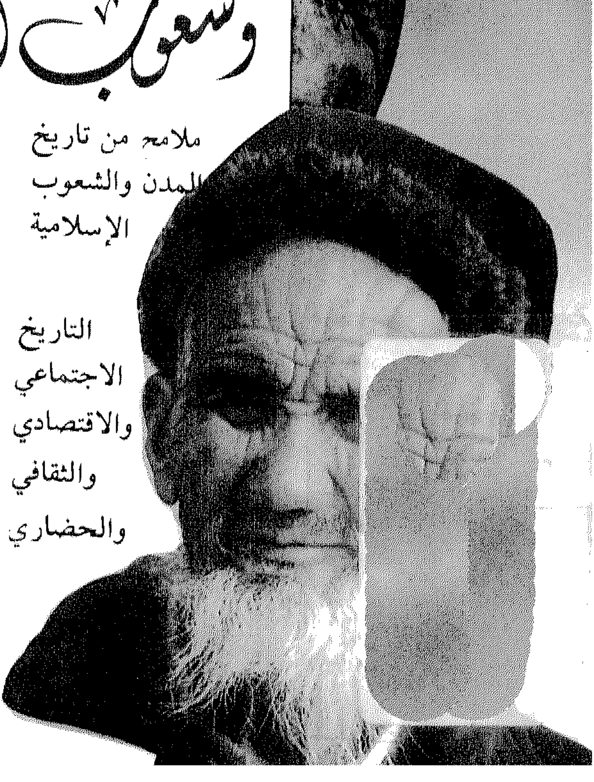


# مُدن وشعوب إسلاميّة

ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية



التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري



# سلاسل سوفنير

شركة منشورات
علي الراتب الجامعية - سوفنير
سجل تجاري ٤٩٤٤٢ بيروت
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

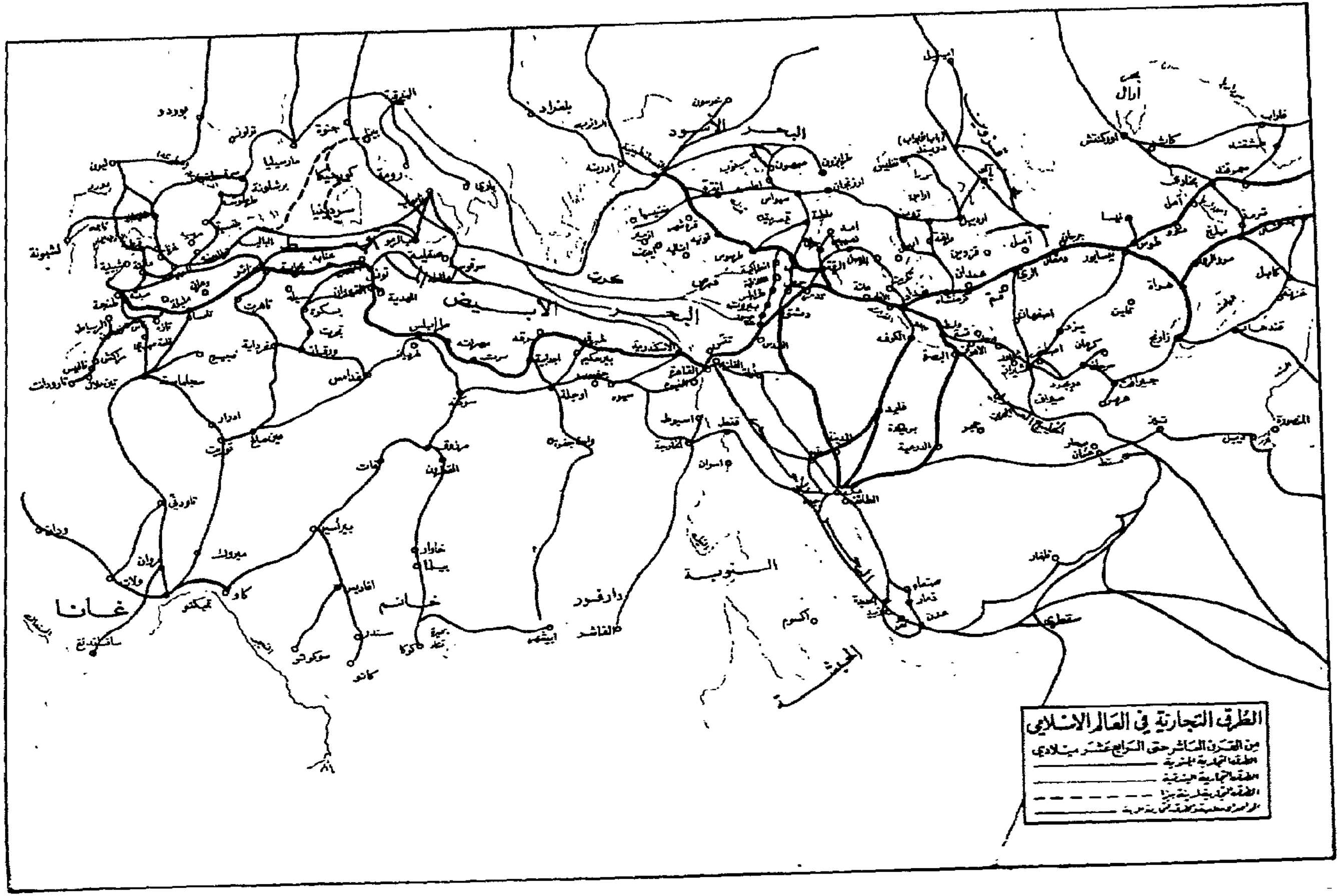
# مُدن وشعوب اسلامية

ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية
ـ التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري ـ

الدكتور حسّان حلاق

1 : الكتاب الأول

دار الراتب الجامعية | سوفنير



الطرق التجارية في العالم الإسلامي
من القرن العاشر حتى الرابع عشر ميلادي
البحر الأبيض
البحر الأسود
غانا
السودان
النوبة
الحبشة
القاهرة
الإسكندرية
الطائف
البصرة
الكوفة
تونس
المهدية
طرابلس
سجلماسة
تاهرت
تلمسان
مراكش
قرطبة
لشبونة
غدامس
أسوان
أسيوط
قوص
عدن
ظفار
هراة
بلخ
نيسابور
الري
همذان
أصفهان
يزد
كرمان
هرمز
سيراف
زرنج
غزنة
كابل
قندهار
المنصورة
الديبل
مكران
تيز
سمرقند
بخارى
مرو
طوس
بلغار
آرال
خوارزم
كاث
أمل
صنعاء
زبيد
تمبكتو
كاو
تادمكة
كانو
مرزق
زويلة
أوجلة
برقة
سرت
صقلية
سردينيا
كورسيكا
رومة
جنوة
مارسيليا
برشلونة
طرابزون
سيواس
قيصرية
ملطية
الموصل
أربيل
تبريز
أردبيل
قزوين
دربند
تفليس

# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

تاريخ المدن والشعوب الإسلامية من الموضوعات الشائكة والمتشعبة نظراً لتعدد وانتشار هذه المدن والشعوب، لا سيما إذا حاول الباحث دراسة الأوضاع التاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والملامح العمرانية لتلك المدن والشعوب.

ويصعب على الباحث في مثل هذه الدراسة أن يجمع في كتاب واحد تاريخ جميع المدن والشعوب الإسلامية التي تتوزع في قارتي أفريقيا وآسيا بما فيه الصين واليابان وبلدان أخرى من الشرق الأقصى، وبعض مناطق أوروبا الشرقية بما فيها الجمهوريات الإسلامية في اتحاد روسيا (الاتحاد السوفيتي السابق)، علماً أن ملايين من المسلمين ينتشرون في أوروبا الغربية وفي الأميركيتين.

لذلك، ونظراً لتشعب الموضوع وكثرة المدن وتعدد الشعوب الإسلامية، فقد اخترنا نماذج منها في دراسات متواضعة مقدمة لدراسة بقية المدن والشعوب الإسلامية في دراسات لاحقة - بإذن الله - خاصة وأن العالم الإسلامي لا يزال مجهولاً بالنسبة للشعوب العربية، كما أن الشعوب الإسلامية مجهولة التاريخ بالنسبة لشعوب إسلامية أخرى. ولهذا فإن كتابة المزيد من الدراسات عن المدن

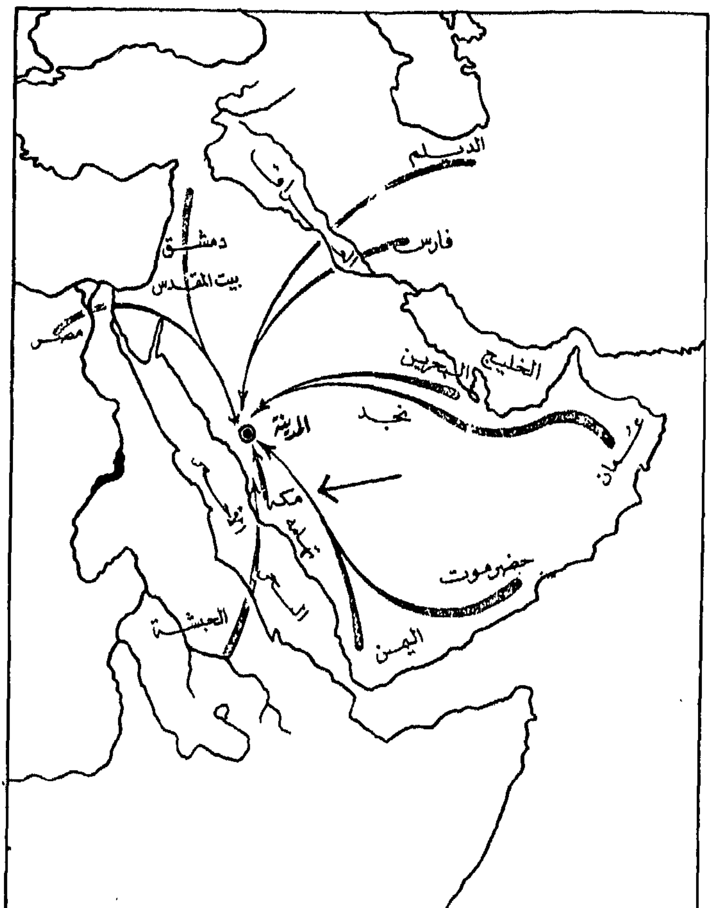
والدول والشعوب الإسلامية وبلغات كافة قضية حيوية وأساسية بالنسبة للعالمين العربي والإسلامي.

وبهذه المناسبة، وبالرغم من اعتمادي على مصادر ومراجع ودوريات عربية وأجنبية عديدة، غير أنني لا بد من توجيه التقدير والشكر الجزيل إلى مجلة «العربي» الكويتية لما قدمته من معلومات أساسية وهامة لإنجاز هذه الدراسة، وإلى مكتبة كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية في بيروت، وإلى أرشيف صحف «اللواء» و «السفير» و «النهار» و «الحياة» و «الجهاد» وسواها، وأتوجه بالشكر إلى كل من قدم معلومات وآراء حول العالم الإسلامي. كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى «مؤسسة الراتب» التي تبنت طباعة ونشر وتوزيع هذه الدراسة، متمنياً أن أكون قد وفقت في تسليط بعض الأضواء على عالمنا الإسلامي.

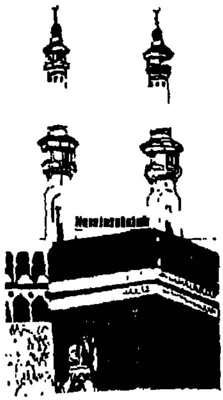
حسان حلاق

بيروت في ٢٠ رمضان ١٤١٢ هـ
الموافق ٢٣ آذار (مارس) ١٩٩٢ م

# مكة المكرمة


الديلم
فارس
دمشق
بيت المقدس
مصر
الخليج
البحرين
نجد
المدينة
عمان
مكة
حضرموت
اليمن
الحبشة

# مكة المكرمة



مكة المكرمة (*)، وهي بلد مقدس عند المسلمين، أطلق عليها إسم بكّة وإسم أم القرى. وهي عاصمة الحجاز وإحدى أهم المدن في المملكة العربية السعودية. وهي مسقط رأس النبي محمد ﷺ. عدد سكانها نحو (٤٠٠) ألف نسمة. وفي موسم الحج يبلغ عدد الحجاج مع السكان أكثر من مليون ونصف مليون نسمة. عريقة في القدم، ولتوسطها جزيرة العرب كانت مركزاً تجارياً وثقافياً هاماً. تقع على بعد ٨٠ كلم شرقي البحر الأحمر.

أما فيما يختص مناخ مكة فإن الأمطار فيها لا تزال شحيحة، ولا تسقط إلا على فترات متباعدة، ولذلك فإن فترات الجفاف التام كثيراً ما تمتد إلى أربع سنوات متتالية. غير أن بعض مواسم الشتاء تغزر فيها الأمطار فتصبح سيولاً مدمرة، إذ يقوم في شرق مكة جدار جبلي شديد الانحدار، تتجمع عليه مياه الأمطار الغزيرة، فتكون سيولاً غزيرة وشلالات متدفقة، حتى أن المسجد الحرام غرق في منتصف عام ١٩٥٠ إلى عمق سبعة أقدام، ثم اتخذت الاحتياطات الهندسية للسيطرة على هذه السيول في العمارة الأخيرة للمسجد الحرام.

(*) للمزيد من التفصيلات حول تاريخ مكة المكرمة تراجع دراستنا قيد الطبع «مكة المكرمة من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة» عن دار الراتب ـ بيروت ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م.

ونظراً لقدم مكة، ولقدوم الحجاج المسلمين إليها من كل حدب وصوب، واختيار بعضهم مكة بلداً دائماً لهم، فقد تنوع التكوين السكاني للمدينة. فبالإضافة إلى سكان مكة الأصليين، وجد فيها عناصر عربية وإسلامية عديدة منها العناصر اليمنية والحضارمة والشاميين والمصريين والمغاربة والأتراك وعناصر جاوية من الملايو وأندونيسيا وباكستان وأفغانستان وإيران ومن التتر والأكراد وبخارى ومن مناطق عربية وإسلامية أخرى.

ومن الناحية التاريخية، يقال بأن الكعبة كانت خيمة لسيدنا آدم عليه السلام، وإن الطوفان هدمها وبقيت مهدمة إلى مدة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.-ولما كان الطوفان زمن نوح عليه السلام مكثت الكعبة خراباً ألفي سنة حتى أمر الله تعالى إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ببناء البيت، وهو أول بيت وضع للناس، ثم بنته قريش قبل بعثة النبي محمد ﷺ بخمس سنين.

ومن البديهي القول إن الإسلام انطلق من مكة المكرمة إلى سائر أرجاء شبه الجزيرة العربية، ومن ثم إلى بلاد الشام ومصر والمغرب ومختلف مناطق العالم. وقد هاجر النبي منها إلى المدينة المنورة ثم عاد فافتتحها. وبعد عهود الخلفاء الراشدين، خضعت مكة للأمويين، ثم للعباسيين، فملوك الطوائف. وأهمها القرامطة عام ٣١٨هـ - ٩٣٠م على حين غرة ونهبوا وقتلوا الحُجاج وحملوا الحجر الأسود. فيعام ١٥١٧ م احتلها العثمانيون. وبعد مضي أربعمائة عام أعلن فيها أميرها الشريف حسين بن علي استقلال العرب ثم قام آل سعود بدور هام في مكة والمناطق الحجازية الأخرى، وبعد إعلان مملكة آل سعود ضمها ابن سعود إلى مملكته عام ١٩٢٤، وشهدت في عهدهم تطوراً واهتماماً بارزاً.

من معالمها الهامة المسجد الحرام وفي ركنه الحجر الأسود، وفيه حجر أبيض يقال إنه قبر إسماعيل عليه السلام. وفي الجهة الشرقية من الحرم قبة العباس وبئر زمزم. هذا وقد مر المسجد الحرام بتطورات أساسية منذ إنشائه حتى اليوم. وهو اليوم مسجد ضخم شاهق يصل ارتفاعه إلى حوالى ٢٤ متراً، تحيط به الساحات من كل جانب، ويقع في قعر الوادي بين جبال وسفوح مكة، بحيث لا تظهر الكعبة المشرّفة للواقف خارج المسجد.

ومن الخارج تحيط بالمسجد الحرام الأبنية الحديثة المتعددة التي تستوعب الأعداد الكبيرة من الحجاج الذين يصرون على أداء الصلوات الخمس داخله. والنظام المعماري للمسجد تشبه عمارة مساجد القاهرة وتركيا. وواجهته من الرخام المائل إلى البياض. والأمر الملاحظ أن للمسجد الحرام سبع مآذن، ذلك لأن العدد (٧) هو من الأعداد المألوفة والمحببة وأحياناً مقدسة لدى المسلمين، لارتباط ذلك بالسماوات السبع، وبالعدد (٧) الوارد في بعض الآيات القرآنية الكريمة. علماً أن أكثر أسوار المدن الإسلامية القديمة كان لها عادةً سبعة أبواب.

وشهد المسجد الحرام إضافات وتعديلات منذ صدر الإسلام، وقد جرت هذه التعديلات منذ أيام الخليفة عمر بن الخطاب. وفي العهد الأموي أمر الخليفة عبد الملك بن مروان عام ٧٥هـ بإجراء بعض التعديلات، كما شهد المسجد إضافات في عهد الوليد بن عبد الملك، ثم في العهد العباسي وفي العهدين الأيوبي والمملوكي. وفي العصر العثماني أمر السلطان سليم المهندس التركي سنان بتجديد المسجد الحرام، وتوالت الإضافات في عهد

السلاطين العثمانيين. كما شهد المسجد إضافات وتحسينات أساسية في عهد الأسرة السعودية الحاكمة في المملكة حيث اهتمت بتحسينه إهتماماً بالغاً.

ومن معالم مكة المكرمة: الكعبة الشريفة. وكانت كسوتها تعتبر شرفاً لمن يقدمها. وكان التقليد المتبع أن تأتي الكسوة من مقر الخلافة الإسلامية عبر التاريخ سواء من دمشق أو من بغداد أو من القاهرة أو من استانبول. وكانت الكسوة حتى قبل تطورات عام ١٩٧٧ تقدم من قبل مصر. وكان التقليد المتبع أن موكب الحج المصري يحمل الكسوة في موكب مهيب يسمى «المحمل» سنوياً. وكان الموكب المصري يغادر القاهرة في آخر أسبوع من شهر شوال، فيصل إلى مكة في سبعة وثلاثين يوماً وسط استقبال أهالي مكة والمسلمين القادمين من مختلف الأقطار. وكانت الكسوة عادةً تتألف من نسيج حريري مشجر ذي لون أسود، وعلى ارتفاع الكسوة يدور حزام مطرز بالذهب المغطى بآيات قرآنية. وكان أول حاكم مصري يسعى إلى كسوة الكعبة بعد زوال دولة العباسيين هو الظاهر بيبرس. وينقش على الكسوة عادةً عبارات: لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ الله جل جلاله ـ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. أما اليوم فإن الكسوة أصبحت تصنع محلياً في المملكة العربية السعودية.

والكعبة التي تتوسط المسجد الحرام على شكل مكعب طوله (٤٠) قدماً وعرضه (٣٥) وارتفاعه (٥٠). وتتكون من حجر رمادي اللون جلب من الجبال المحيطة بمكة. وتتفق كل المصادر التاريخية والدينية على أن باني الكعبة هو إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام. وفي الكعبة الحجر الأسود الذي اختلف

أهل قريش على من سيحمله في فترة إعادة بناء قريش للكعبة، فاحتكموا إلى أول داخل من باب الصفا، فكان محمد الأمين، فحكم بينهم بأن وضع الحجر على ثوب رفعه ممثلو القبائل المختلفة من أطرافه، ورفع محمد الحجر ووضعه مكانه من البناء. وخضعت الكعبة للهدم والبناء في عهد ابن الزبير عام ٦٥هـ.

ومن معالم مكة المكرمة أيضاً مقام سيدنا إبراهيم في ساحة المسجد الحرام إلى جوار الكعبة وهو مصنوع من الذهب الخالص، ويتميز بالجمال ودقة الصناعة. ومن المعالم الأخرى جبل عرفة أو عرفات الذي يزدحم بالحجاج في موسم الحج قبل عيد الأضحى بيوم. كما توجد بعض الأماكن الدينية التي يحرص الحجاج على زيارتها اقتداء بالرسول محمد.

لا تزال مكة تزخر بالبيوت الفاخرة التي تعود إلى فترة العهد العثماني، ويظهر ذلك واضحاً من خلال نظامها المعماري لا سيما في حي الشبيكة. وبيوت مكة القديمة تتميز بوجود زخارف على موجوداتها الخشبية، لا سيما الحفر المتقن على الأبواب الخشبية الخارجية. أما أسواق مكة فإنها تعتبر مَعْلماً هاماً من معالم المدينة حيث يكثر فيها التحف والأدوات النحاسية والفضية والذهبية والخشبية، كما يكثر السجاد والسبحات والهدايا المختلفة والمتنوعة التي يحرص الحجاج على اقتنائها تبركاً. بالإضافة إلى كثرة المكتبات التي تحوي الكتب الدينية والفقهية.

هذه الأسواق تشهد ازدحاماً لا مثيل له في فترة موسم الحج ومن الملاحظ أن هذه الأسواق تضم في جنباتها المنتجات الواردة من مختلف بلدان العالم الإسلامي مثل مصر والشام وتركيا وإيران

واليمن وأفغانستان وباكستان والهند والصين أيضاً. وكما أن الحجاج يحرصون على اقتناء ما يرونه من تحف وهدايا في أسواق مكة، فإنهم يحرصون في الوقت نفسه على جلب التمر ومياه زمزم لنقل كميات ولو قليلة إلى بلادهم تبركاً لأنها من الأراضي المقدسة.

ومن المعالم الطبيعية الدينية في مكة الوادي المقدس الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وهو مجرد من كل زخارف الطبيعة. وهذا الوادي تحيط به الجبال الجرداء ليس في شعابها أشجار أو أنهار. غير أن حوله تقوم وظائف متعلقة بقدسية المكان من فنادق وخدمات وتجارة وأسواق لتلبية متطلبات الحجاج. هذا وقامت الحكومة السعودية بتنفيذ إعادة تخطيط مكة والوادي المقدس عامة، بهدف استيعاب الأعداد الهائلة من الحجاج المسلمين القادمين من مختلف بقاع الأرض، علماً أن تخطيط مكة هو عملية مستمرة وليست آنية.

ومن المعالم الأخرى في مكة غار حراء الذي كان يختلي فيه الرسول قبل الدعوة الإسلامية، وهناك غار ثور في جبل مكة، وهو الذي اختفى فيه الرسول محمد وأبو بكر(رضي الله عنه) هرباً من قريش.

وفي مكة مدارس ومعاهد شرعية تقوم بتدريس الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي. كما تقوم في مكة جامعة هامة هي جامعة أم القرى.

وعن مكة أم القرى أشار القرآن الكريم «

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾(١) وفي قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾(٢) وأشار الله عز وجل إلى أن صلاتهم عند الكعبة ليس إلا مكاء أي صغيراً: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾(٣) وفي قوله عز وجل عن مكة المكرمة والمسجد الحرام وتبوأ سيدنا إبراهيم البيت الحرام:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى

(١) سورة الأنعام، الآية ٩٢.
(٢) سورة الشورى، الآية ٧.
(٣) سورة الأنفال، الآية ٣٥.

شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾»(1) وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾»(2) وفي قوله تعالى أيضاً: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾»(3)

وعن مكة المكرمة وما حولها أوضح القرآن الكريم في سورة العنكبوت الآية الكريمة:

(١) سورة الحج، الآيات ٢٥ ـ ٢٧.
(٢) سورة النمل، الآية ٩١.
(٣) سورة القصص، الآيات ٥٧ ـ ٥٩.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾(1) وورد في القرآن الكريم عن مكة المكرمة:

﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾(2)

وفي سورة البلد أقسم الله عز وجل بمكة المكرمة في قوله: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴾(3)

وفي سورة التين أقسم عز وجل بالتين والزيتون وسيناء الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وأقسم بالبلد الأمين أي مكة المكره بقوله تعالى:

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾(4)

وعن الكعبة المشرّفة أشار الله عزو وجل في محكم كتابه:

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ

---

(1) سورة العنكبوت، الآية ٦٧.
(2) سورة الفتح، الآية ٢٤.
(3) سورة البلد، الآيات ١ ـ ٢.
(4) سورة التين، الآيات ١ ـ ٣.

وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿﴾ (١)

وحول أول بيت وضع للناس في مكة المكرمة مقام إبراهيم وهو الحج أشار القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿﴾ (٢)

وحول الكعبة أيضاً أشار القرآن الكريم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿﴾ (٣)

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية ٩٦ ـ ٩٧.
(٣) سورة المائدة، الآيات ٩٥ ـ ٩٧.

وحول المسجد الحرام والحج والطواف وسلوك الحج والبيت العتيق أوضح القرآن الكريم في سورة الحج :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ
ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ
وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝
وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى
شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ۝ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُواْ
مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ
ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۝ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ
نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝ ذَٰلِكَ وَمَن
يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَأُحِلَّتْ
لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُواْ
ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ
﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ
﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ
ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ (١)

وحول الحج وجبل عرفات وقضاء المناسك والاستغفار قال الله عز وجل:

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ

---

(١) سورة الحج، الآيات ٢٥ ـ ٣٣.

ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝
فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ
ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ
خَلَٰقٖ ۝ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا
حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ۝ (١)

كما أشار القرآن الكريم في آيات بينات إلى فريضة الحج وآدابه ومناسكه وإلى العمرة والنحر. ويتبين لنا في ضوء السور والآيات السابقة مدى تقديس القرآن الكريم والمسلمين لمكة المكرمة أم القرى وتعظيمهم لها.

---

(١) سورة البقرة، الآيات ١٩٧ ـ ٢٠٢.

ولا يمكن اعتبار مكة بلداً صناعياً أو زراعياً، فميزتها الأساسية في موقعها الديني وطبيعتها المقدسة، غير أن استقبالها للحجاج المسلمين جعلها مدينة تجارية ومدينة خدمات إسلامية، وانتعاش بعض الحرف والمهن التي يتطلبها هؤلاء الحجاج. والصناعة الرئيسية القائمة اليوم في مكة على مدار السنة هي صناعة الكسوة للكعبة الشريفة. وقد أقيم مصنع الكسوة في مكة خصيصاً للكعبة. كما يوجد في مكة مصنع تنقية وتعبئة مياه «عين زبيدة» في منطقة الشميسي.

ويستورد تجار مكة الحبوب والخضار والفواكه والطيب والبخور والعطور والسبحات والتحف والسيوف والخناجر والملابس والجلود، بالإضافة إلى المنتجات العصرية. ونظراً لكثرة الحجاج فقد أقيم في مكة أسواق متخصصة للشوام وللمصريين وللمغاربة، وللأفارقة وللأفغان وللصينيين، مع وجود أسواق مشتركة. وبشكل عام فإن مدينة مكة تعتبر المدينة الإسلامية الأولى المقدسة عند المسلمين، ثم تليها بعض المدن الأخرى في البلاد الحجازية ومدينة القدس في فلسطين. ومما يدل على قدسيتها وأهميتها ورود ذكرها في القرآن الكريم. فقد أشار القرآن الكريم:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ (1)

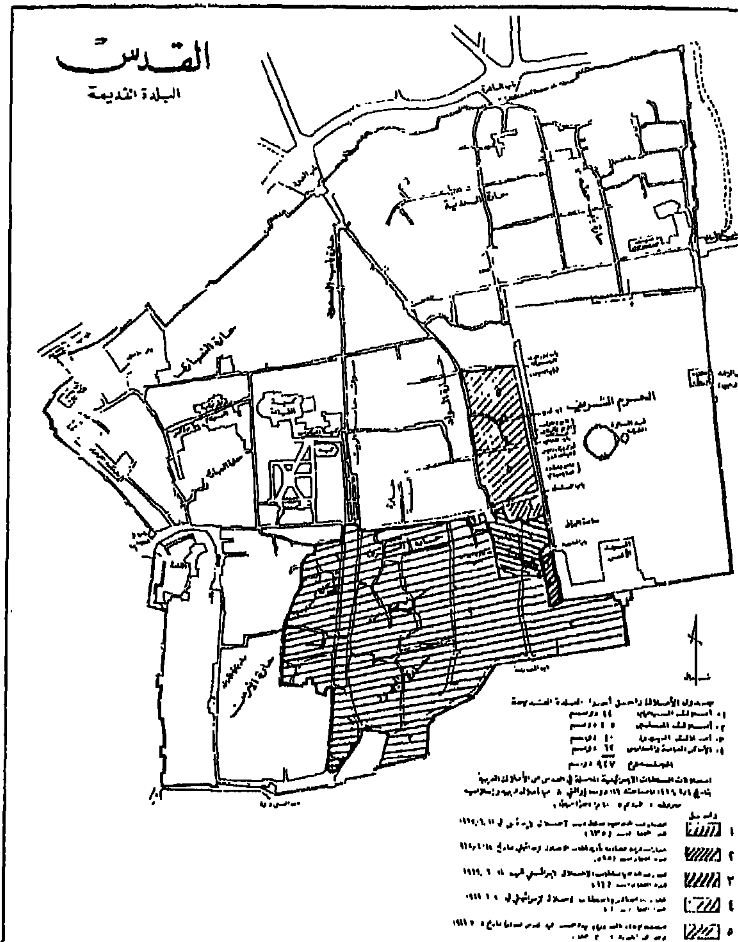
(1) سورة البقرة، الآية ١٢٦.

وأشار الله عز وجل في القرآن الكريم في آيات عديدة إلى مكة المكرمة والكعبة المشرفة والحج في قوله تعالى:

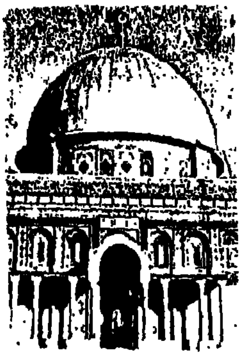
﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝﴾[1]

(١) سورة المائدة الآية ٩٧.

# القدس الشريف



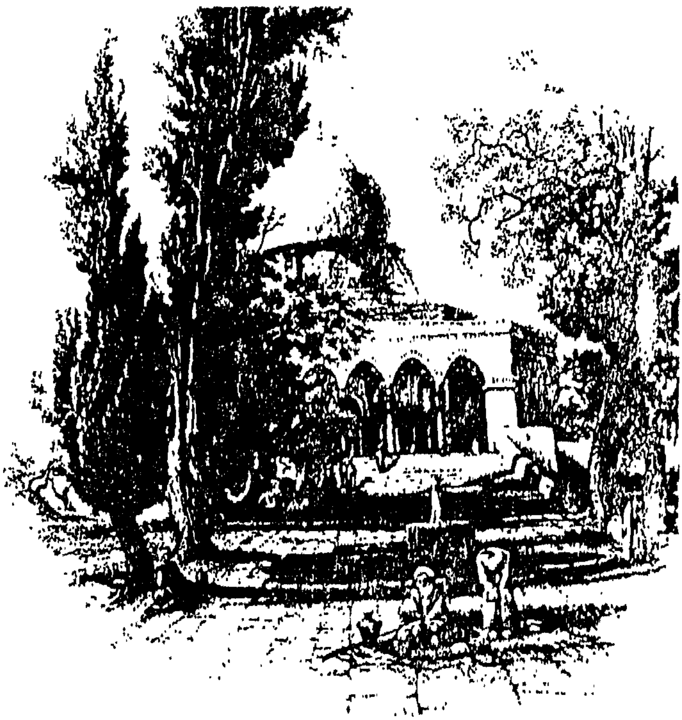
# القدس الشريف



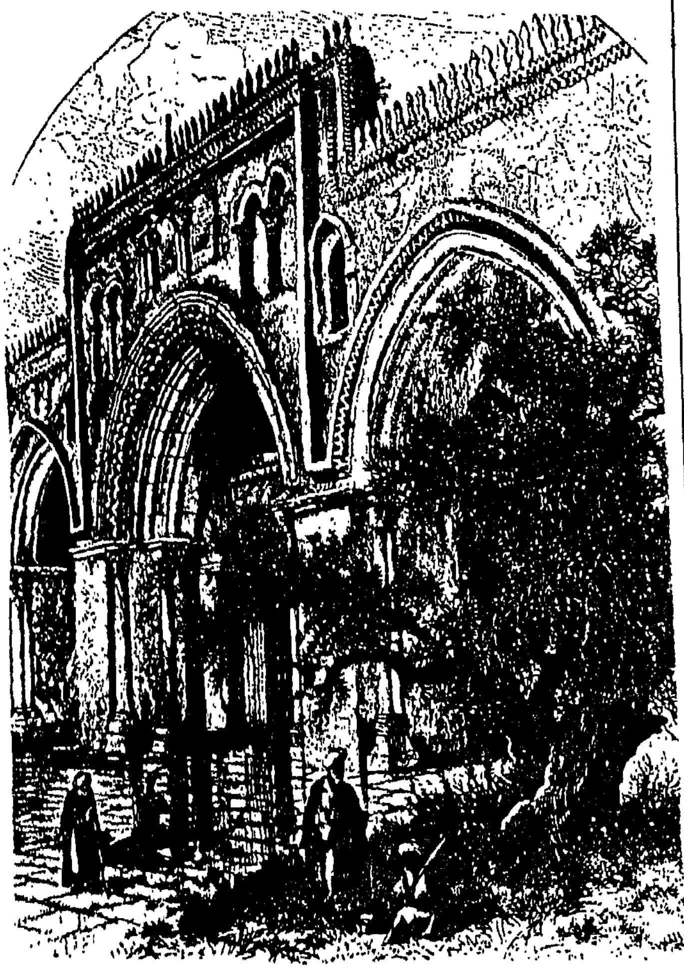
مدينة القدس من أهم مدن فلسطين، وهي العاصمة المقدسة. يبلغ عدد سكانها أكثر من (٢٥٠) ألف نسمة، وتبلغ مساحتها ١٩,٣٣١ كلم²، وتحيط بها الأودية والمرتفعات من جميع الجهات.

وكانت تسمى «القدس الشريف» باسم أورشليم، وتعود أقدم الآثار فيها إلى الألف الثالث ق.م. احتلها النبي داوود حوالي عام ألف قبل الميلاد، وجعلها عاصمة لملكه. ثم بنى فيها سليمان هيكله الشهير، وأصبحت تدعى «المدينة المقدسة» عام ٩٧٥ ق.م. وفي عام ٧٠ للميلاد دمرها الرومان بقيادة تيطس ثم أعاد الامبراطور هادريانوس بناءها ودعاها «آيليا كابيتولينا» عام ١٣٥ ميلادية. شيَّد فيها قسطنطين كنيسة القبر على أنقاض الكابيتول عام ٣٣٥ ميلادية، وأتم جوستينيانوس عمله في القرن السادس الميلادي.

في عام ٦١٤ م أحرقها الفرس، ثم سلمها بطريركها صفرونيوس للخليفة عمر بن الخطاب عام ٦٣٨ م ودعاها العرب «القدس». وازدادت أهمية «القدس الشريف» في العهد الإسلامي،



قبة الصخرة عام ١٨٧٥



المسجد الأقصى عام ١٨٧٥

لا سيما منذ أن أسري إليها النبي محمد ﷺ . وكان المسلمون يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله بمكة قبل الهجرة. وبعد الهجرة صلى رسول الله نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، ثم وجه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام.

وعن الإسراء ورد في القرآن الكريم إشارة إلى القدس والمسجد الأقصى فيها في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ إِلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ * لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ *﴾.

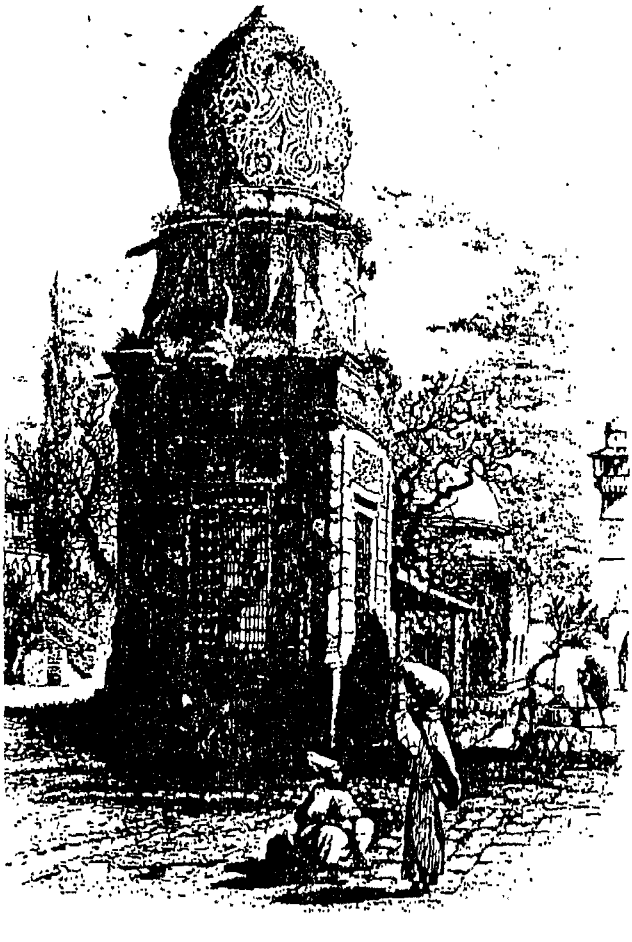
وقد وردت أحاديث كثيرة عن القدس وأهميتها، فقد قال رسول الله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام والمسجد الأقصى». وفي حديثه قال: «يا معاذ، إن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام منّ بعدي، من العريش إلى الفرات، رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة، فمن اختار منكم ساحلاً من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في جهاد إلى يوم القيامة».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله اختار من المدائن أربعة: مكة وهي البلدة، المدينة وهي النخلة، بيت المقدس وهي الزيتونة، ودمشق وهي النية».

هذا وقد انصرف الخليفة أبو بكر الصديق لفتح بلاد الشام كما سبق وبشر الرسول الكريم بذلك. وقد انطلقت الحملة الأولى بقيادة يزيد بن أبي سفيان، فكانت أول هزيمة للروم على أيدي المسلمين في تبوك. وتتابعت الحملات الإسلامية بقيادة خالد بن

الوليد وأبي عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص. ودخلت هذه الجيوش غزة وسبطية ونابلس وعمواس ويافا ورفح وقنسرين. وحاصر المسلمون القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب لعدة أشهر، واستمر القتال حولها أربعة أشهر متواصلة، مما اضطر الروم للانسحاب وتركوا الأمر بيد البطريرك صفرونيوس وبعد المفاوضات جرى الاتفاق على استسلام المدينة للعرب شرط أن يكون الخليفة ذاته هو الذي يتسلمها رعاية لمكانتها ولسكانها

وبالفعل فقد وصل الخليفة عمر بن الخطاب فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح والقادة العرب، وساروا جميعاً إلى بيت المقدس. وفيها بدأت المفاوضات بين الخليفة عمر والبطريرك صفرونيوس الذي فتح أبواب المدينة للمسلمين واستقبل الخليفة بالترحاب، وسأله أن يقبل منه الصلح والجزية مقابل إعطائهم الأمان على دمائهم وأموالهم ونسائهم وكنائسهم، فاستجاب عمر لذلك. وقد أعطى الخليفة عمر الأمان لأهل القدس الذي سمي «بالعهد العمري» وهذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين عمر إلى أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم ولصلبانهم، ومقيمها وبريئها وسائر ملتها. لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم. ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود. وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية، كما يعطي أهل المدائن، على أن يخرجوا منها الروم واللصوص... وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية». وشهد على هذا العهد كل من: خالد بن الوليد، عمرو بن العاص، عبد الرحمن بن عوف،



سبيل قايتباي ـ القدس ـ ١٨٧٥ ـ ١٨٨٠

ومعاوية بن أبي سفيان. وقد كتب هذا العهد ـ الأمان سنة خمسة عشراً هجرية وقيل كان فتحها سنة (١٦) هجرية.

وفي هذا الوقت أسس الخليفة عمر للمسلمين مسجداً هو «مسجد عمر»، كما رفض الصلاة في كنيسة القيامة حتى لا يتخذ المسلمون ذلك ذريعة للاستيلاء عليها.

هذ وقد شهدت القدس في العهود الإسلامية المتعاقبة تطوراً وعدلاً ساد المدينة، واطمأن أهلها من العرب والنصارى واليهود.

وفي العهود الأموية والعباسية والفاطمية ازداد تعريب المدينة وأسلمتها، وأضفت عليها الأعمال المعمارية مسحة إسلامية وعربية. غير أن خضوع القدس للصليبيين أعادها إلى جو المشاحنة والقتل والتدمير والتعصب. ففي عام ١٠٩٩ م سقطت القدس بيد الصليبيين، وتلاشت الجيوش الفاطمية أمام الجيوش الصليبية. واستمرت القدس أسيرة للصليبيين إلى أن قام القائد صلاح الدين الأيوبي بتحريرها عام ١١٨٧ م، عندما جرت معركة بين الجانبين في حطين قرب طبرية. وكان ذلك مقدمة لتقدم المسلمين نحو القدس.

وفي العهد المملوكي تطورت القدس تطوراً بارزاً في علومها ومعالمها، وقد زارها الظاهر بيبرس عام ٦٦١ للهجرة ـ ١٢٦٢ ميلادية، فاهتم بزراعتها ومساجدها، وشجع العلم والعلماء والأوقاف فيها. واهتم بالقدس المنصور قلاوون وابنه الناصر محمد بن قلاوون. وقد عرفت القدس في عهد المماليك سياسة التسامح واللين في معاملة الرعايا من غير المسلمين. وقد كتب سلاطين المماليك عهوداً وأمانات عدة للمنقطعين ببيت المقدس

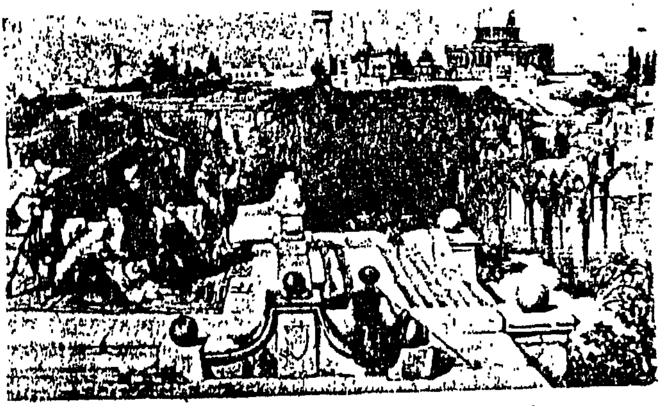
من الرهبان النصارى. وحظي اليهود والنصارى بمعاملة عادلة كالمسلمين.

ولما سقطت القدس بيد العثمانيين عام ٩٢٣ هجرية ـ ١٥١٧ ميلادية بعد موقعة مرج دابق في الشام، كان للقدس موقعاً مميزاً في سياسة الدولة العثمانية لا سيما بعد أن تحالفت الحركة الصهيونية مع الدول الأوروبية للسماح لليهود بالهجرة إلى الأراضي المقدسة، غير أن الدولة العثمانية رفضت الهجرة اليهودية إلى القدس وإلى بقية المدن الفلسطينية. وكل ما سمحت به هو الزيارة الدينية. وقد أشار السلطان عبد الحميد الثاني في رده على كل محاولات اليهود قال: «انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع. إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي، لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض، ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم. إذا مزقت امبراطوريتي فعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولاً في جثثنا. وإني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة»(١).

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ خضعت القدس وبلاد فلسطين للاحتلال البريطاني. ونتيجة لهذا الاحتلال تزايدت الهجرة اليهودية إلى القدس وإلى مدن فلسطين كافة، ووقعت ثورات عربية واضطرابات دفاعاً عن الأراضي المقدسة إلى أن كانت حرب عام ١٩٤٨ بين العرب واليهود، تم على أثرها

---

(١) للمزيد من التفصيلات أنظر كتابنا: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩. أنظر أيضاً كتابنا: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩.



القدس رسمها دافيد روبرتس ويظهر المسجد الأقصى

القدس عام ١٨٥٠





القدس عام ١٨٧٥

تقسيم القدس إلى قسمين: عربية ويهودية. واستمر واقعها على هذا النحو تابعة للأردن إلى حزيران (يونيه) عام ١٩٦٧ حينما استطاع اليهود احتلال القدس العربية، وبذلك باتت المدينة الشريفة كلها خاضعة للاحتلال اليهودي. ولا يزال سكان القدس ومناطق فلسطين كافة تناضل من أجل تحرير الأرض والشعب من ربقة الاحتلال.

هذا وتتميز القدس بملامح ومعالم حضارية تعبر عن مختلف الحضارات ولمختلف الطوائف، لا سيما الحضارة العربية التي انتشرت انتشاراً واضحاً في أرجاء المدينة، حيث تمثلت ببناء المساجد والجوامع والزوايا والمدارس والقصور، وسور المدينة وأبراجها القديمة مثل: برج المئة، وبرج حنئيل، وبرج التنانير. وقد انقسمت القدس إلى ثلاثة أقسام: القدس القديمة داخل السور، والقدس الحديثة في الخارج من الشمال والغرب، بالإضافة إلى القدس الجنوبية.

ومن المساجد التي عرفتها القدس: مسجد سيدنا عمر، وقد هدم وبني مكانه المسجد الأقصى، وبنيت قبة الصخرة زمن الخليفة عبد الملك بن مروان وانتهى من بنائهما سنة ٣٣ للهجرة. وتوجد قبة سليمان في المسجد الأقصى، ومسجد قبة الصخرة، ومصلى الخضر قرب قبة الصخرة، والمسجد العمري جنوب ساحة كنيسة القيامة، وقد أقامه الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي، ومسجد الظاهر بيبرس، ومسجد المنصور قلاوون الذي هدم. وهناك أسبلة إسلامية لا حصر لها أهمها سبيل الشعلان وإنشاؤه منذ عهد الأشرف برسباي، ومسجد السلطان سليمان فوق جبل الزيتون وتكية خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان وقد أنشئت عام ١٥٥٢ م،

ومسجد الطور الذي بناه السلطان سليم الأول عام ١٥١٧ م بالإضافة إلى سبيل قايتباي وبرج الساعة على السور الذي أنشيء عام ١٩٠٩، كما أقيم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٩١ المستشفى البلدي. وفي القدس أيضاً مستشفيات عديدة منها المستشفى الايطالي القديم. بالإضافة إلى قلاع عديدة منها قلعة القدس، قلعة وادي الجوز منذ عهد محمد علي باشا.

والحقيقة فإن القدس مدينة المساجد، ففيها ما يقارب ستة وثلاثون مسجداً. وقد هدم الصهاينة بعضها منذ احتلالهم للمدينة عام ١٩٦٧ . وفيها العشرات من الزوايا الدينية والمقابر الأثرية التي تضم رفات الصحابة والتابعين والعلماء. كما يوجد فيها العشرات من المدارس. ومن مميزات القدس وجود الكثير من الأوقاف الخيرية الإسلامية التي يصرف منها على وجوه الخير والعلم في القدس. وهذه الأوقاف لا تزال تسبب عوائق ومشاكل أمام اليهود. ويكفي القول بأن للمسجد الأقصى أوقافاً هي عبارة عن قرى وحارات ومناطق قائمة بذاتها، وقد استولى اليهود في أواخر عام ١٩٩١ على بعض وثائق هذه الأوقاف نظراً لأهميتها.

هذا وللطوائف الأخرى معالمها ومقدساتها فللروم الأرثوذكس كنيسة القيامة، ودير المسكوبية، وكنيسة أبينا إبراهيم، وكنيسة الرسل الاثني عشر، ودير يوحنا المعمدان، وكنيسة ستنا مريم، ودير مار سابا ودير العذراء وسواها من الأديرة والكنائس.

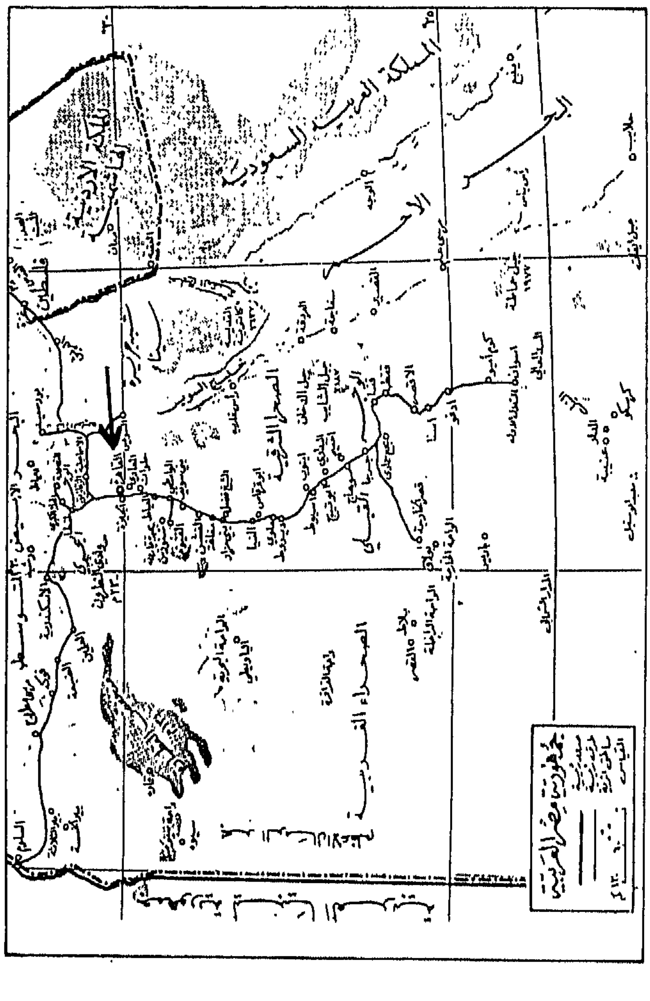
وللروم الكاثوليك كنيسة القديسة حنة، ودير اللاتين، دير مار يوسف وسواها من الكنائس والأديرة. كما أن للأرمن والأقباط والأحباش والسريان مقدساتهم ومعالمهم. بالإضافة إلى ذلك ففي

القدس ضريح النبي داوود على جبل صهيون.

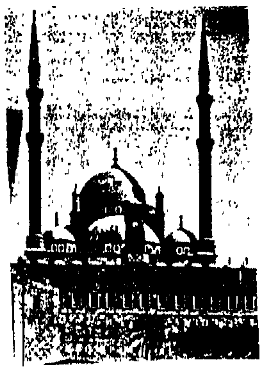
والحقيقة فإن القدس بالإضافة إلى شهرتها بمعالمها الدينية والأثرية، فإن منتجاتها الزراعية لا سيما الزيتون والفواكه تكسبها شهرة إضافية. كما يمتاز أهلها بفنونهم الزخرفية والنقوش على النحاس والخشب. ويشتهرون أيضاً بصناعة الأواني والحاجيات الأثرية. وهم إلى كونهم حرفيين وزراعيين فهم تجار أيضاً. غير أن الواقع الأليم الذي تعيشه المدينة المقدسة أثر على أوضاعها وعلى معالمها وعلى مسيرتها بشكل عام.

لقد هدفت الممارسات الاستيطانية إلى إبعاد طابع الإسلام عن القدس، بل وإلى تهويدها. وتحاول هذه الممارسات جعل فلسطين أندلس الشرق.

# القاهرة



# القاهرة

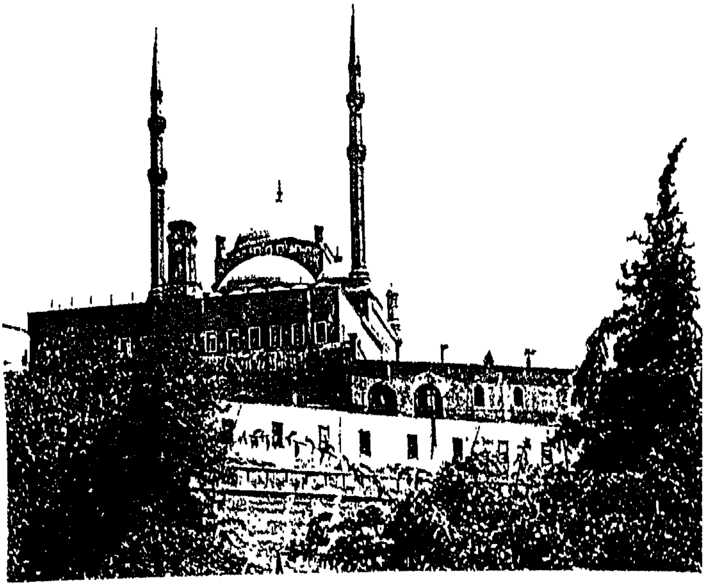


وهي عاصمة جمهورية مصر العربية، وهي أكبر مدينة في افريقيا والعالم العربي، يبلغ عدد سكانها مع ضواحيها أكثر من عشرة ملايين نسمة لا سيما في النهار حيث يتوافد عليها الناس من كل حدب وصوب. وهي تقع على نهر النيل الذي يشطرها إلى قسمين.

وتعتبر القاهرة من المدن الإسلامية التي تتمتع بثقل ثقافي وحضاري وتاريخي، حيث تتجمع فيها مختلف المظاهر العمرانية والتراثية عبر مراحل تاريخها، وذلك منذ تأسيسها عام ٩٦٩ م شمالي الفسطاط. وقد أسسها القائد جوهر الصقلي القائد الفاطمي في عهد الخليفة المعز لدين الله.

ومن المميزات البارزة في القاهرة إنشاء الجامع الأزهر فيها في عام ٩٧٢ م في المنطقة المجاورة لقصر المعز، وقد قام جامع الأزهر في المدينة الجديدة بدور بارز على الصعيد الديني، على غرار ما قام به جامع عمرو في الفسطاط وجامع ابن طولون في القطائع.

ويعتبر الأزهر اليوم من أهم المعالم الدينية والثقافية والعلمية





سوق عند مدخل القاهرة

في مصر والعالم، فإنه لم يعد مركزاً دينياً فحسب، وإنما جمع بين كلياته بعض الكليات العلمية مثل كلية الطب وكليات علمية أخرى.

مرت القاهرة بتطورات عمرانية عبر تاريخها، فبعد أن كانت مدينة تلفها الأسوار والحصون، فإذا بهذه الأسوار تختفي رويداً رويداً حتى أن ناصر خسرو الذي زار المدينة بعد خمسين عاماً من تشييدها عجز عن تمييز أسوارها لكثرة المباني التي تكتنفها على الجانبين. وقد أشار المقريزي في القرن الخامس عشر الميلادي أن آخر أثر لتلك الأسوار قد تلاشى تماماً.

أما مكتبة القاهرة في ذلك العصر، فقد كانت واحدة من أعظم مكتبات العالم الإسلامي، وكان تدميرها في عهد المستنصر خسارة لا تعوض، حيث جمعت مئات الألوف من الكتب في مختلف فروع العلم والأدب.

وتطورت القاهرة تطوراً بارزاً في عهد صلاح الدين الأيوبي حيث عمل على تطويرها وإقامة المدارس والمعاهد الدينية والعلمية فيها، وافتتحت أولى مدارسه في عام ١١٧٦ م، وكانت ملاصقة لضريح الإمام الشافعي الذي لا يزال قائماً حتى اليوم. وبفضل النهضة العلمية التي سادت في عهد صلاح الدين تلاقى مجدداً علماء المشرق الإسلامي بعلماء المغرب الإسلامي في القاهرة، وعادت القاهرة مرة أخرى المركز الروحي للعالم الإسلامي.

وفي العهد المملوكي الذي دام في مصر ثلاثة قرون من (١٢٥٠ إلى ١٥١٧) طرأت تحولات أساسية على القاهرة الفاطمية والقاهرة الأيوبية، فهدمت بعض العمائر القديمة واستبدلت بأخرى جديدة، نتيجة تنافس السلاطين والأمراء والأثرياء في المباهاة بالثراء

والجاه. وكثر بناء المدارس والمساجد والأسبلة والأسواق التجارية. وتدين القاهرة للظاهر بيبرس الذي حكم بين (١٢٦٠ - ١٢٧٧ م) بمدرسة هامة شيدت عام ١٢٦٢ م وبالجامع الذي يحمل اسمه والذي بني عام ١٢٦٩ م خارج سور المدينة، ويقع حالياً في الحي المعروف باسم «الظاهر» كما اشتهر السلطان قلاوون الذي خلف بيبرس بمدرسته ومقبرته وبيمارستانه، ولا تزال مقبرته في القاهرة تضاهي بعمارتها وقبتها أرقى المظاهر المعمارية. ويُعد عصر الناصر محمد بن قلاوون العصر الذهبي للعمارة في القاهرة، فهو الذي بنى جامع القلعة وجامع السيدة نفيسة وقبة النصر بالقرب من الجبل الأحمر.

وفي سفح المقطم تقع مدرسة السلطان حسن (١٣٦٢ م) إحدى روائع العمارة الإسلامية.

ولما خضعت مصر للعثمانيين عام ١٥١٧ م، فإن حكمهم لم يكن إلا امتداداً لحكم وأنظمة المماليك مع بعض التعديلات الطفيفة، ثم أضافوا الطابع التركي على الحياة المصرية. وتدل كثرة الجوامع التي شيدت في هذا العصر على العاطفة الدينية عند الأتراك، من بين هذه المساجد: مسجد السيدة صفية ومسجد محمد بك أبو الدهب ومسجد البردين. وكان أهم المولعين بالعمارة في هذا العصر هو عبد الرحمن كتخدا الذي عاش في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي.

أما مصر الحديثة والقاهرة خاصة فإنها ترتبط بحكم الوالي محمد علي الذي انتزع السلطة عام ١٨٠٥ واستمرت أسرته وأحفاده في الحكم إلى عام ١٩٥٢. فقد أطل محمد علي على



بائع السجاد في القاهرة

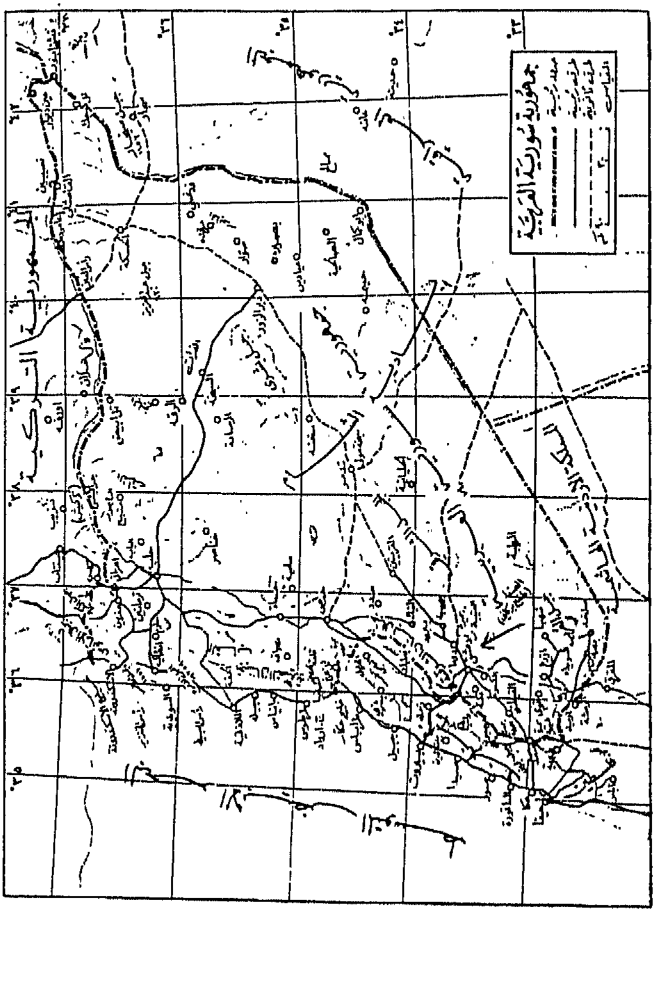
الغرب واستفاد من العلوم والتقدم الأوروبي وأقام معاهد على النمط الحديث، وأسس مصانع وصناعات جديدة، وأرسل الطلبة إلى فرنسا طلباً للعلم والتخصص. واشتهر محمد علي أيضاً بجامعه الشهير في القلعة وقصوره في الأزبكية وشبرا.

لقد تطورت القاهرة تطوراً هائلاً مع مرور الزمن لا سيما في القرن العشرين، حيث تشتهر بكثرة جامعاتها مثل جامعة القاهرة وجامعة عين شمس ومعاهدها ومؤسساتها التربوية، وبجوامعها التي لا عد ولا حصر لها من كثرتها وتعدد أماكنها سواء منها الأثرية أو الحديثة. وباعتبار القاهرة العاصمة فهي تضم مراكز الوزارات والمؤسسات الحكومية ومراكز السفارات الأجنبية وفيها المتحف الإسلامي والمتحف الوطني، كما تتميز ببرجها الشهير «برج القاهرة» ومحطة الإذاعة والتلفزيون. وهي مركز سياحي لأنها تضم آثار من مختلف المراحل التاريخية.

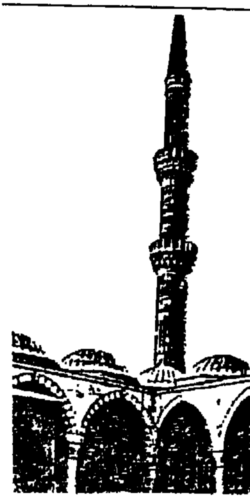
وبالرغم من أن القاهرة تعتبر اليوم مدينة عصرية، غير أن المتجول بين ناسها وفي شوارعها وحاراتها وأزقتها تمضي به بمناظرها إلى فجر التاريخ تمضي به إلى عهد الفراعنة، إلى العهد الإسلامي الأول، إلى القاهرة الفاطمية والملوكية والعثمانية.

القاهرة مدينة تجمع بين القديم والوسيط والحديث، بل إنها مدينة تجمع التاريخ كله.

# دمشق



# دمشق



دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية وقاعدة محافظة دمشق. وتعرف العاصمة أيضاً باسم الشام تدليلاً على دمشق عدد سكانها أكثر من مليون نسمة من أصل ثلاثة عشر مليون نسمة. أقضيتها: دوما، الزبداني، النبك، القطيفة.

ودمشق مدينة قديمة غير ساحلية، تقع في طرف بادية الشام على ملتقى الطرق العسكرية والتجارية القديمة. وقد عزا بعض المؤرخين بناءها إلى اليونان، وورد ذكرها في النقوش والكتابات الفرعونية والأشورية وفي الكتاب المقدس.

سكنها وفتحها في عصور متلاحقة كل من: الآراميين، الآشوريين، البابليين، الفرس، اليونان، الأنباط، الرومان. ثم فتحها العرب عام ٦٣٥م واتخذها الخلفاء الأمويون عاصمة لهم فعرفت عصرها الذهبي ابتداء من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان. ونظراً لأهمية دمشق فقد استمر الصراع للسيطرة عليها، فبعد الأمويين والعباسيين خضعت للطولونيين وللأخشيديين وللفاطميين، ثم آلت إلى الأيوبيين الذين حصنوها في وجه الصليبيين في العصور الوسطى.

تعرضت دمشق للتدمير والتخريب على يد المغول التتر عام ١٢٦٠، و١٣٠٠م، ثم أحرقها تيمورلنك عام ١٤٠٠م في عهد المماليك. خضعت دمشق وبلاد الشام للعثمانيين عندما احتلها السلطان سليم الأول عام ١٥١٦م. وتبوأت مركزاً هاماً في عهد حاكمها أسعد باشا العظم عام ١٧٤٩. في عام ١٨٣١ ـ ١٨٤٠ خضعت للحكم المصري عندما فتحها إبراهيم باشا. واستمرت خاضعة للحكم العثماني إلى عام ١٩١٨، ثم احتلها الفرنسيون عام ١٩٢٠ إلى أن نالت سوريا استقلالها وانسحبت الجيوش الفرنسية منها ومن لبنان عام ١٩٤٦.

تمثل معالم دمشق مزيجاً من المعالم الأثرية الإسلامية والمسيحية ومعالم حديثة، فلا تزال دمشق الأيوبية والمملوكية والعثمانية بادية في مختلف شوارعها وأحيائها ومناطقها ومساجدها، جنباً إلى جنب مع الملامح العمرانية الحديثة.

ويلاحظ بأن بقايا سور دمشق القديم لا يزال ظاهراً حتى اليوم، لا سيما جدارالسور المحاذي لسوق الحميدية. وللسور سبعة أبواب رئيسية على غرار عدد أبواب بيروت العثمانية وبعض الأبواب الأخرى ولا تزال أسماؤها وبقايا بعضها حتى اليوم وهي: باب شرقي، باب توما، باب الجابية، باب البريد، باب الحميدية، باب الصغير، باب البيمارستان، باب النوري، باب المصلى، باب السريجة، باب السلام، باب الفرج، باب العمارة أو الفراديس وباب السلامة.

وهذه الأبواب عادةً على شكل قباب وأقواس، كانت تقفل ليلاً، وبعضها لا يزال يقفل حتى اليوم لا سيما أبواب الأسواق

المتخصصة. ويتجمع بالقرب من هذه الأبواب الباعة والنشاطات الاقتصادية المتنوعة.

ومن ملامح دمشق كثرة المساجد التاريخية أهمها: الجامع الأموي الكبير الذي يمكن الدخول إليه من عدة طرقات أهمها طريق سوق الحميدية حيث يوجد أهم أبوابه التاريخية وفيه مقام النبي يحيى. ومن المساجد ـ الجوامع الأخرى جامع السلطان سليم وجامع السليمانية وبقربها التكية السليمانية والجامع والتكية من أهم معالم دمشق التاريخية حيث يتميز الجامع بمئذنتين جميلتين وبقبة مصفحة على غرار المساجد العثمانية في استانبول. وتتميز التكية بقباب عديدة على غاية من الجمال والروعة الهندسية، وانتصبت بين القباب مآذن صغيرة لا يتعدى بعضها ثلاثة أمتار، وذلك لإخفاء صبغة جمالية على القباب والتكية التي تميزها القبة المصفحة الكبرى.

ومن الجوامع جامع الباشورة، جامع الشاغور، جامع الأتابكية، جامع درويش باشا أو الدرويشية، جامع باب المصلى في الميدان، جامع السنانية، جامع الدقاق، جامع حسان، جامع السنجقدار، .جامع رستم، جامع برسباي المعروف بجامع الورد، جامع التوبة، جامع السقيفة الذي دفن فيه الصحابي عثمان السقيفي، جامع السيدة سكينة، جامع سيدي صهيب، جامع الفردوس على زاوية الساحة. وهناك مساجد عديدة قد تبلغ في دمشق حوالى (٣٥٠) مسجداً أثرياً وحديثاً.

وفي دمشق ضريح الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وضريح السلطان صلاح الدين الأيوبي بمحاذاة المسجد الأموي،

وأضرحة العديد من الصحابة، والأئمة والمفتين ورجال العلم مثل ضريح سيدنا أوس الثقفي، ومقام السيدة زينب الذي يرتاده يومياً الآلاف من الناس من دمشق ومن العالم الإسلامي. وقد ضم المقام عبر سنين أضرحة الكثير من العلماء ورجال السياسة والمجتمع. كما أن جبل قاسيون الذي هو معلم من معالم دمشق، والذي أصبح يضم اليوم مجمعاً سياحياً، كان قد دفن على سفحه الكثير من العلماء المسلمين، سواء علماء دمشق أو بيروت. كما تضم جبانات دمشق التاريخية العديد من أضرحة العلماء والفقهاء منهم ضريح مفتي بيروت في القرن التاسع عشر العالم الشيخ محمد أفندي الحلواني الذي دفن بمقبرة الباب الصغير قريباً من ضريح الصحابي أوس الثقفي. ويوجد في دمشق أيضاً مزار رجال الأربعين.

ومن كنائس دمشق التاريخية: كنيسة المريمية، كنيسة مار يوحنا الدمشقي، كنيسة الميدان، كنيسة سيدة النياح، كنيسة مار موسى وكنائس عديدة قديمة وحديثة لمختلف الطوائف المسيحية.

أما أهم أسواق دمشق المميزة حتى اليوم، فهو سوق الحميدية الذي أقيم في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، لذا أطلق عليه «الحميدية». وهو سوق مسقوف يشبه القيساريات القديمة، ويمتد امتداداً كبيراً، يحتاج المتجول فيه أو المتبضع إلى ساعات أو إلى أيام لشراء حاجياته، فهو يضم مختلف المنتجات الصناعية والأثرية والأشربة والأطعمة، والأقمشة والنحاسيات والأدوات الخشبية والفضية والذهبية، والقطنيات والمنسوجات والألبسة الشرقية وأدوات الزينة الشرقية الخاصة بتجميل البيوت من الداخل كقطع الأسلحة الأثرية والسيوف والخناجر والطيور الخشبية. وبكلمة

موجزة فإن سوق الحميدية يضم ما تضمه دمشق مجتمعة من منتجات وأدوات وتراث. ويتفرع من السوق أسواق فرعية هامة تضم بعض المصانع الخاصة بالقطنيات والشراشف والنحاسيات. ومن أسواق دمشق أيضاً سوق صاروجا، سوق الروم (الأروام)، سوق الخياطين، سوق السلاح، سوق النخالين، سوق القماحين، سوق القطن، سوق النحاسين، سوق الحدادين، سوق الأساكفة، سوق الخضار، سوق الجوهرجية، سوق الخيطان، سوق الأقمشة العربية، سوق القيطان وسواها من أسواق عديدة تحمل أسماء المهن العاملة فيها، أو شوارع هامة مثل شارع شكري القوتلي وسواه.

ومن مناطق دمشق وحاراتها: منطقة المهاجرين حيث المقر الرئاسي للجمهورية السورية، وهي من أرقى المناطق الدمشقية، منطقة الصالحية، منطقة السليمانية، منطقة معرض دمشق الدولي، منطقة الميدان، المرجة، القنوات، البحصة، الغوطة، السويقة، حي الأكراد، الصابونية، الصاغة العتيقة، القرشي، حارة زيتون، البرامكة، حنانيا، الدرويشية، الشاغور، العمارة، حارة اليهود، حارة النصارى، القابون، السبع بحرات، وسواها من المناطق والحارات بما فيها ضواحي دمشق التي تضم مناطق هامة مثل دمر وهامة والزبداني. وتعتبر الزبداني من أهم وأجمل مناطق الإصطياف في دمشق، يقصدها السياح العرب والأجانب من مختلف المناطق والدول.

والحقيقة فإن ما يميز دمشق منظر مياه نهر بردى الذي يشق دمشق إلى جهتين لا سيما من جهة مدخلها الرئيسي، حيث يتم

الإنتقال من جهة إلى أخرى بواسطة الجسور. وفي هـذه المنطقـة يقـام عادةً معـرض دمشق الدولي في آخـر صيف كل سنـة، حيث يشتـرك فيـه مختلف دول العـالم ويضم مختلـف المنتـجـات والمعروضات الصناعية والزراعية والاقتصادية والتجارية.

وتتميز دمشق بعذوبة مياهها المشهورة لا سيما مياه بردى، وهي مياه عذبة صحية مثلجة على الدوام صيفاً وشتاءً. وتكثر في دمشق الحمـامات الأثـرية والحـديثة المقـامة على النمط التـركي، حيث يرتادها الزائرون للإستطلاع أو للإغتسال.

ومن مبانيها المميزة المباني الأثـرية ذات السقـوف القرميـدية الموجودة إزاء التكية السليمانية، ومبنى سكة حديد الحجـاز، وهو يعتبر من المعالم الهامة في دمشق، ومبنى مركز البلدية القديم، وهو من المباني العثمانيـة التراثيـة، ولا يزال ينتصب في المـرجة حتى اليوم نصب (عامود) حديدي معروف باسم عامود تلغراف الحجاز، وهو من ملامح دمشق العثمانيـة. وهناك أيضـاً مبنى البريـد والبرق العثماني وهو من المباني الأثرية المميزة.

ومن الفنادق القديمة في دمشق، فندق الشرق (Orient Palace Hôtel) ڤيكتوريا، اللذان نزل بهما الكثير من القادة والأمراء ورجال السياسة والمجتمع منذ العهـد العثماني وعهـد الانتداب الفـرنسي وعهد الاستقلال. علماً أن دمشق تضم الآن فنادق من أهم الفنادق الحديثة في الشرق.

ومن ملامح دمشق بقايا معبـد جوبيتـر وبعض الآثار اليـونانيـة والرومانية، غير أن الغالب على دمشق الآثار العربية والإسلامية منها قلعة دمشق التي سميت «الأسد الرابض» منذ عهود عديـدة، وهي

من بناء تاج الدولة تتش سنة (٤٧١هـ) حيث جعل بها مقر إمارته وسكنه. وقد أضاف إليها من جاء بعده، وخربت عدة مرات في عدة عهود، ثم أعيد بناؤها. وأمام القلعة جامع الحشر في الجانب الغربي منها.

وعرفت دمشق كثرة القصور التي بناها ملوكها وأمراؤها عبر التاريخ من العهد الأموي حتى العهد العثماني، ولا تزال بعض آثارها ماثلة حتى اليوم. كما عرفت الكثير من البيمارستانات (المستشفيات) وقد زارها الرحالة المسلم ابن جبير ووصفها وأعجب بمستواها، كما زارها الرحالة إبن حوقل والرحالة الإدريسي وسواهم. ومن القصور الهامة المميزة في دمشق قصر العظم الذي ينسب إلى أسعد باشا العظم (١٧٠١ ـ ١٧٥٧) والي دمشق وحامل لقب الوزارة. وهو الذي حرص على بناء هذا القصر الأثري وسط الأشجار وبركة من الماء، وهو الذي اختلف مع العثمانيين فأبعد عن دمشق ثم قتل في أنقره عام ١٧٥٧. ولا يزال هذا القصر يضم مجموعة نادرة من التحف والآثار، من أهم المعالم الأثرية والهندسية في دمشق بل وفي سوريا.

ودمشق منذ فجر التاريخ تتميز بموقع علمي وثقافي ممتاز، فقد كانت مركزاً علمياً زمن اليونان والرومان، كما تميزت بكثرة العلماء في العهود الإسلامية المتلاحقة. وشهدت ولادة العديد من المدارس العلمية والفقهية والطبية، حتى أن الرحالة ابن جبير الذي زار دمشق في إبان الحروب الصليبية قال إن في دمشق مدارس خاصة بالطب ومستشفيات متخصصة لكل مرض. ويتعذر علينا ذكر المدارس الدمشقية القديمة والحديثة نظراً لكثرتها وتنوع

اختصاصها. كما تتميز دمشق بكثرة معاهدها وكلياتها في مختلف التخصصات. أما جامعة دمشق فهي من الجامعات القديمة في العالم العربي، وتضم اليوم مختلف الكليات النظرية والعملية بما فيها كليات: الآداب، الحقوق، التجارة، الطب، الصيدلة، الهندسة المعمارية، الهندسة المدنية، الهندسة الكهربائية وبعض كليات التكنولوجيا الحديثة.

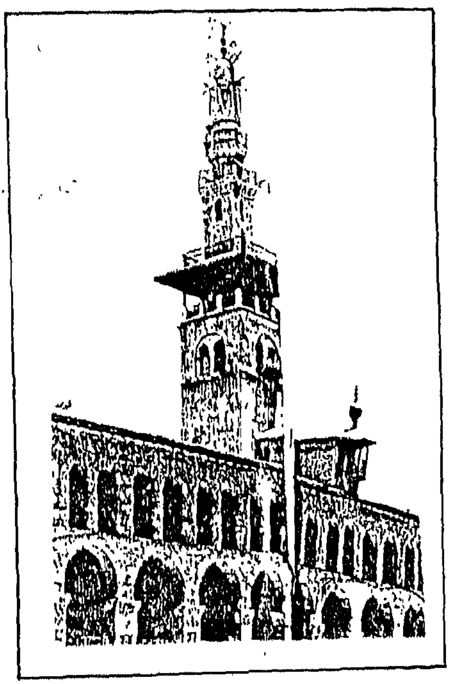
وفي دمشق مكتبة تاريخية قديمة هي المكتبة الظاهرية، التي تضم أمهات المصادر والمخطوطات في مختلف فروع العلم. وأقيم في دمشق منذ سنوات قليلة مكتبة حديثة هي مكتبة الأسد، حيث تضم أحدث المنشوارت والكتب، بالإضافة إلى مخطوطات نادرة جمعت من مختلف مراكز المخطوطات السورية والعربية. كما يوجد في دمشق مديرية الآثار التاريخية التي تهتم بالآثار السورية وترميمها أو البحث عنها وصيانتها، علماً أن هذه المديرية تضم وثائق ومخطوطات تعود إلى عهود قديمة، أهمها وثائق العهد العثماني.

أما مطار دمشق الجديد، فهو بخلاف المطار القديم، إذ أنه يعتبر من أهم المطارات الحديثة في المنطقة من حيث موقعه واتساعه والإمكانيات المتوفرة فيه. ويستقبل الطائرات القادمة من مختلف بقاع العالم.

وتتميز دمشق بشكل عام بحدائقها العامة المنسقة، وغوطتها المليئة بالأشجار والمياه، حيث ينتشر الناس للنزهة، لا سيما في العطلات والأعياد. أما فيما يختص بالعادات والتقاليد الدمشقية، فهي على غرار أكثر البلدان العربية والإسلامية لا سيما عادات

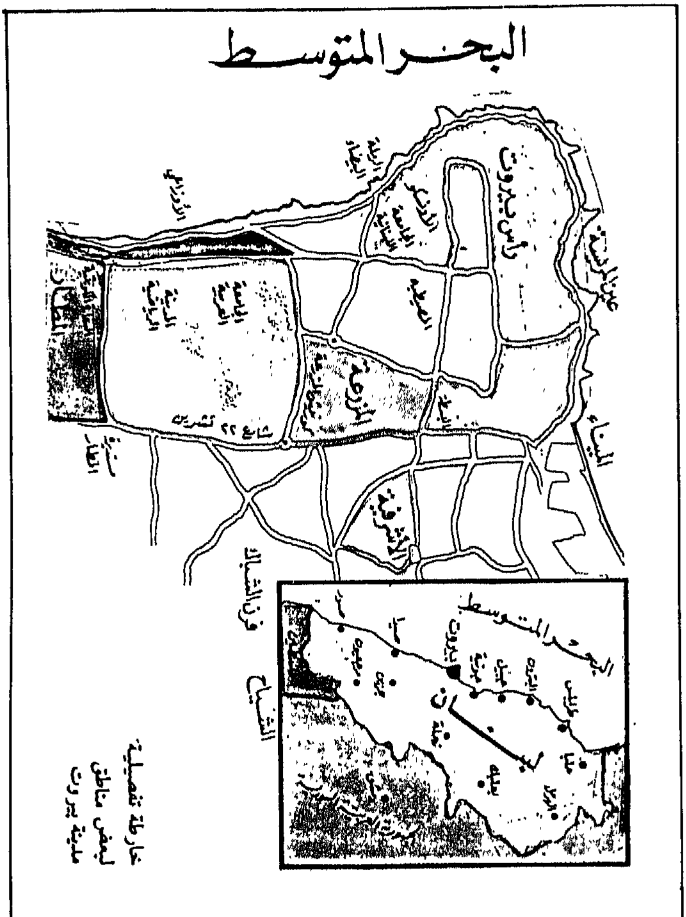
وتقاليد أهل الشام ومنها لبنان. كما أن أعيادهم هي الأعياد الإسلامية والمسيحية والأعياد الوطنية.

ويتميز الدمشقي بالعمل في الصناعة والتجارة وقطاع الخدمات والسياحة وأهم الصناعات الدمشقية: الأقمشة والنسيج والقطنيات، الذهب والنحاس والفضة، الخشب والتحف الأثرية المتنوعة، الحلويات الشرقية، الفواكه المجففة، الترابة، الخيطان، وغيرها. وأخيراً فإن دمشق من المدن الإسلامية الأصيلة بجذورها وتاريخها، وعريقة في أصالتها وحداثتها.

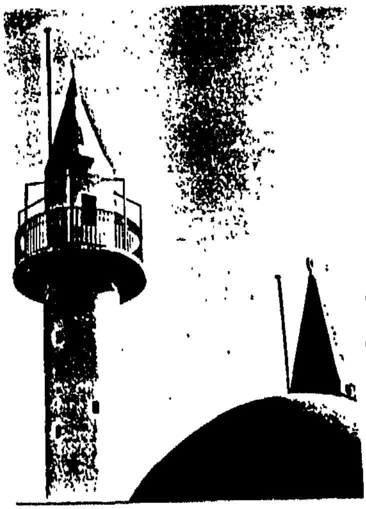


# بيروت

## تاريخ بيروت ولبنان منذ الفتح الإسلامي




خارطة تفصيلية لبعض مناطق مدينة بيروت



# بيروت

خضـع لبنـان عبـر عصـوره المختلفـة إلى دول وأمبراطـوريـات عديدة كانت تتبدل وتتغير باستمرار، إلى أن ظهـر الإسـلام واسـتـطاع العرب بقيادة خالد بن الـوليد وأبي عبيـدة بن الجراح من السيـطرة على دمشق حاضـرة الشـام. وفي عام ١٣ هجرية الموافق ٧٣٥ ميلادية سار يزيد بن أبي سفيان إلى صيدا وعرقة وجبيل وبيروت وهي مناطق سـاحلية استـطاع السيطرة عليها مع أخيه معاوية بن أبي سفيان، وبدأ حكم الروم يـزول من بلاد الشام ويختفي.

وكانت بيروت في العهد الأموي تُعد فُرْضَـة دمشق. ولما أراد معاوية غزو جزيرة قبرص عام ٢٧ هجرية عمّر المراكب في بيروت وجهّز فيها الجيش لمحاربة الروم، وصار المسلمون يتكاثـرون في بيروت والروم يقلون فيها حتى صارت مدينة إسلامية، وهكـذا بقية مـدن الساحـل. غير أن الـدولـة الأمـويـة استمـرت في استخـدام النصارى في دواوين الدولة نذكر منهم سرجـون بن منصور كـاتب

معاوية والكاتب رومانوس المرتل الذي خدم فيما بعد بصفة شمّاس في إحدى كنائس بيروت.

وفي العهد العباسي استمر الإهتمام ببيروت والمناطق اللبنانية، فاهتم الخلفاء بتحصين المناطق الساحلية ومد السيطرة إلى جبال لبنان، وقد استعان الخليفة أبو جعفر المنصور بالأمراء التنوخيين الذين قدموا إلى ضواحي بيروت وحكموا أواسط جبل لبنان وأقاموا فيه منذ بدء استيطانهم ومنذ عام ٧٦٣م في عهد أبي جعفر المنصور، كانت القبائل العربية التنوخية تشارك في صد غارات الروم. وقد نزل الأمير أرسلان أحد أمرائهم محلة رأس البيدر وقيل في سن الفيل وقطن آخرون منهم أرباض بيروت وصيدا. وقبيلة تنوخ هي القبيلة العربية الأولى التي دخلت جبل لبنان وحكمت جهة الغرب منه، بينما كان يحل في شمال الجبل الموارنة الذين كانوا يؤدون الجزية على أيدي المقدّمين مخلدين إلى الطاعة على ما جاء في المصادر القديمة.

وفي أواخر عهد الدولة الفاطمية ظهرت في بلاد الشام الدولة السلجوقية، وقد حدثت النزاعات بين الأمراء السلاجقة فاغتنم الفرصة خليفة مصر فساق الجيوش إلى سوريا واستولى على صيدا وصور وجبيل وعكا، وهكذا عادت المناطق السورية الساحلية إلى السلطة الفاطمية.

هذا وقد أشار الرحالة العرب ووصفوا المدن اللبنانية - السورية منهم على سبيل المثال: إبن خرداذبه، المقدسي، إبن الفقيه، الاصطخري، إبن حوقل، إبن رسته، ناصر

خسرو، إبن القلانسي، إبن جبير، إبن بطوطة وسواهم الكثير. ومما قاله المقدسي في «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»: «وصيداء وبيروت مدينتان على الساحل حصينتان وكذلك طرابلس إلا أنها أجلّ، وعرقة حصينة داخل الحصن مزارع... وصور مدينة حصينة على البحر، بل فيه يُدخل إليها من باب واحد على جسر واحد قد أحاط البحر بها...». وقال الاصطخري في «المسالك والممالك»: «بيروت مدينة على شط بحر الروم حصينة من عمل دمشق بها مقام الأوزاعي» وقال ابن حوقل في «صورة الأرض»: «بيروت على الساحل... وبها يرابط أهل دمشق وسائر جندها وإليها ينفرون عند استنفارهم... وهي متينة السور، رخيصة الأسعار، جيدة الأهل مع منعة فيهم من عدوهم وصلاحٍ في عامة أمورهم».

أما ناصر خسرو فقد تجول في المناطق اللبنانية - السورية عام ٤٣٨هـ - الموافق ١٠٤٠م ووصف رحلته في «سفر نامه» فتحدث عن طرابلس والقلمون والبترون وجبيل وبيروت وصيدا وصور وسواها معدداً أوضاعها العمرانية والاقتصادية والاجتماعية. وقد استحسن ناصر خسرو منظر صيدا وأسوارها المتينة، وجامعها المفروش بالطنافس البديعة وقال عن أسواقها إنها حسنة جداً مزدانة بالحلي كأن أهلها في انتظار أحد الملوك. فسأل عن الخبر، فكان جوابهم: إن المدينة على هذه الصورة أبداً وباستمرار. أما حدائقها فخُيل له أنها غرست لسلطان. وأما صور فقد أعجب بأسوارها ونوافير مياهها. أما أسواقها فهي كثيرة الخيرات وهي مشهورة بين مدن الشام بغناها وسعدها.

وشرح يحيى بن سعيد الأنطاكي في تاريخه «الذيل على تاريخ إبن البطريق» أحداث عام ٣٦٤هـ - ٩٧٥م الأحداث التي مرت على مدن الساحل، فذكر غزوة الملك يوحنا زيميسيس (J. Zimiseés) (إبن الشمشقيق) الذي احتل الشام ونزل بعلبك، وسار على طريق الساحل ففتح بيروت وأسر أميرها نصر الخادم، ونزل على طرابلس وقاتلها. وأشار إبن القلانسي في تاريخه «ذيل تاريخ دمشق» كيف أن الملك يوحنا لما حاول احتلال ثغر بيروت امتنع أهلها عليه ودافعوا عن مدينتهم دفاعاً مستميتاً إلى أن افتتحها عنوة ونهبها وسبى السبي الكثير. وتوجه إلى جبيل فاعتصم أهلها وقاوموه مقاومة باسلة إلى أن افتتحها وجرى أمرها ما جرى في بيروت، بينما لم يستطع إحتلال طرابلس رغم محاولاته.

هذا وقد أشار أكثر الرحالة والمؤرخين إلى أن ما يميز بيروت وبلاد الشام في العهد العباسي هو وجود الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي الذي كانت له زاوية يدرس فيها في المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم سوق الطويلة، بينما دفن في جنوبي بيروت في منطقة حنتوس والتي عرفت فيما بعد باسمه أي منطقة الأوزاعي.

أما لبنان في العهد الصليبي منذ عام ٤٩١هـ - ١٠٩٩م فقد وصفه المؤرخون المسلمون والإفرنج وأشاروا إلى كيفية احتلال المدن السورية وأوضاعها والظروف الخاضعة لها. وكانت المناطق منقسمة إلى عدة بارونيات وإمارات على كل منها بارون أو أمير. غير أن المسلمين لم يدعوا الصليبيين في راحة خلال إقامتهم

الطويلة في البلاد، بل كانوا على الدوام يحاربونهم بهدف إخراجهم من مدنهم ومناطقهم. وقد أشار إبن جبير وأسامة بن منقذ وإبن شداد وسواهم إلى أوضاع البلاد الشامية والعلاقات بين المسلمين والصليبيين في هذه الفترة، وكيفية استفادة الصليبيين من العرب والمسلمين في كافة المجالات ووجوه الحياة.

هذا ولم يخلُ لبنان وسواحله في عهد الصليبيين من نكبات الزلازل لا سيما زلازل السنتين ١١٥٧ و١٢٠٣ للميلاد، وقد أشار إلى الزلزال الأول إبن الأثير بينما أشار عبد اللطيف البغدادي إلى الزلزال الثاني. كما توفي في بيروت عام ١١٦٢م ملك القدس بغدوين الثالث، وكان راجعاً من أنطاكية إلى حاضرة مملكته، فمات على ما يقال مسموماً بدسيسة طبيب يهودي يقال له «براقا».

هذا وقد برزت بعض الأسر في العهد الصليبي نتيجة جهادها ودفاعها عن البلاد نذكر منهم آل تنوخ الذي عاشوا فترة في بيروت وسواحلها الجنوبية إلى خلدة فالدامور وفي مقاطعات جبل لبنان في الشوف والشحّار والغرب الأقصى والأعلى. كما برز مشايخ آل تلحوق الذين نزلوا إلى بيروت عام ٥٣٩هـ - ١١٤٤م فسكنوا رأس بيروت، وعلى رأسهم الشيخ شاهين تلحوق صاحب القيسارية المعروفة باسمه. ومن الأسر البارزة في هذه الفترة في بيروت أمراء بني الحمراء الذين كانوا يقطنون مناطق رأس بيروت، وقد اتخذت أهم منطقة في بيروت إسمهم هي منطقة وشارع الحمراء.

هذا وقد انتقل الحكم في البلاد الشامية ومنها لبنان إلى العهد المملوكي ومن ثم إلى العهد العثماني إبتداءً من معركة مرج دابق عام ١٥١٦. وكانت بيروت قد بدأت تتحول إلى الإسلام منذ أن افتتحها المسلمون عام ١٣هـ ـ ٦٣٥م، وكلما مرت العصور الإسلامية كانت تزداد ملامحها وخصائصها الإسلامية باستثناء بعض مراحل السيطرة الصليبية.

## سُور وأبواب بَيروت العثمانيَّة

تقع مدينة بيروت على الشاطىء الشرقي من البحر المتوسط، يحدها غرباً البحر، وجنوباً ضواحيها ومنطقة خلدة امتداداً إلى صيدا وجوارها، وشرقاً جبل لبنان، وشمالاً البحر وبعض المناطق ـ الضواحي الشمالية. وتقع بيروت في إقليم معتدل يتميز بجودة الطقس واعتدال في المناخ وجمال في المنظر. وتشير بعض المصادر التاريخية القديمة بأنه أطلق على بيروت إسم «بَيروتوس» (Beroutos) كما أطلق عليها الرومان إسم (Felix Julia). كما أطلق عليها أيضاً إسم «بيريت»، ويقال بأن سبب هذه التسمية مشتق من اللفظ السامي «البئر»، وذلك نظراً لكثرة وجود الآبار والينابيع فيها.

ومن الأهمية بمكان القول بأن ذكر بيروت ورد في رسائل تل العمارنة وفي النقوش المصرية القديمة، كما ورد ذكرها في التوراة. كما أشار إليها: استرابون (Strabon) وبلين (Pline) وبطليموس، وكذلك إبن زرعة وابن عساكر وابن بطوطة وابن حوقل والإدريسي

وناصر خسرو وصالح بن يحيى وعبد الغني النابلسي والكثير من الرحالة والمؤرخين والجغرافيين.

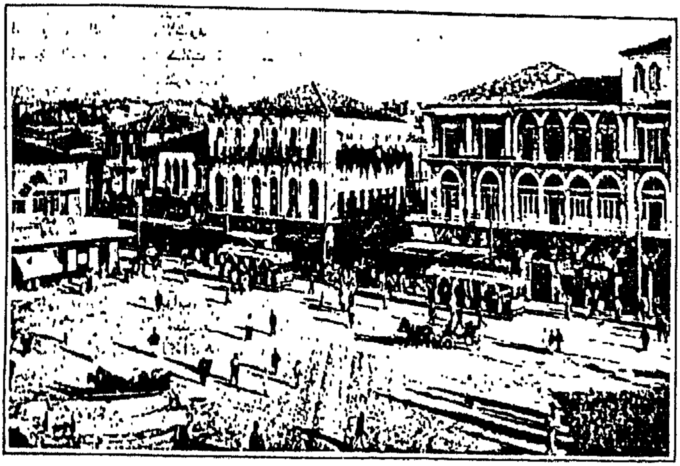
لقد وصف ابن حوقل في كتابه «صورة الأرض» بيروت، كما وصفها الحميري في كتابه «الروض المعطار في خبر الأقطار» مشيراً إلى أهميتها وإلى سورها قائلاً بأنها: «في ساحل الشام... وفيها كان أبو الدرداء رضي الله عنه نازلاً... وعلى بيروت سور حجارة... وبها غيضة أشجار صنوبر تتصل إلى جبل لبنان... وشرب أهلها من الآبار...». وأشار صالح بن يحيى في كتابه «تاريخ بيروت» «بأن بيروت مدينة قديمة جداً يستدل على قدمها بعتق سورها... ومما يستدل على كبر بيروت وسعتها ما يجده الناس في الحدائق بظاهرها من الرخام وآثار العماير القديمة... فلما عمّروا السور اختصروه على القدر الذي هو عليه اليوم...».

والواقع فإن تطور مدينة بيروت خارج السور، إنما جاء نتيجة متطلبات اجتماعية واقتصادية وسكانية، حيث بدأت أعداد السكان تزداد تباعاً. وكانت بيروت حتى عام ١٧٤٦ مجرد مدينة متواضعة تخضع لأحد الضباط العثمانيين. ثم سرعان ما بدأت بالتطور الاقتصادي نتيجة للأمن الذي تميزت به، ونتيجة جهود تجارها وسكانها من المسلمين والمسيحيين، مع ما يتميز به ميناؤها من مميزات تؤمن الرسو والأمان للسفن، علماً أن روح التسامح عند المسلمين شد إليها الكثير من التجار الأجانب وتجار المناطق اللبنانية والشامية لا سيما دمشق. وبدأ هؤلاء التجار يتوافدون إلى باطن المدينة إلى داخل سورها لممارسة نشاطاتهم التجارية.

لقد شهدت بيروت بعض الجمود في عهد أحمد باشا الجزار (١٧٧٦ - ١٨٠٤) ولكن سرعان ما استعادت نشاطها في عهد سليمان باشا (١٨٠٤ - ١٨١٨). وكانت بيروت العثمانية قبل توسعها الكبير يسيجها سورها الذي قام بتحديده في العصور الوسطى الأمير بيدمر نائب الشام ثم قام بتحسينه أحمد باشا الجزار في أواخر القرن الثامن عشر.

وعندما يقال بيروت العثمانية إنما كان يقصد بها بيروت الوادعة داخل سورها، وفيما عدا ذلك من مناطق تدخل اليوم في نطاق بيروت فإنما كانت تعتبر ضواحي لبيروت في العهد العثماني. فقد كانت مثلاً البسطة والمصيطبة وبرج أبي حيدر وزقاق البلاط والقنطاري والباشوراء والنويري والجميزة والصيفي والأشرفية وسواها من المناطق البيروتية، إنما كانت تعتبر ضواحي لبيروت. وكانت تتميز بكثرة بساتينها ومزارعها وأشجارها لا سيما التوت المرتبطة زراعته بإنتاج الحرير، وكذا الجميز والصبير والزعرور والزنزلخت وسواها.

وكان يتخلل سور بيروت، أو كما يلفظه «البيارتة» «الصور» بالصاد سبعة أبواب (وباب ثامن مستحدث) وبعض الأبراج العسكرية. ويبدو أن المسلمين منذ أن حكموا بيروت بدأوا يعدلون ويضيفون في أبواب السور حتى أصبحت قبل هدم السور سبعة أبواب، لارتباط هذا العدد بالمعتقدات الدينية منها «سبع سماوات طباقاً» وأبواب الجنة السبعة، والكواكب السيارة السبعة، ومعتقدات دينية قديمة مرتبطة بالتفاؤل بهذا العدد. ويرى الشيخ طه الولي في



* باب أبو النصر يظهر من ساحة البرج.



* باب الدركة وجامع الدركة في مطلع القرن العشرين.

دراسة عن «أبواب بيروت» بأن عدد أبواب بيروت السبعة «إنما هو من قبيل التفاؤل بقدرة هذا العدد على حصانة هذه الأبواب وكفايتها على حماية البلد وأهله من أذى وعدوان كل شانىء يتربص به الدوائر سواء من داخل لبنان أو من خارجه».

كان سور بيروت يمتد من الجهة الشمالية للساحة (التي عرفت في ما بعد بساحة رياض الصلح) أي شمال (الهال) أو كما يقال (الهول) وشمال موقع السبيل الحميدي، وبمحاذاة حائط سينما كابيتول، ثم يسير شرقاً حتى كنيسة مار جرجس المارونية التي كانت تقع عند بنائها داخل السور. ثم يمتد السور إلى أسواق أبو النصر إلى أن يصل السور إلى بناية دعبول تجاه جامع السراي (جامع الأمير منصور عساف) حيث باب السراي. ثم ينحدر السور شمالاً إلى آخر شارع فوش الحالي عند الطرف الغربي لمرفأ بيروت. ثم يمتد السور غرباً حتى مقبرة السمطية. التي كانت خارج السور على غرار بقية المقابر. ثم يرتفع السور من السمطية إلى الشارع الممتد حالياً باتجاه باب إدريس، ثم صعوداً إلى كنيسة الكبوشية التي كانت خارج السور، فمدرسة الشيخ عبد الباسط الأنسي، فسوق المنجدين (أي شارع المصارف اليوم)، ويستمر السور صعوداً إلى أن يلتقي مع البداية التي انطلق منها في الساحة أي ساحة السور.

يقول الكونت «دومنيل دوبويسون» في مقال نشرته له مجلة (Syria) عام ١٩٢١ وأعادت نشره مجلة «المشرق» عام ١٩٢٢ تحت عنوان «استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة» العدد (٩) أيلول ١٩٢٢ ما نصه: «فكان الناظر إذا حدق البصر إلى المدينة

من مشارفها في جنوبها الغربي أو من رأس السنطية يراها محدقة بنطاق من الأسوار القديمة على شكل مربع مستطيل يمتد من الشمال إلى الجنوب. . . وهذا ما كانوا يدعونه ببيروت المربعة. . . وكان قياس تلك المدينة من أرصفة مرفأها القديم إلى باب الدركة الجنوبي يبلغ (٥٧٠) متراً فقط. أما قياس امتدادها من بابها الشرقي أي باب السراي إلى بابها الغربي باب إدريس فما كان يزيد عن (٣٧٠) متراً. وكان الغالب عليها أسواقها التي في النهار كانت تموج في وسطها وعند أبوابها بحركة البائعين والتجار، ثم تعود إلى هدوئها ليلاً بعد أن تقفل أبوابها وتودع مفاتيحها عند واليها».

ويتحدث الشيخ عبد القادر قباني عن ذكرياته في بيروت العثمانية قبل زوال سورها وأبوابها ويقول: «. . . لقد أدركت هذه الأبواب تُغلق بعد الغروب بساعتين وتفتح صباحاً. . . وكان بالأبراج بجوار الأبواب جند للمحافظة، وكان لهم وللمدفعية في القلعة والطوابي شأن مع سفن اليونان الذين غزوها مع الفجر وارتدوا أدراجهم غير موفقين بعد معركة سنة ١٢٤٠هـ».

وفي العهد المصري صدرت إرادة القائد المصري إبراهيم باشا بن محمد علي باشا بإقفال أبواب بيروت حفاظاً على سكانها وأمنها، وقد أعلم إبراهيم باشا القناصل الأجانب بهذه الخطوة، ومنها رسالته إلى القنصل الإنكليزي في بيروت أعلمه فيها مبررات إتخاذ هذا القرار وفي ما يلي نص الرسالة:

«الجناب الأكرم، حضرة المحب الأجل المحترم قنسلوس بك دولة الإنكليز المحتشم حفظه الله تعالى.

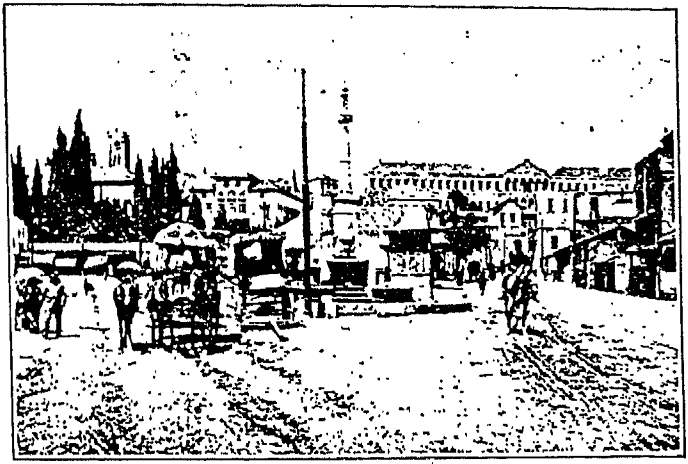
ليس خافي محبتكم الحال الواقع من ظهور خروج بعض أشقياء من رعايا جبل لبنان كما هو المسموع والمحسوس بالقرب من هذه الناحية، ومن جراء ذلك رعايا بيروت من إسلام وذميين سِكْنا البرية، محتسبين وعمال ينزلوا عفشهم إلى البلدة، والبعض نزلوا من محلاتهم إلى البلدة، فبحيث الحالة هذه وللمحافظة المأمورين بها، واحتراساً لأمر ما، اقتضى التنبيه بأن كافة البوابات تقفل أذان المغرب وبالإذن يصير فتح بوابة السراي إلى حد العشاء فقط، وبعد أذان العشاء المتقدم شرحه، ما في رخصة لفتح البوابة كلياً، بل الذي يكون داخل البلدة يفضل بها كما والذي خارج البلدة أيضاً، وحيث ذلك عايد لراحة الضمير ولأجل المحافظة المأمورين بها اقتضى إفادة محبتكم بذلك وأنه تعالى يحفظكم».

الختم

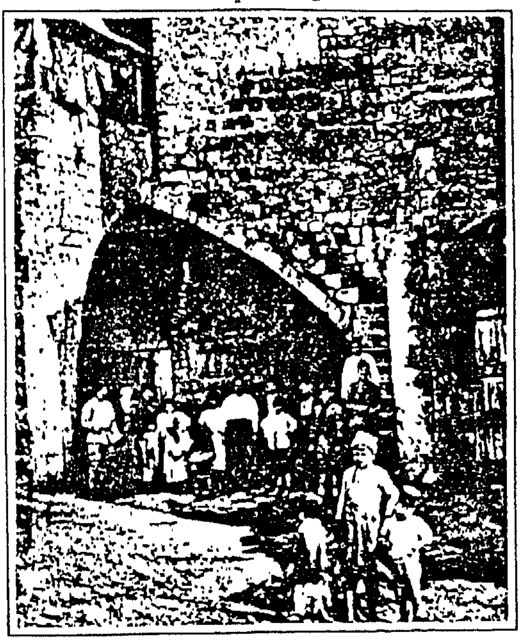
محمود نامي

مير محمود

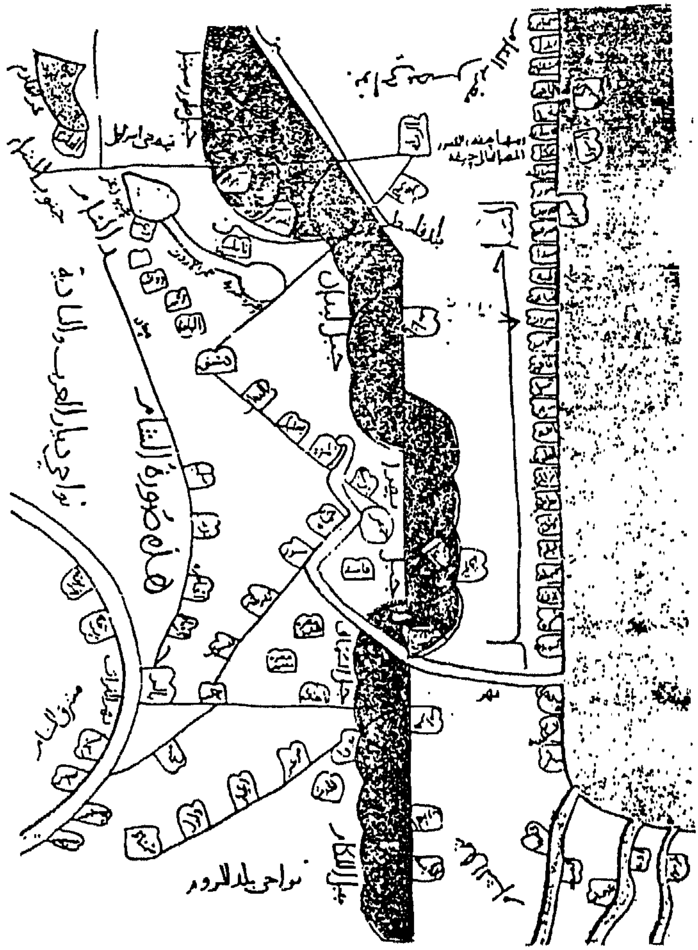
محافظ بيروت



* ساحة السور - السبيل الحميدي.



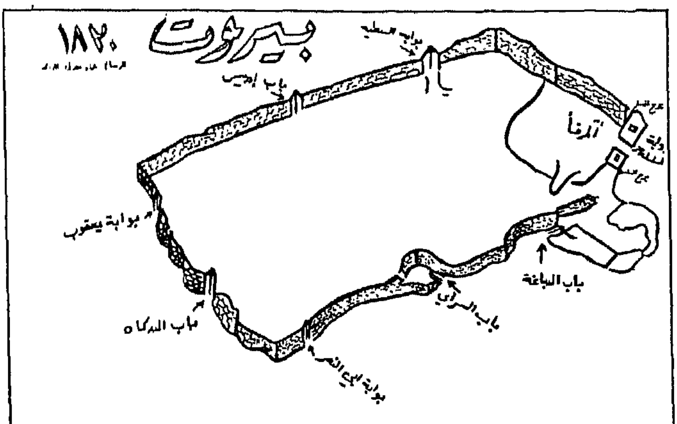
* باب السراي، أحد أبواب بيروت العثمانية.



* صورة الشام وبيروت كما وردت عند ابن حوقل.



* مرفأ بيروت حيث يظهر باب السلسلة. (بارتلت - ١٨٣٤).




رسم عماد حلاق.

* بيروت وأبوابها عام ١٨٣٠.

وتـدل هذه الـرسالـة على الكثير من الأمـور، منهـا أن أبـواب بيــروت كــانت لا تــزال عــاملة في أيــام الـحكـم المـصــري ١٨٣١ ـ ١٨٤٠، وأنها كانت تقفل عند المغـرب، باستثنـاء باب السراي وهو الباب الرئيسي الـذي كان يقفـل عند العشـاء، وذلك لصباح اليوم التالي حفاظاً على الأمن والإستقرار في البلدة.

أما أبواب بيروت فهي: بوابة يعقوب، باب الدركاه (الدركه)، باب أبو النصر (باب مستحدث) باب السراي، باب الدباغة، باب السلسلة، باب السمطية، باب إدريس.

أمـا ملامـح ومواقـع هذه الأبـواب فهي بالتسلسـل على النحو التالي:

١ ـ بـوابة يعقـوب: أو باب يعقـوب، ويقع هـذا البـاب في الجهـة الجنوبيـة لبيروت القـديمة على الـطرف الشمـالي لـطلعـة الأميركان شرقي سراي الحكومة (التي انتقلت مكاتبها منـذ سنوات قليلة إلى الصنائع). وكان باب يعقوب يؤدي إلى ساحة السور التي عرفت في ما بعد باسم ساحة السبيل الحميدي ومن ثم ساحة رياض الصلح. وهناك رأي يشير إلى أن أحمد باشا الجزار هو الذي أقـام هذا الباب في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. كما ينسب هذا الباب إلى أحد القاطنين بقربه وهو إما يعقوب الكسرواني أو الطبيب يعقوب أبيلا قنصل انكلترا في صيد المتوفى عام ١٨١٣. وكان يقع بالطرف الشمالي من باب يعقوب جامع بوابة يعقوب أو جامع شيخ السربة. وكان يوجد أمامه السوق المعروف باسم بوابة يعقوب. كما كان بمحاذاته زاوية الشيخ حسن الراعي، وحـديقة خلف دكـاكين

البوابة، ومن ملامح بيروت العثمانية المهمة الواقعة قرب بوابة يعقوب المحلة المعروفة بالثكنات و«الخسته خانه» أي المستشفى الحكومي العثماني (وهي المحلة التي أصبحت في عهد الإنتداب الفرنسي وعهد الإستقلال سراي الحكومة ومقر العدلية).

٢ ـ **باب الدركه**: وموقع هذا الباب قريب من أول شارع المعرض من جهة القبلة (الجنوب)، وكان يوجد بمحاذاته زاوية ومسجد الدركه. والدركاه لفظ فارسي يعني باب القصر أو الفندق. ومن جهة أخرى فإن باب الدركه كان يطل على درج رجال الأربعين الشهير في بيروت، كما وجد بالقرب من باب الدركه حمام الدركه ومنطقة مياه الدركه. ومن ملامح الباب حتى أواخر القرن التاسع عشر عبارة مثبتة على لوحة قديمة لباب الدركه معناها «أيها الداخل بهذا الباب إفتكر بالرحمة». وتشير المصادر التاريخية بأن القائد المصري إبراهيم باشا دخل بيروت عام ١٨٣١ من هذا الباب، وشق طريقه إلى السراي في موكب ضخم تظلله أقواس النصر ومعالم الزين والقباب.

ويذكر بأن باب الدركه من أجمل أبواب بيروت العثمانية، لما كان عليه من نقوش ومتانة وإتقان، وفيه من الملامح العسكرية ما يلفت النظر، حيث الكوات (الكوى) المعدة لرمي النار، ويوجد فيه مكان مخصص للحرس لضرب العدو من أعلى.

٣ ـ **باب أبو النصر**: وكان موقعه قريباً من سوق الخضار واللحوم والأسماك، وقريباً من سوق الجوهرجية، ويطل أيضاً على ساحة البرج. سمي بهذا الإسم نسبة إلى الشيخ أبي الوفاء عمر أبي

النصر اليافي والد نقيب الأشراف الشيخ عبد الكريم أبو النصر اليافي. غير أن هذا الباب لا يعتبر من أبواب بيروت القديمة، وإنما من مستحدثات القرن التاسع عشر.

ويشير الكونت دومنيل دوبويسون إلى هذا الباب بقوله: «... هناك زقاق ومعبر مقبب يتجه إلى الجنوب الغربي نحو كنيسة مار جرجس الكاتدرائية [المارونية] فإنها كانت داخله ضمن السور وآخر دار تراها في هذا المعبر عن شمالك قبل دخولك تحت البناء المقبب، هي دار الأمير عبد القادر [الجزائري] سكنها عندما مر ببيروت... ويدعى ذلك المعبر المقبب الذي بقرب هذه الدار «باب أبو النصر» ينفذ منه الإنسان إلى «سوق أبو النصر». ومن دقّق النظر في هذا الباب لا يسعه أن يسلّم بكونه من أبواب المدينة رغماً عما يُرى على جداره الخارجي من آثار التحصين...».

٤ ـ باب السراي: ويعرف هذا الباب أيضاً باسم باب المصلى، وهو أحد أبواب بيروت الشهيرة والمميزة والرئيسية. وكان موقعه قرب جامع الأمير منصور عساف وتحديداً مكان حديقة البلدية الصغرى تجاه نظارات المجذوب. وكان يحد باب السراي من الغرب سراي الأمير فخر الدين القديمة التي تهدمت عام ١٨٨٢. وقد شيّد مكانها ومكان حديقتها «سوق سرسق وتويني وشركاهما». ومن الشرق الطريق المؤدية إلى محلة المدور، ومن الجنوب خان الوحوش وسهلات البرج حيث تقع ساحة الشهداء أو البرج وسينما أوبرا حيث كانت اسطبلات الأمير فخر الدين المعني. ومن الشمال خان سعيد آغا وبعض الأبنية المجاورة للخان شرقاً. وكما أشرنا

سابقاً فإن باب السراي يستمر مفتوحاً إلى حين صلاة العشاء، في حين تقفل جميع أبواب بيروت عند صلاة المغرب. لقد بقي باب السراي قائماً بحالة جيدة إلى أن تم هدمه عام ١٩٢٧ عندما بدأ الانتداب الفرنسي بتخطيط الشوارع في بيروت العثمانية وهدم المعالم العثمانية والحيلولة دون ربط حاضرنا بماضينا.

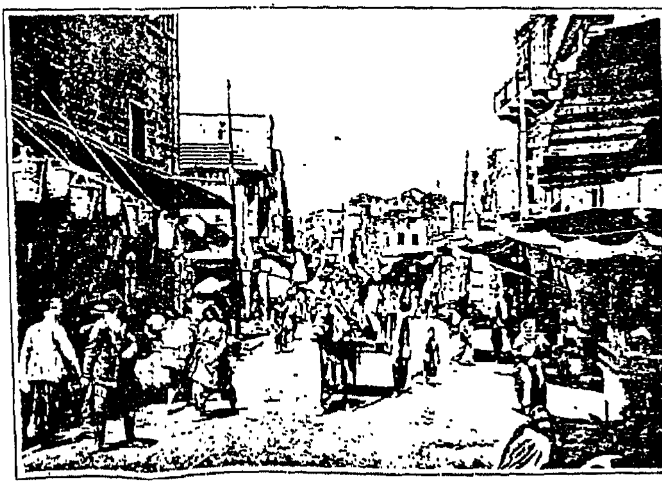
٥ ـ باب الدباغة: يقع هذا الباب في طرف سور بيروت العثمانية في الجهة الشرقية لميناء بيروت المحروسة. سمي هذا الباب بهذا الإسم لوجود دباغة بقربه لدبغ الجلود، كما سمي الجامع المحاذي له جامع الدباغة (جامع الصدّيق في ما بعد). وكان يوجد أمامه دار على جانب البحر للأمير ناصر الدين التنوخي المتوفى ١٣٥٠م. وكان يتفرع من باب الدباغة طريق فرعية تطل على سوق القطن. ويعتبر هذا الباب من أكثر أبواب المدينة ازدحاماً بالتجار لقربه من الميناء. وتشير سجلات المحكمة الشرعية في بيروت إلى أنه كان يوجد أمام باب الدباغة المركز الخاص بتحصيل المكوس والضرائب المقررة على البضائع الصادرة والواردة.

دومنيل دوبويسون يصف هذا الباب بقوله: «وباب الدباغة قد فتح في نفس البدّنة عرضه نحو مترين و٦٠ سنتم كان يعلوه قوس محدب من حجر وبقرب القوس المذكور من باطنه خشبة ضخمة تعترضه لها في طرفيها ثقبان لجاروري الباب الأعليين، وعلى هذا المثال بقية الأبواب كباب السراية وباب يعقوب وباب قلعة المعز في صيدا. وقد أقيم فوق الباب لحراسته بناية مستندة إلى ثلاث دعائم كان الجنود يرمون بها القذائف على العدو. وكان باب السراية مجهزاً بمثلها...».

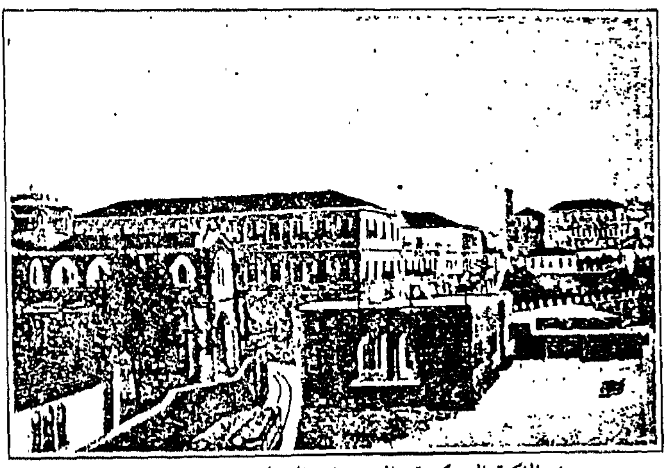
٦ ـ باب السلسلة: وهو من أبواب بيروت القديمة، إذ يعود تاريخه إلى أيام نائب الشام الأمير بيدمر الخوارزمي المملوكي، وقد أشار إلى ذلك صالح بن يحيى في كتابه «تاريخ بيروت».



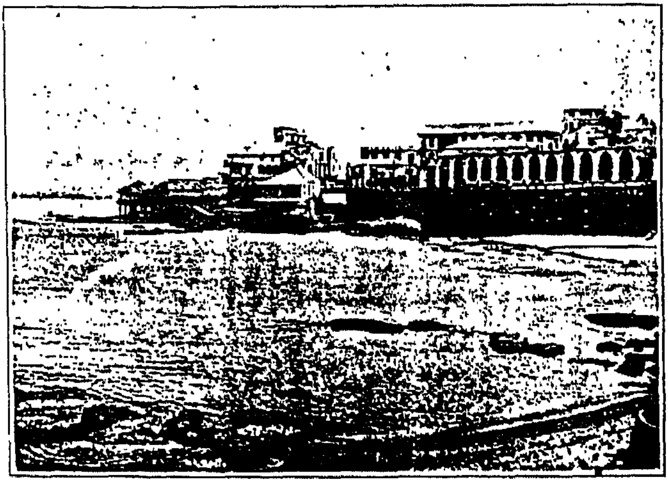
* بيروت العثمانية مسيجة بالسور وتلف بها أشجار التوت.



* محلة باب إدريس في مطلع القرن العشرين.



* الثكنة العسكرية والمستشفى العسكري وكنيسة الكبوشية في نهاية العهد التركي.



* الطريق إلى باب السمطية، وتظهر في الصورة مقهى الحمراء ومقهى البحرين ومقهى الحاج داوود.

موقع هذا الباب قرب مرفأ بيروت المحروسة شمالاً، وقد سمي بهذا الإسم لوجود سلسلة في المرفأ تؤمن الرسو للسفن بأمان، وتمنع المراكب الصغيرة من الدخول أو الخروج، وتؤمن هذه السلسلة بواسطة الحراس المراقبة على سير حركة المرفأ. ووجد بالقرب من الباب أحد أبراج مدينة بيروت العاملة، وقد عرف هذا البرج باسم «برج السلسلة». وكان باب السلسلة بين برجين: برج الفنار وبرج السلسلة. وقد جاء ذكر باب السلسلة في كتاب صالح بن يحيى حيث قال: «لما جدد الأمير بيدمر نائب الشام سور بيروت على جانب البحر، جعل أوله من عند الحارة التي لنا على

البحر واصلاً تحت البرج الصغير العتيق المعروف ببرج البعلبكية، وجعل بين هذا السور وبين البرج المذكور باباً وركب عليه سلسلة تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج فسمي «باب السلسلة». هذا وقد هدم هذا الباب أثر عاصفة هوجاء ضربت مرفأ بيروت عام ١٨٤٩.

٧ - باب السمطية: يقع هذا الباب من الجهة الشمالية لسور بيروت المحروسة إزاء البحر. وقد وجد بالقرب منه ولكن خارج السور مقبرة السمطية الشهيرة بالقرب من مقهى الحاج داوود الذي هدم منذ سنوات قليلة، في الطريق المؤدية إلى مرفأ بيروت. وقد سمي هذا الباب بالسمطية نسبة إلى السماط وهو جانب الطريق أو رصيفه، حيث كان الباعة والتجار يعرضون بضائعهم على جانبي السماط للبيع والشراء، حيث يتكاثر التجار في الطريق من وإلى المرفأ.

ويذكر الكونت دومنيل دوبويسون في مقالته «استحكامات بيروت وتحصيناتها القديمة» ما نصه: «كان السور يمتد من باب إدريس إلى شارع سوق الجميل حيث كان باب المدينة الأخير المدعو باب السنطية قريباً من البحر، وأمامه مقبرة السنطية التي تُرى آثارها شمال شارع الفرنسويين. وفي خوارط الإنكليز في أواسط القرن التاسع عشر ترى بإزاء الباب من داخل المدينة حقلاً من أشجار التوت كان يمتد على طول السور من البحر إلى باب إدريس. وكان السور يمتد من باب السنطية تواً إلى صخرة الساحل، وهناك كان ينعطف على خط مستقيم نحو الشرق ويبلغ إلى الرصيف

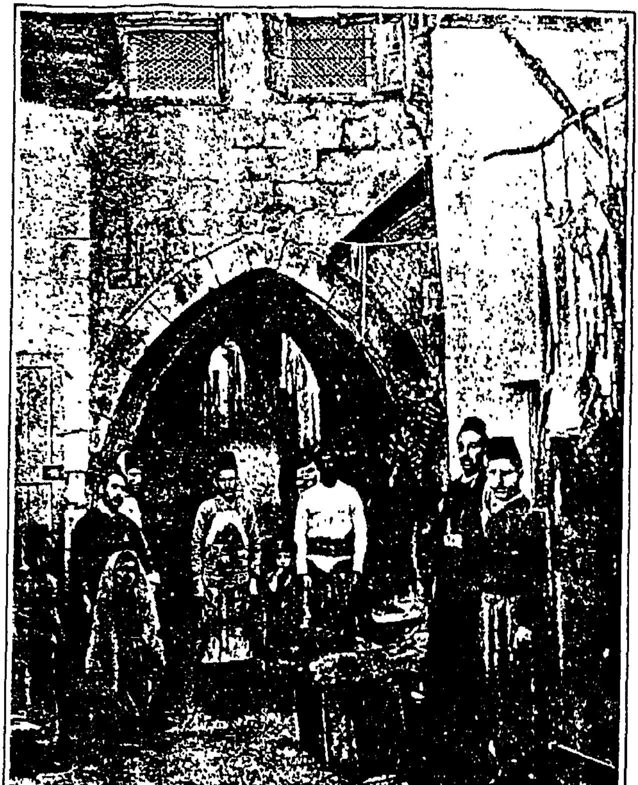
الذي كان يقفل المرفأ في القرون الوسطى. وللمصور «مونفور» صورة حسنة تدل على ذلك...».

٨ ـ باب إدريس: وهو من أبواب بيروت العثمانية المعروفة يطل على الجهة الغربية الشمالية للسور، وكان موقعه قريباً من الكنيسة الكبوشية، وتحديداً تجاه محلات رد شو (Red Shoe) وجوزف عيد في محلة باب إدريس. كما أن للباب مدخلاً يطل على خط الترامواي المستحدث في أوائل القرن العشرين قريباً من سوق أياس. وقد سمي باب إدريس بهذا الإسم نسبة لعائلة إدريس المستوطنة في تلك المنطقة.

ويشير «دوبويسون» إلى «أن مفرق شارعي البوسطة [البريد] وجورج بيكو يدعى باب إدريس، ويشير إلى أحد أبواب المدينة الذي كان مشيداً على امتداد حائط الآباء الكبوشيين. أطلق عليه هذا الإسم لأن إحدى العيال [العائلات] المدعوة بإدريس كانت تسكن فوقه. ولما قدم الفرنسويون إلى سورية سنة ١٨٦٠ وأنشأوا طريق الشام أرادوا أن يهدموا ذلك الباب وقسماً من السور ليبلغوا الطريق إلى البحر، إلا أن أبا صالح إدريس صاحب الدار لم يشأ أن يتخلى عن ملكه قطعياً فقال له حينئذٍ والي بيروت كلاماً أصبح اليوم شبيهاً بالنبوة: «إنك ستذكرني يوماً بالخير وتتمنى لنفسي الرحمة إذا ما رأيت ما سيحصل من المنافع بفتح هذه الطريق».

وعلى ذلك فقد قامت الشركة الفرنسية التي عهد إليها توسيع أسواق المدينة، وشق طريق بيروت ـ دمشق بهدم باب إدريس عام ١٨٦٠.

إن أبواب بيروت المحروسة اندثرت برمتها، ولم يبق منها سوى إسمها. ولا بد من الإشارة إلى أنه كان لهذه الأبواب أنظمة تحكمها، وقد كان على كل باب عين من أعيان المنطقة كان المسؤول عن وضع وأمن وحراسة هذا الباب أو ذاك. وكان مكلفاً بالإنفاق على مصباح معلق إلى جانب الباب الخارجي ينيره عند المغيب بعد أن يقفل الباب بمفتاح خاص كبير، يودعه عند متسلم بيروت حتى الصباح، وهكذا كل صباح ومساء. وكان حفاظ الأبواب من العائلات البيروتية المعروفة. أما القوافل التي يصادف وصولها ليلاً إلى بيروت فتضطر إلى المبيت في ظاهر بيروت وخارجها في مناطق مثل: الغلغول، البسطة، المصيطبة، الصيفي، زقاق البلاط، الباشوراء، الجميزة، وسواها إلى أن تفتح أبواب سور بيروت صباحاً فتدخل القوافل والتجار والباعة لممارسة نشاطهم وتبضع حاجياتهم أو بيع محصولاتهم.



* جمهرة من البيارتة أمام باب (بوابة) يعقوب،
أحد أبواب سور بيروت القديمة.

# مرفأ بيروت والأسواق التجارية في العهد العثماني

تميزت بيروت منذ العهد القديم بموقعها التجاري الهام بسبب مينائها. وقد عرفت بمينائها منذ العهد الفينيقي، ثم شهدت بيروت تطوراً ملحوظاً في عهد الحكم العربي الإسلامي، وبات ميناؤها مركزاً لصناعة السفن الإسلامية لا سيما في عهد معاوية بن أبي سفيان. ويذكر صالح بن يحيى «تاريخ بيروت» «بأن بيروت دار صناعة دمشق وبها عمّر معاوية المراكب وجهّز فيهم الجيش إلى قبرص ومعهم أم حرام...».

كان مرفأ بيروت من المراكز الاستراتيجية الهامة في بلاد الشام، ومن يستولي عليه كان يستطيع التقدم نحو المدينة، لأن أكثر العمليات العسكرية كانت تنفذ بواسطة البحر، وبعضها الآخر بواسطة البر. ولهذاعمد الإفرنج في العصور الوسطى بعد سيطرتهم على بيروت ومدن الساحل، على الإهتمام بتحصين مرفأ بيروت بهدف الدفاع عن المدينة ضد المسلمين.

ولما حرر المسلمون بيروت ومدن الشام من الإفرنج، حرص الأمير بيدمر الخوارزمي (المتوفى ١٣٨٧م) على الإهتمام بمرفأ بيروت وتطويره، لا سيما وأنه أمر باستخدامه لصناعة السفن الحربية، فأمر بقطع الأخشاب من حرج بيروت لصنع الشواني والسفن.

ولما سيطر العثمانيون على بيروت وبلاد الشام عام ١٥١٦م، شعروا بأهمية مرفأ بيروت، كما شعرت الدول الأوروبية بأهمية هذا المرفأ سواء على الصعيد الاقتصادي أم على الصعيد الاستراتيجي، ولهذا بدأت أهمية بيروت كمدينة ناشئة تظهر بوضوح وبدأت بمنافسة بعض المدن الشامية. وفي القرن الثامن عشر الميلادي بدأت بيروت تحتل مكانة إقتصادية بارزة، وهذا ما دفع بالتجار الأجانب لا سيما الفرنسيين المقيمين في صيدا في خان الإفرنج، الكتابة إلى حكومتهم في عام ١٧٥٣م، طالبوها إرسال بعض التجار والصناع إلى بيروت وجوارها من بين الذين يفهمون في غزل القطن لتوجيه الصناعة والتجارة بأسلوب مناسب.

وكانت منازل الأجانب وبعض قناصل الدول الأجنبية، تقع في الجهة الجنوبية من ميناء بيروت. كما تركزت الكثير من الخانات (الفنادق) قرب المرفأ أو بمحاذاته، وذلك لإقامة التجار والوافدين من خارج بيروت. من بين هذه الخانات ـ الفنادق:

* **خان أنطون بك**: الذي أقيم في غربي مرفأ بيروت حيث ميناء القمح.

* **خان البربير**: ومكانه بالقرب من جمرك بيروت بمحاذاة الميناء.

* **خان الحرير**: ويقع في سوق البازركان بالقرب من ميزان الحرير.

* خان حمزة وسلوم: وهو الخان الذي عمّره أحمد حمزة سنو وشريكه الياس سلوم بالقرب من جامع الدباغة في محلة ميناء بيروت.

* خان الدركه، خان سعيد آغا، خان الصاغة، الخان القديم، الخان الجديد، خان الملاحة، خان الوحوش، خان الأروام، خان الشونة، خان شيخ المكارية، خان سوق الطويلة، خان فخري بك، خان ثابت، خان الموسيقى، خان التوتة، الخان الصغير، خان الحلاج...

والواقع فإن هذه الخانات ومرفأ بيروت كانت ملتقى مختلف التجار من مختلف الجنسيات الذين كانوا يعملون في الاستيراد والتصدير. وقد زوّد تجار جبل لبنان تجار بيروت بـ (١٨٠٠) قنطار من الحرير، وقدر مجموع ما استوردته بيروت سنوياً في أوائل القرن التاسع عشر حوالي (٢٠٠) مئتي ألف قرش. ونتيجة لتطور التجارة في بيروت، فقد ظهرت مرافىء متخصصة في المرفأ ذاته حملت أسماء البضائع التي كانت تستوردها منها: ميناء الخشب، ميناء الأرز، ميناء البطيخ، ميناء القمح، ميناء البصل، وقد بات معدل السفن الإنجليزية القادمة إلى مرفأ بيروت سنوياً (١٥٠) سفينة. وأشار الرحالة محمد بيرم التونسي في كتابه «صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار» إلى مرفأ بيروت واصفاً إياه بقوله:

«فنزلت هناك، وكانت المرسى صعبة جداً، لبعد إرساء الباخرة عن الشط وركوبنا في زوارق مع هيجان البحر. وبعد أن خلصنا رحلنا إلى الكمرك الذي لم نر من أهله إلا خيراً. دخلنا إلى البلاد

راجلين لقربها وعدم وجود ما يركب حول الكمرك. فدلني رجل من المتشبثين بخدمة المسافرين على منزل للمسافرين، قريب من جهة طريقنا، كاشف على البحر، فإذا هو منزل لأحد الإفرنج، مثل منازل أوروبا المتوسطة الحسن، وأخذت به بيتاً واسعاً ذات حجرة للنوم والصناديق وحجرة للجلوس، واغتسلت في حمامه وبتنا تلك الليلة والأكل فيه حسن...».

هذا وقد استأثر مرفأ بيروت بعدد من المؤسسات الرسمية والخاصة في العهد العثماني منها مبنى البنك العثماني ومبنى البريد ومحلات مؤسسة أوروزدي باك التي افتتحت عام ١٩٠٠ بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على تولي السلطان عبد الحميد الثاني العرش. وأشار الرحالة الروسي «كريمسكي» في كتابه «رسائل من لبنان ١٨٩٦ ـ ١٨٩٨» إلى مؤسسة البريد بقوله: «... من ينتظر رسالة يأتي بنفسه إلى مبنى البريد قرب المرفأ الذي ينقسم إلى مراكز يختص كل منها بالبريد الوارد من بلد أجنبي معين. هناك مركز للبريد الوارد من النمسا وآخر من فرنسا أو روسيا أو إنكلترا..».

وبالإجمال، فقد بدأ الإهتمام يتزايد تباعاً بمرفأ بيروت. ففي سنة ١٨٦٣ تقدمت شركة «مساجيري ماريتيم» بمشروع مرفق بالخرائط لتحسين هذا المرفأ، وقدمته لأحمد قيصرلي باشا حاكم ولاية صيدا حيث كانت بيروت لا تزال تتبع لها، وقدرت نفقات المشروع بـ (٦,٣٧١,٣٠٠) فرنك (ستة ملايين وثلاثمائة وواحد وسبعين ألف وثلاثمائة فرنك)، غير أن هذا المشروع لم ينفذ ولم

يوضع موضع التنفيذ إلا سنة ١٨٨٠ بعد أن فشلت بلدية بيروت سنة ١٨٧٩ في نيل امتيازه، وبعد أن فشلت أيضاً شركة طريق بيروت ـ دمشق من الحصول على امتياز هذا المشروع.

في ١٩ حزيران (يونيه) ١٨٨٧ صدرت إرادة سلطانية حميدية نال يوسف أفندي المطران بموجبها امتياز مشروع تطوير وتحسين مرفأ بيروت لمدة ستين سنة تنتهي في ١٩ تموز (يوليه) ١٩٤٧. وقد اشترط على صاحب الامتياز المباشرة بالعمل بعد سنتين وإنجازه في خمس سنوات على أن يكون طول الرصيف (١٢٠٠) متراً. واحتفظت الحكومة العثمانية بحق ابتياع هذا المشروع بعد ثلاثين سنة، واشترطت الإرادة السلطانية على السفن الداخلة إلى المرفأ دفع رسوم الدخول والرصيف، أو دفع الرسوم إذا كانت هذه السفن لا تقترب من الرصيف.

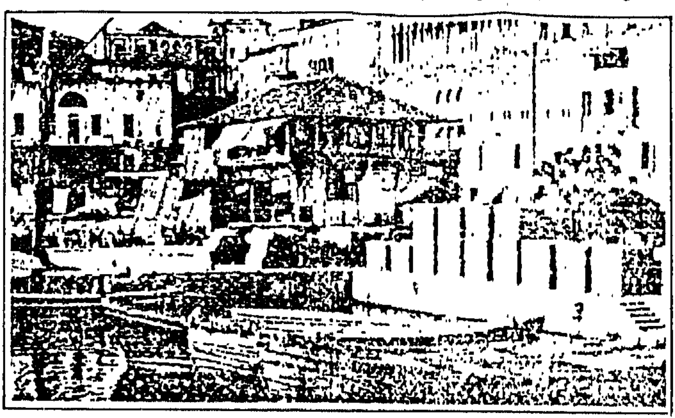
وفي سنة ١٨٨٨ تألفت «الشركة العثمانية لمرفأ بيروت وأرصفته ومخازنه» برأس مال قدره خمسة ملايين فرنك. وكانت هذه الشركة فرنسية مما أثار حفيظة الإنجليز الذي أشاعوا أن هذا المشروع غير مفيد لعدم وجود خط حديدي بين بيروت والمرافىء الشامية.

وفي سنة ١٨٨٩ بوشرت أعمال تحسين المرفأ وقامت بها شركة «موزي وطونن ولوزي» غير أن المشروع واجه الكثير من التعقيدات، مما اضطر هذه الشركة للإستدانة من شركة خط حديد بيروت ـ دمشق ـ حوران، مبلغاً وقدره خمسة ملايين فرنك لمتابعة أعمالها.

وبعد انتهاء مشروع تطوير المرفأ عام ١٨٩٤ وقعت خلافات بين شركة المرفأ وبين الحكومة العثمانية ووزارة البحرية العثمانية

بسبب دخول البوارج الحربية العثمانية إلى المرفأ، وبسبب الخلافات بين شركة المرفأ وبين إدارة الجمارك بشأن رسم الحمالين والمخازن وتعيين حدود منطقة شركة المرفأ. كما وقع خلاف حول زيادة رسوم الدخول للمرفأ، مما أثر على حركة الصادرات والواردات حيث تحولت إلى بقية المرافىء الشامية القريبة، ولما سويت هذه الخلافات عاد مرفأ بيروت ينشط من جديد، وازدادت أحواضه وأرصفته بين رأس الشامية ورأس المدور. وبدأ المرفأ يستقبل سفناً أكثر وأكبر اتساعاً بما فيها قوافل الحجاج. غير أن امتداد مشروع سكة الحديد إلى محاذاة رصيف المرفأ في أوائل القرن العشرين في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، دعا الحجاج المسلمين للتوجه إلى الحج إلى الأراضي المقدسة عبر هذا الخط.

ومهما يكن من أمر، فقد شهد مرفأ بيروت قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها تطوراً ملموساً أثر تأثيراً مباشراً في الحياة الاقتصادية البيروتية واللبنانية والشامية.



* منطقة مينائي الخشب والقمح في مرفأ بيروت، ويظهر فيها جامع المجيدية وخان أنطون بك ومقهى المرفأ المبني من طابقين من الخشب.

## الأسواق التجارية في بيروت العثمانية

كانت الأسواق التجارية في بيروت العثمانية تتكامل مع مرفأ بيروت الذي كان يمد هذه الأسواق بالمواد الأولية المستوردة من الخارج، كما كانت هذه اوسواق تصدر بعض الصناعات المتواضعة إلى الخارج بالإضافة إلى سلع أخرى كانت تأتي من خارج بيروت. وكانت الأسواق التجارية في باطن بيروت في داخل سور المدينة بمجملها. وقليل منها خارج السور. وكانت ملتقى يومي لأبناء بيروت والمناطق اللبنانية وتجار الشام والتجار الأجانب. من بين هذه الأسواق:

١ - سوق الحدادين: كان هذا السوق يقع في باطن بيروت في الطريق المؤدي إلى أسلكة بيروت أي ميناء بيروت، وكانت مركزاً لعمل الحدادين وكافة الأشغال المتعلقة بالحديد والصناعات الحديدية اللازمة للبيوت والمباني والدكاكين والعربات والخيول وسوى ذلك.

وكان أول السوق من مدخل سوق البياطرة، بينما يلتقي سوق الحدادين بالباب الشرقي للجامع العمري الكبير حتى أول سوق اللحامين عند مدخل كاتدرائية مارجرجس للروم الأرثوذكس. وكان يتصل أيضاً بزاروب ضيق يدعى زاروب سوق النجارين الواقع بينه وبين سوق سرسق شمالاً بشرق. ومن ملامح هذا السوق أنه كان يوجد في آخره «جرينة الحنطة» لطحن الحبوب، وكان يوجد بالقرب من السوق أيضاً حديقة حسين باشا.



* وثيقة من سجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة تظهر منصب «بازارباشي» أي رئيس أو عمدة السوق الذي تولاه يوسف إبن الشيخ حسن الداعوق (السجل ١٢٥٩هـ، ص ٣٧).

أما العائلات والأشخاص الذين كانـوا يقطنـون فيه أو يشغلون حـوانيته ودكـاكينه فمنهم حسب سجـلات المحكمة الشـرعيـة في بيروت: دار الشيخ فرح، دور آل قباني، آل محفوظ، آل ياسين، سعيد يموت، آل الغلوطي الذين كانـوا يملكون فـرن الغلوطي في سوق الحدادين، عبد الغني سعادة، عبد الوهاب سعادة، أحمد بن الحاج حسين القباني وسواهم.

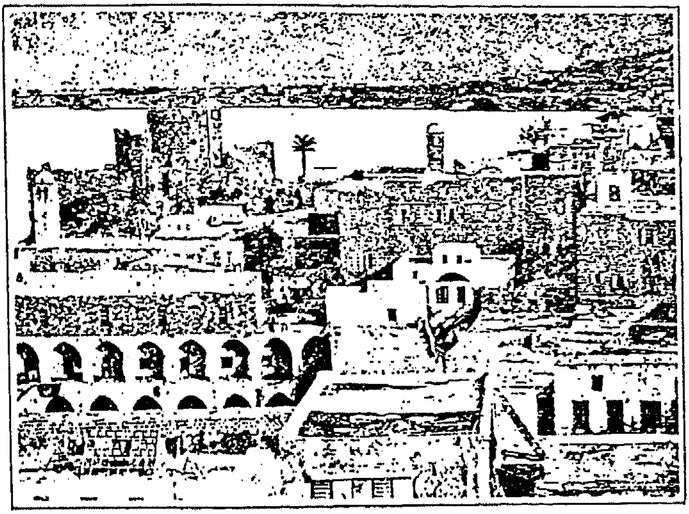
٢ ـ سوق الأساكفة: ويسمى أيضاً سوق السكافيـة أو «سوق الصرامي» وكان موقعه في باطن بيروت داخل السور قرب الجامـع العمري الكبير بالقرب من دكان وقف «قفة الخبز» ومورست في هذا السوق صناعة الأحذية وتصليحها وتجـديدهـا. وقد عـرف صاحب المهنـة باسم «الكنـدرجي». كمـا تجمـع في هـذا السـوق الجلود المستخـدمة في هـذه الصنعة بـالإضافـة إلى المسـاميـر الخـاصـة والأصباغ ومواد لصق الجلود (الصمـغ ومشتقاتـه) وأدوات المهنة. وكان يوجد في هذا السوق مقهى يلبي حاجة الاسكافية من الشاي والقهوة والنارجيلة وقد عرفت باسم «قهوة الأساكفة». هذا وقد ارتبط سوق الأساكفـة بأسـواق أخرى منهـا سوق النجـارين التحتاني. أما العائلات والأشخاص الذين كانوا يسكنون هذا السوق أو بمحاذاته أو يشغلون دكاكينه، كما ورد في وثائق وسجلات المحكمة الشرعية في بيـروت المحـروسـة منهم: بكـري حلوم، آل الميقــاتي، آل دسوم، آل المبسوط، محمد بن الحاج وهبه حامل الريعة الشريفة، آل قليلات، آل الرافعي، آل الغول، آل بيهم، محمد سوبره، عبد الرحمن خدام الخضر، آل الجندي، آل الشيشي.، علي الجمال البيروتي وسواهم.

٣ ـ سوق البازركان: «البازار» تعني السوق باللغة الفارسية، ودخلت التركية بهذا المعنى. والبازركان أحد أهم الأسواق البيروتية (وكان لا يزال قائماً قبل الأحداث اللبنانية عام ١٩٧٥ وبعض عقاراته ملكاً لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت).

وكان يجتمع البيارتة فيه وسواهم من أبناء المناطق اللبنانية لشراء حاجياتهم لا سيما من الأقمشة وأدوات الخياطة. وكان موقع هذا السوق في باطن بيروت بمحاذاة الجدار الشرقي لجامع الأمير منذر المعروف «جامع النوفرة»، كما كان يوجد بالقرب من هذا السوق «جامع شمس الدين».

كان سوق البازركان من الأسواق البيروتية المسقوفة في القرن التاسع عشر على غرار سوق الحميدية في دمشق رغم صغر مساحته. ويعرف السوق المسقوف باسم «قيسارية»، لذا كان يلاصق سوق البازركان «قيسارية الأمير منصور الشهابي» و«قيسارية الصاغة». ومن مميزات سوق البازركان أنه كان مؤلف من طبقتين، فالطابق الأرضي خصص لدكاكين الخياطين العربي وبيع الأقمشة الذي كانوا يصنعون القنباز والصداري والشروال والعباءات والجلابيات، أما الطابق العلوي فقد شغل كمكاتب للمؤسسات منها مكاتب لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

أما الطرابيش المكملة للبس العربي فكانت تصنع أو تكوى في أسواق أخرى أو تجلب من الخارج لا سيما من النمسا ومصر. وكان يوجد محل في ساحة الدباس كان لا يزال قبيل الأحداث اللبنانية لشخص من آل الكوى يقوم فيه بتنظيف وكي طرابيش أهل بيروت ممن كانوا لا يزالون يلبسونها.



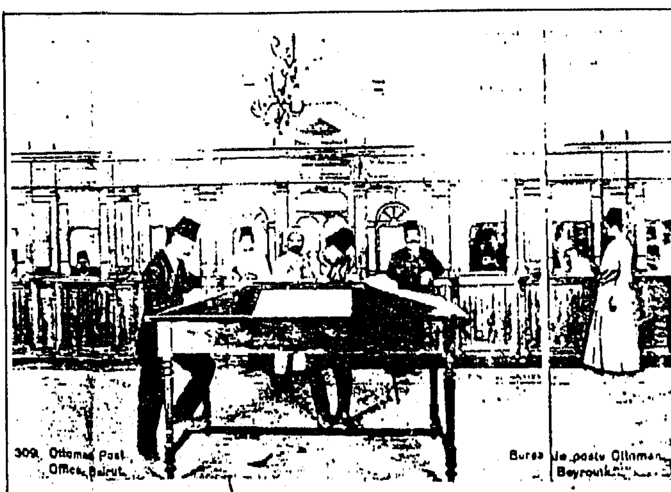
* منطقة بيروت المطلة على البحر، ويبدو خان الملاحة وزاوية (مسجد) سيدي البدوي بالقرب من جمرك بيروت بجانب خان البربير، وقلعة بيروت ومسجد الدباغة.




* قيسارية سوق الجميل ويظهر فيه بعض الإسكافية.



* المبيّض مهنة من مهن بيروت العثمانية.



* أحد المكاتب الداخلية لمركز (البريد) البوسطة العثمانية في منطقة خان أنطون بك.

لقد استمرت دكاكين سوق البازركان بطابقيها بمحاذاة الجدار الشرقي لجامع النوفرة إلى الثلاثينات من هذا القرن. ولا يزال بعض المخضرمين من أهالي بيروت يذكرون رؤيتهم للأفاعي التي وجدت في هذا السوق بعد هدم بعض الأبنية لا سيما قرب معمل يموت للزجاج. وفي أواخر الستينات هدمت أخر معالم سوق البازركان حيث بنت جمعية المقاصد الخيرة الإسلامية في بيروت في بعض أرضه بناءً تجارياً حديثاً. وأقيم في مواجهته حديقة صغرى عامة للبلدية في مواجهة محلات شيك ب.ب.

أما العائلات التي كانت تقطن فيه وبقربه أو تشغل حوانيته منهم: دار الشيخ عبد الهادي أفندي خالد، آل خطاب، آل الفاخوري، آل حلاق، آل رمضان، آل بدران، آل حمادة، آل درويش، آل قريطم، آل جبيلي، آل الداعوق، سعيد الصايغ، اسكندر عطا الله وسعيد عطا لله، حنا فليفل (أبو اسكندر) آل الزهار، وعلي سعيد الحلاق، وشقيقه أنيس وسواهم.

٤ ـ سوق العطارين: يقع سوق العطارين غربي الجامع العمري الكبير تحت القناطر الحالية لشارع الجامع. وكان يباع فيه جميع مستلزمات العطارة ومشتقاتها وأنواع عديدة من الأعشاب والنباتات والسوائل الطبية والوصفات العربية والخردوات كافة. ويمكن تشبيه دكاكين سوق العطارين بدكاكين «دبوس» اليوم المنتشرة في بيروت. وكان لسوق العطارين قيسارية خاصة تعرف باسم «قيسارية العطارين» التي بناها الشيخ عبد السلام العماد. كما كان يوجد أمام السوق قيسارية الشيخ شاهين تلحوق الموجودة قرب

الجامع العمري الكبير. ووجد بالقرب من سوق العطارين «سوق البوابجية». ومن مميزات وملامح سوق العطارين البركة الشهيرة والنوفرة. أما رأس سوق العطارين الجنوبي، فكان يقع تحديداً بالقرب من أرض بناية الوقف الماروني شرقي مجلس النواب في ساحة النجمة وبالقرب من باب الحدرة (الحضرة).

أما العائلات والأشخاص الذين كانوا يسكنون في سوق العطارين أو بمحاذاته أو يشغلون دكاكينه فمنهم: عبد الرحمن دياب، حسن شملي، أبو علي قدور البابا، محمد خرما، آل بلوز مشاقه، محمد المبسوط، آل العطار، آل الطيارة، أحمد دية، آل الكوسا، مصطفى قرانوح، مصطفى قرنفل، مصطفى قليلات، حسن الغول، آل الميقاتي، طالب شبقلو، علي شبقلو، يوسف قدورة، آل السلحوت، محمد فايد، عبد القادر قرنفل، حسن بكداش، محمد المكوك، الحاج أحمد الشامي، محمد سلام، الحاج عبد القادر العريس، الشيخ مصطفى نجا (مفتي بيروت فيما بعد).

٥ ـ **سوق القطن**: كان يقع سوق القطن إبتداءً من موقع مخفر ميناء بيروت (حالياً) صعوداً على خط مستقيم بشارع فوش حتى بناية البلدية الثانية. وكان يتفرع من السوق ثلاثة ممرات: الأول عند مدخل جامع باب الدباغة الذي سمي فيما بعد جامع أبو بكر الصديق، والممران الآخران يبتدئان من بناية البلدية الثانية واحد للشرق ويدعى سوق الخمامير وزاروب سابا، وواحد للغرب يصل سوق القطن بسوق البياطرة. ومن ملامح سوق القطن الزاوية

المعروفة بزاوية القطن وهي من جملة الأوقاف الإسلامية، سبق أن وقفها رجل من آل العريس لتكون مسجداً يؤدي فيها تجار سوق القطن صلواتهم. كما كان يوجد في السوق فرن سوق القطن، ومعصرة سيف الدهان لعصر السمسم وإنتاج الطحينة، ومحلة تعرف باسم «محلة النصارى» في آخر سوق القطن، وكان المبيع في هذا السوق بأكثريته بالجملة، حيث يتمركز فيه تجار القطن. وقد اعتبر هذا السوق من أهم الأسواق البيروتية في العهد العثماني.

أما العائلات أو الأشخاص الذين كانوا يقطنون في هذا السوق أو يستأجرون أو يمتلكون حوانيته فمنهم: آل باسيلا، آل فياض، آل عفرة، آل الجبيلي، آل يارد، آل الدهان، عبد الله طراد، محمد المجذوب، محمد البواب، عبد اللطيف السبليني، الحاج محمد سوبرة، المعلم يوسف المالطي الخياط، آل سعادة، شاهين طراد، محمد آغا المورلي وسواهم.

٦ ـ **سوق النجارين**: كان موقع سوق النجارين تجاه جامع السرايا (جامع الأمير منصور عساف) قرب سوق سرسق. وكان يعتبر السوق المركزي للنجارين وما يرتبط بمهنتهم من أخشاب ومسامير وبقية أدوات ومعدات النجارة. وكان يقع بالقرب من هذا السوق سوق الأساكفة القريب من الجامع العمري الكبير. وهذا السوق غير سوق النجارين الذي كان قائماً بالقرب من ساحة الدباس عند مفرق سينما بيكال.

من ملامح سوق النجارين معصرة بني السبليني لعصر السمسم، والبركة المعروفة باسم «بركة سوق النجارين» وقهوة

السوق. ولا بد من الإشارة إلى أن سوق النجارين كان ينقسم إلى سوقين: سوق النجارين التحتاني وسوق النجارين الفوقاني حسبما جاء في سجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة.

أما العائلات والأشخاص الذين كانوا يقطنون في السوق أو يعملون فيه فمنهم: الحاج بكري كشلي، آل يارد، آل الحلاج، الحاج درويش دية، أبو عبد الحي شهاب الدين، حسن الجبيلي، الشيخ علوان الغر (الأغر)، منصور الفليس، علي يموت، محمد بن مصطفى الكعكي، الحاج مصطفى الغزاوي، عبد الرحمن بيضون، عبيد الغر (الأغر)، الحاج حسن طبارة، أولاد مصطفى الحبوب، يوسف يونس، مصطفى منيمنة، علي العشي، الشيخ مصطفى شرنقة، الحاج محمد الدح، آل الملاط، بشارة العم، عباس نجا وسواهم.

٧ ـ **سوق الصاغة**: كان موقع هذا السوق في جانب من سوق البازركان، وكان له قيسارية خاصة تعرف باسم «قيسارية الصاغة» وقد تمركز في هذا السوق باعة الصاغة والمجوهرات، وكان مقصداً للبيروتيين وبعض اللبنانيين. وهذا السوق هو غير سوق الصاغة الذي أنشىء فيما بعد قريباً من سوق الخضار واللحوم والأسماك. وهو الذي كان يدخل إليه من ساحة الشهداء من بابه الشرقي في الطريق المؤدي إلى سينما كريستال وكان لهذا السوق باب حديدي يقفل ليلاً من جهتيه الشرقية والجنوبية.

ومن العائلات والأشخاص الذين أقاموا في سوق الصاغة الأول بالقرب من سوق البازركان حسبما جاء في الوثاق والسجلات

الشرعية: آل العجوز، آل محرم، محمد الحلبي، عبد الله الجمل، وبعض العائلات والأشخاص القاطنين أو العاملين في سوق البازركان، باعتبار أن سوق الصاغة كان موقعه في سوق البازركان في القرن التاسع عشر.



* بائع البيض في ساحة البرج في نهاية القرن التاسع عشر.



* وثيقة من سجلات المحكمة الشرعية في بيروت المحروسة تظهر منصب «عمدة التجار المعتبرين الأخوان الحاج خليل والسيد محمد البربير» في بيروت (السجل ١٢٥٩هـ، ص ١٠٦).

٨ ـ **سوق الخضار**: كان موقع سوق الخضار أو سوق الخضرية مكان مقبرة الغربا قريباً من مقبرة الخارجة إزاء جامع وزاوية التوبة الواقعة في رأس سوق الخضار تقريباً قريباً من مرفأ بيروت. وكان هذا السوق مركزاً لتجمع الخضار الواردة من بيروت وضواحيها وأحياناً من المناطق اللبنانية. علماً أن سوق الخضار الآخر المستحدث فيما بعد عرف باسم «سوق النورية» الواقع بين المعرض وسوق الصاغة الجديد. ومن المقيمين في سوق الخضار: آل الغندور، حسين الغر (الأغر)، آل البواب، آل الداعوق، وبعض العائلات القاطنة قريباً من زاوية التوبة الواقعة في رأس سوق الخضرية.

٩ ـ **سوق الشبقجية**: كان موقع هذا السوق قريباً من سوق سرسق، وكان يختص بصنع الشبق وهو الغليون وما يرتبط به من صناعات لها علاقة بالتدخين والمدخنين. ومن مصنوعات السوق «نرابيج» الأراكيل، والعمل على دبغها بمختلف الألوان لا سيما اللون الأحمر. وكان يباع في هذا السوق أيضاً الأدوات الزجاجية والنحاسية المرتبطة بالأراكيل مثل زجاجة الأركيلة والسبع والصحن والملاقط. وكان صانع الشبق أو صاحبه يسمى «الشبقجي» بينما نافخ الغليون أو الأركيلة أو مدخنها يسمى شبقلو. أما متذوق الدخان في المعامل والمصانع فقد عرف باسم «خرمنجي». هذا وقد حملت بعض الأسر البيروتية أسماء هذه المهن أو الصفات. كما عرف سوق الشبقجية أيضاً باسم «سوق النرابيج».

١٠ ـ **أسواق أخرى**: عرفت بيروت العثمانية أسواق اقتصادية

وتجارية عديدة أخرى كان لها دور أساسي في نهضة بيروت الاقتصادية والعمرانية. من بين هذه الأسواق:

سوق أبو النصر، سوق الأمير يونس، سوق البلد، سوق بوابة يعقوب، سوف الخمامير، سوق زاوية ومسجد التوبة، سوق الزبيبة، سوق الساحة، سوق ساحة الخبز، سوق سرسق، السوق الشرعي، سوق الشعارين، السوق الصغير، سوق الطويلة، السوق الفوقاني، سوق القزاز، سوق القهوة، سوق الكنيسة، سوق اللحامين، سوق النورية، سوق التجار، سوق البياطرة، سوق الفشخة، سوق الدلالين، سوق القطايف، سوق الأرمن، سوق الخياطين، سوق الخراطين، سوق الرصيف، سوق المنجدين، سوق الإفرنج، سوق سيور، سوق الجميل، سوق أياس، سوق العقادين، سوق المغربلين، سوق المخللاتية، سوق الهال (الهول)، سوق النحاسين، سوق باب إدريس. .

ولا بد من الإشارة إلى أن بيروت العثمانية شهدت بعض الأسواق والمهن خارج سوق بيروت مثل مهنة الفاخوري الذي كان يصنع الأباريق والجرار الفخارية بالقرب من الحمام العسكري وبعض ضواحي بيروت. ومنها المهن المتنقلة مثل «المجلخ» الذي يجلخ ويشحذ السكاكين والمقصات، و«المبيّض» الذي كان يبيّض ويلمّع الأواني المنزلية، بالإضافة إلى باعة البيض والسوس والمياه وسواها.

ومن الأهمية بمكان القول إلى أنه كان لكل سوق من أسواق بيروت العثمانية شيخه هو بمثابة نقيب لأصحاب المهنة، فعلى

سبيل المثال كان عبد اللطيف بن عباس السبليني شيخ النجارين وكان الحاج أحمد الحوري شيخ العقادين عام ١٢٨٣هـ. في حين أشارت سجلات المحكمة الشرعية في بيروت إلى أنه كان لأسواق بيروت «بازارباشي» أي عمدة للسوق، فأشار السجل العام ١٢٥٩هـ - ١٨٤٣م إلى وجود عمدة للتجار وقد تولى هذا المنصب أشخاص من آل البربير وبيهم العيتاني والعريس والداعوق. فقد كان الحاج أحمد بكري العريس عمدة للتجار، كما كان عمر والحاج عبد الله بيهم العيتاني عمدة للتجار، في حين كان الحاج خليل وحسين ومحمد البربير من عمدة وافتخار التجار المعتبرين في بيروت العثمانية، وكان يوسف بن الشيخ حسن الداعوق بازارباشي.

وهكذا يلاحظ بأن الحياة الاقتصادية في بيروت العثمانية كانت تتمثل في مرفأ بيروت وفي الأسواق التجارية والمهن والصناعات القائمة وحركة الإستيراد والتصدير وحركة تجار بيروت والأجانب، في ظل الحرف والنقابات وشيوخ المهن وعمد التجار مما يدل على أن بيروت العثمانية شهدت تنظيمات نقابية ومهنية وتجارية طيلة العهد العثماني، مما هيأ الأجواء لأن تصبح بيروت من المدن العثمانية الهامة بل من أهم المدن العثمانية.

هذا وقد تميزت بيروت بكثرة مساجدها وزواياها الدينية التي لا تزال شامخة إلى الآن وسط بيروت وفي ضواحيها. كما شهدت بيروت العثمانية الكثير من الجامعات والمدارس والمستشفيات (الخسته خانات) والحارات والشوارع والحدائق والبساتين

والخانات والحمامات والساحات والقناطر والقيساريات، والعديد من الجمعيات الثقافية والأدبية والاجتماعية، بالإضافة إلى أوقاف المسلمين[1] المنتشرة في مختلف المناطق البيروتية واللبنانية.

ومنذ القرن التاسع عشر تأسس في بيروت شركة خاصة للمياه، ثم إدارة للبريد والبرق والهاتف. كما تأسس في أوائل القرن العشرين شركة كهرباء بيروت بالإضافة إلى الترامواي الخاص بها[2].

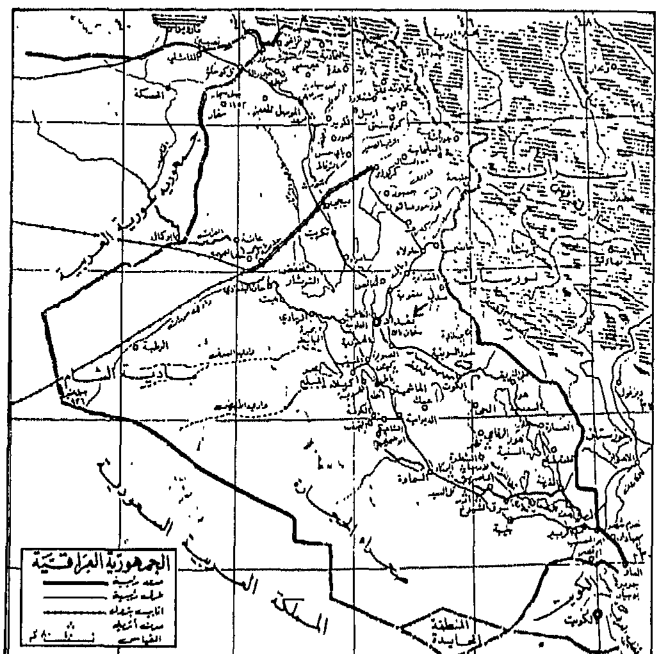
لقد أتت الحرب اللبنانية ١٩٧٥ - ١٩٩٠ على الكثير من ملامح بيروت العثمانية، وبالرغم من ذلك فإنها لا تزال تحتفظ إلى اليوم ببعض هذه الملامح مثل السرايات الحكومية (مقر رئاسة الوزراء الحالي) والأبنية التراثية وسواها. وفي الوقت الذي كانت فيه بيروت في فترة من فترات العهد العثماني لا يزيد عدد سكانها عن عشرة آلاف نسمة فإذا بالعدد يرتفع اليوم إلى ما يقارب المليون، وهم السكان الذين يعيشون في بيروت التقليدية أو بيروت الصغرى. أما بيروت الكبرى فإن السكان تجاوزوا ذاك العدد، كما تجاوزت مساحة بيروت الكبرى مساحة بيروت الصغرى القديمة.

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن أوقاف المسلمين في بيروت (من خلال سجلات المحكمة الشرعية في بيروت) أنظر كتابنا: أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني.

(٢) للمزيد من التفصيلات عن بيروت العثمانية أنظر كتابنا: بيروت المحروسة في العهد العثماني.

# بغداد





# بغداد

بغداد عاصمة الجمهورية العراقية، تتميز بموقع فريد تتوسط شمال وجنوب البلاد، وهي أفضل مدينة للعبور بين البحر المتوسط وإيران. كما تتوسط بغداد الشرق والغرب فتقع على جانب الرافدين، وهي قلب التجمع السكاني حيث يبلغ عدد سكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة. ولبغداد ستة أقضية هي: بغداد، الأعظمية، الكاظمية، المحمودية، تكريت، سامراء.

شيِّد مدينة بغداد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور عام (١٤٥ - ١٤٩ هـ) - ٧٦٢م وجعلها عاصمته. وقد بنيت على شكل دائرة يتوسطها قصر الخليفة والجامع، تحيط به قصور القادة ورجال الدولة. وكان لها سور وأربعة أبواب وهي: باب خراسان، باب الكوفة، باب الشام، باب البصرة.

سميت بغداد مدينة المنصور، كما سميت مدينة السلام ودار السلام، ودار العلم. وكانت بغداد عاصمة للعالم الإسلامي حيث باتت مدينة يقصدها طلاب العلم من كل مكان، ومن كل الأجناس، فاجتمع بها العرب والعجم والروم والهنود وسواهم. ومن

ملامح هـذا العصر ازدهـار العلم والثقافـة، ففيها «بيت الحكمـة» الذي جمعت فيه الكتب من كل أنحاء العالم. وارتبط باسم بغداد الإمـام أبو حنيفـة النعمان والفيلسـوف الكِندي والعـالم أحمـد بن موسى بن شاكر والأصمعي والعالم السهروردي والموسيقار والمغني إبراهيم الموصلي وابنه إسحٰق وتلميذه زرياب، واللغوي الجليل بن أحمـد، والجـاحظ، وأبـو نـواس، وأبـو العتـاهيـة ،وحنين بن إسحٰق. . . كما ارتبط إسم بغداد بروايات ألف ليلة وليلة في عهد الرشيد. كما ازدهرت مدرسة بغداد الفلكية مدة سبعة قرون.

هذا وازدهرت المدينة ازدهاراً عظيماً بين أعوام ٧٦٢ ـ ٨٨٣م مـع الخلفاء أبي جعفـر المنصور، المهـدي، الهادي، الـرشيـد، الأمين والمـأمون. وأخـذت العـاصمـة بـالإنحـطاط بعـد أن نقـل المعتصم العـاصمة إلى سـامـراء عـام ٨٣٦م. ثم أصبحت بغـداد عـاصمة للدولـة من جديـد عام ٨٩٢م. تعـرضت للنهب والتدميـر عام ١٢٥٨م على يد هولاكو، وعام ١٤٠٠ على يد تيمورلنك. ثم سقطت بيد الأتراك عام ١٦٣٨م.

تتميز بغداد بوجود آثار قديمة تعود إلى عصـور متعددة، ولكن يغلب على آثارها ومـلامحها الـطابع العـربي والإسلامي. من بين معالم المدينة المسجد الجامع الذي يتوسط مدينة بغداد، وجامـع الشيخ عمر السهروردي وهو من أقدم جوامع المدينة، ويتميز بقبته المشهـورة التي شيـدت عـام ٦٣٢ للهجـرة على طـراز القبـاب السلجوقية. وفي قضاء سامراء الجامع الكبير، ويعلوه منارة الملوية التي شيدها المعتصم عـام ٢٢١هـ. وهي تماثـل جامـع أبي دلف وجامع إبن طولون في القاهرة. ومن مساجد سامراء مسجـد الإمام

علي الهادي، ويتميز بزخرفة إسلامية نباتية وهندسية في إطار من القيشاني والنقوس الهندسية البديعة. ومن الجوامع المركزية في شارع الرشيد جامع الحيدرخانة.

والمتجول في شوارع بغداد يعيش بين القديم والحديث، فيرى الأصالة والحداثة في الأبنية والعمارة والشوارع والأزقة. ففي أحد الميادين المحيطة بحديقة الزوراء انتصب تمثال نصفي لأبي جعفر المنصور مؤسس بغداد. وفي شارع أبي نواس على نهر دجلة، انتصب تمثال الشاعر أبو النواس الذي ارتبط اسمه وشعره بليالي بغداد، وإلى جانبه رمز أشهر رواية عربية «ألف ليلة وليلة» أقيم تمثال لشهريار وشهرزاد يتسامران. وهذا التمثال المقام حديثاً يذكرك بالماضي المجيد. وفي مواقع أخرى رئيسية في بغداد تنتصب تماثيل الكِندي والمتنبي والجاحظ وابن سينا والفارابي والرازي وكل علماء وفلاسفة الدولة العباسية. كما يبرز تطور الفن التشكيلي من خلال تمثال «مرجانة» جارية علي بابا، وهي تحمل الجرة تسكب منها الزيت على رؤوس اللصوص المختبأوون في الجرار، وهي صورة تاريخية مستوحاة من قصة «علي بابا والأربعين حرامي».

وتستوقف الناظر بوابة المدرسة المستنصرية، حيث تبدو زخارفها ونقوشها على غاية من الجمال والروعة. وكانت تضم هذه المدرسة مكتبة من أقدم مكتبات العالم الإسلامي، ضمت ما يقارب ثمانين ألف مجلد. كما اعتبرت المدرسة من أقدم الجامعات، وقد شيدت عام ٦٣١ للهجرة. ومما يلفت النظر في بغداد القصر العباسي، وعقود الرواق للساحة الوسطى للقصر، وهي عقود مكوّنة

من عناصر هندسية ونباتية، وقد أقيمت في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ). وكان هذا القصر الذي أقيم على نهر دجلة منذ ثمانية قرون داراً للعلم والعلماء، جمعت فيه الكتب والمخطوطات من كل مكان في العالم الإسلامي.

وبقي من سور بغداد باب واسط المعروف باسم «باب خراسان» ثم منارة جامع الخفاقين، وهي من أقدم المنائر القائمة ذات القبة المخروطية. ومن ملامح العمارة العربية والإسلامية الخاصة بالأضرحة مقبرة الشيخ السهروردي صاحب الطريقة السهروردية. وهي من آثار بغداد التي تجذب إليها المهتمين بالعمارة الإسلامية. وكذلك قبر السيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد.

ومن ملامح بغداد المميزة «خان مرجان» في شرقي بغداد، في موقع متفرع من شارع الرشيد. وكان هذا الخان عبارة عن فندق يستقبل النزلاء والتجار. وهو يشبه القيسارية من حيث سقوفه وفنه المعماري. وهو يتكوّن من قاعة كبيرة مسقوفة بعقود في أطرافها شبابيك لإنارة الخان من الداخل. والخان مؤلف من طابقين في كل منهما العديد من الغرف. وهو يمثل أسلوباً فريداً في الفن المعماري في بغداد في عام ٧٦٠هـ ـ ١٣٥٩م.

والحقيقة فإن ما من شارع من شوارع بغداد إلا ويصادفك التاريخ ممثلاً بالملامح المعمارية الإسلامية وبالآثار العربية. وفي أسواق بغداد رائحة من أسواقها القديمة، حيث تجد سوق العطارين وسوق النحاسين وسوق الصاغة وسوق النجارين وسوق الحدادين، والأسواق التاريخية التي يمكن أن تشاهدها في دمشق أو القاهرة.

كما يوجد في بغداد سوق الشورجة وهو يضم صناعات تقليدية منها الشموع بمختلف أنواعها والعطارة.

ومن شوارع وأسواق بغداد الهامة والرئيسية «شارع السعدون» الشارع التجاري في قلب العاصمة الذي امتلأ بالأبنية العصرية وازدحم بالفنادق. كما يعتبر شارع الرشيد من أهم شوارع بغداد. ومنها أسواق وشوارع الكاظمية والأعظمية وسوق الصفافير الذي من أبرز مميزاته المدرسة المستنصرية.

تتميز الكثير من أحياء بغداد بانتشار البيوت الأثرية القديمة التي تجرى محاولات لأنقاذها من الدمار والسقوط. ومن بين البيوت اللافتة للنظر «بيت النقيب» الذي رمم وحول إلى مزار أثري، وكذا «خان مرجان» والعديد من الآثار الإسلامية التي شهدتها بغداد عبر المراحل العباسية والمملوكية والعثمانية، وكل أثر وجد في أي مرحلة من مراحل الخلافة الإسلامية. كما تحرص مديرية الآثار على أن تضم في «المتحف الإسلامي» في بغداد نماذج من مراحل العهود الإسلامية التي تعاقبت على بغداد.

كما تحرص دور الهندسة الحديثة على التوفيق في هندستها للأبنية الحديثة سواء العمارات أو الفيلات، بين الحداثة وبين التراث المعماري الإسلامي. ويبرز هذا التوجه في بيوت الأفراد وفي بناء المؤسسات الرسمية والمعاهد والجامعات في مقدمتها جامعة بغداد. ولا تزال بغداد شبه دائرة تذكرنا بمدينة المنصور المدورة، كما أن غالبية سكانها لا يزال يفضل العيش في مسكن خاص في حديقة مستقلة. لهذا ترى أن التوسع العمراني في بغداد

يصحبه اتساع في الرقعة الخضراء وإنشاء الحدائق العامة وحركة التشجير.

وبغداد التي تعتبر من أقدم العواصم العربية، لا تزال تتميز بمزايا هامة، فهي تجمع بين الزراعة والصناعة، وبين المياه والنفط، وبين الحضر والبادية وهي مركز هام للتجارة المحلية والإقليمية والدولية. وتتميز بغداد والعراق عامةً بإنتاج التمور والحبوب والأرز والقطن. وفيها إنتاج السجاد والبسط، وهي صناعات تقليدية قديمة. وفيها المنتجات الخشبية والنحاسية والفضية والذهبية بالإضافة إلى الصناعات المتطورة في مختلف المجالات.

إن بغداد تجمع بين شوارعها وأسواقها ومناطقها، بل وصناعاتها بغداد العباسية والفاطمية واويوبية والمملوكية والعثمانية. وفي آن معاً تبدو بغداد المعاصرة بكل ملامح العصرنة والحداثة. فهي مدينة إسلامية تجمع بين القديم والحديث ولكل عصر نكهته ومذاقه.

# مُدن وشعوب إسلامية

ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية

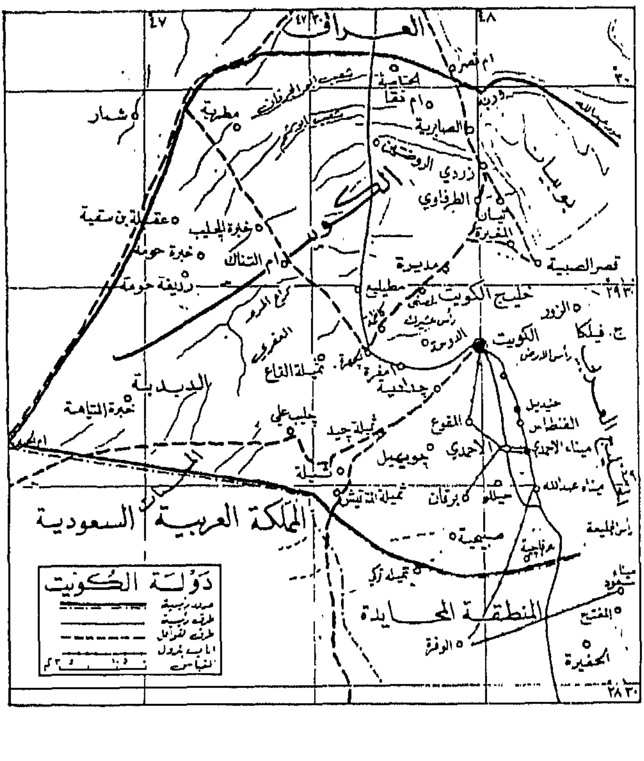
- التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري -

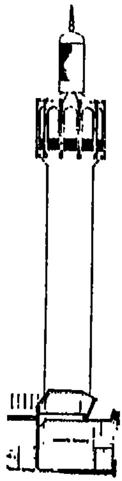
الدكتور حسّان حلاق

**2: الكتاب الثاني**

دار الراتب الجامعية - سوفنير

# الكويت


العراق
الكويت
المملكة العربية السعودية
المنطقة المحايدة
دولة الكويت
خليج الكويت
فيلكا
الدبدبة
شمار
ام نقا
الصابرية
الطرفاوي
مطربة
قصر الصبية
مديرة
مطلاع
الجهراء
الأحمدي
ميناء الأحمدي
الفنطاس
المقوع
برقان
صبيحية
الوفرة
الخفيرة
الزور
بوبيان
ام قصر
عبدلي
جليب علي
رأس الزور
ميناء عبدالله
رأس الأرض



# الكويت

يطلق إسم الكويت على الدولة والعاصمة معاً. وتقع مدينة الكويت على خط طول ٤٨° شرقاً وخط عرض ١٥′ ٢٩° شمالاً، وتمتد على ساحله لمسافة ٢٥ كلم وتبتعد عنه إلى الداخل بنحو ١٠ كلم.

ومدينة الكويت هي إحدى محافظات دولة الكويت الثلاث، فقد سبق أن قسمت دولة الكويت في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٦٢ إلى ثلاث محافظات هي: الكويت، حولي، الأحمدي، وتضم أكثر من مليون نسمة.

والكويت إحدى مدن ودول الجزيرة العربية الواقعة على الخليج، يحدها شرقاً الخليج وشمالاً العراق وغرباً وجنوباً المملكة العربية السعودية، ويتبعها في الجنوب والغرب منطقتان محايدتان بينها وبين السعودية والعراق.

والكويت تصغير «الكوت» وهو الحصن. ومن الناحية التاريخية فإن تاريخ المنطقة يعود إلى ما قبل الميلاد بآلاف السنين. وقد عاصر سكان الكويت السومريين في بلاد ما بين النهرين في حوالى ٤٥٠٠ق.م. وقد أشارت الأدلة الأثرية على قيام الصلات

التجارية بين الكويت ووادي الرافدين. ولقد كشفت البعثات الأثرية الأجنبية عن آثار يرجع تاريخها إلى عام ٢٥٠٠ق.م. ووجدت قوالب لتماثيل صغيرة لرأس الإسكندر الأكبر، وأفروديت آلهة الجمال، كما وجدت آثار كثيرة في جزيرة فيلكا. وكانت الكويت في العصر الجاهلي مركزاً لمرور أو إقامة القبائل العربية مثال: بكر بن وائل وعنزةَ وبني عتبة وتميم. وقد دخل الإسلام الكويت على غرار بقية مناطق الجزيرة العربية واستقر بها، وكانت تخضع للخلافة الإسلامية إلى أن بدأ يتسلل الإستعمار الأوروبي إليها في فترة من الزمن.

وبدأت الكويت في نشأتها الحديثة في بداية القرن الثامن عشر الميلادي عندما نزحت من قلب الجزيرة العربية إلى شواطىء الخليج العربي قبيلة الصبّاح. وقد أقام شيخ قبيلة بني خالد في عام ١٧١٢ حصناً (كويتاً صغيراً) على الخليج، ما لبث أن تطور هذا الموقع من كوت صغير إلى بلدة يسكنها البدو وصيادو الأسماك. ثم وصل إليها تباعاً رجال من قبيلة عنزة ومنهم آل الصبّاح وخليفة، التي آلت سيطرتها إليهم بعد خمسين سنة من تأسيسها.

وكانت مدينة الكويت مدينة تجارية منذ أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، ووصفها الرحالة الدانمركي «كارستن نيبور» (١٧٣٣ ـ ١٨١٥) الذي زارها عام ١٧٦٥ ووصفها وصفاً دقيقاً جاء فيها أنها «بلدة عدد سكانها عشرة آلاف نسمة، ولهم ثمانمائة مركب، ويعيشون على التجارة وصيد السمك والغوص على اللؤلؤ».

ويعتبر الأمير صباح الذي تولى الحكم بين (١٧٥٢ ـ ١٧٦٢)

هو مؤسس مشيخة الكويت، وذلك عندما اختاره سكان المدينة حاكماً عليهم. ثم تولى الحكم من بعده الشيخ عبد الله (١٧٦٢ - ١٨١٢) ومنذ ذاك التاريخ توالت أسرة الصبَّاح على الحكم في الكويت ولا تزال إليوم، وتحولت من مشيخة إلى إمارة ثم إلى دولة مستقلة.

والحقيقة فإن العاصمة الكويت تطورت تطوراً كبيراً منذ الخمسينات إلي اليوم، وقد لعب البترول دوراً بارزاً في هذا التطور وفي مختلف الميادين الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. فبعد أن كانت محاطة بسور بين ١٩٢١ - ١٩٥٧، وبعد أن كانت بلدة صغيرة، إذا بها تغدو من آهم المدن والعواصم الخليجية، وباتت من أحدث وأجمل العواصم بعد خطة تنظيم المدينة.

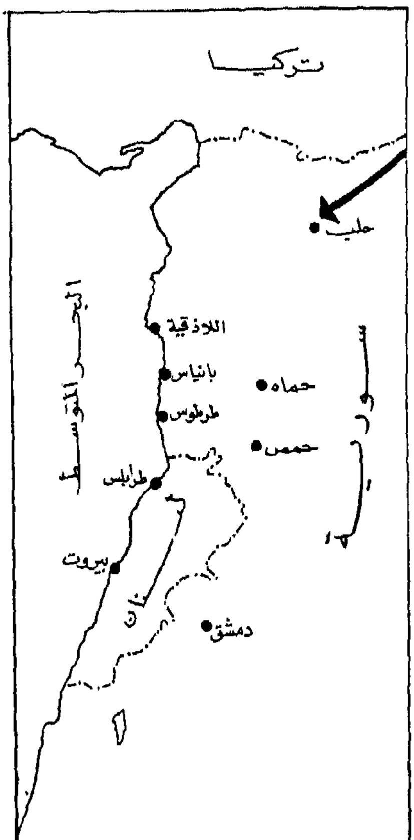
وتضم مدينة الكويت مساجد ودور للعبادة ومراكز ثقافية ودينية، بالإضافة إلى أنها مركز الإمارة ومركز للوزارات والمؤسسات الرسمية، وتضم جامعة متطورة تنقسم إلى كليات عملية ونظرية، كما تأسس فيها متحف وطني منذ عام ١٩٥٧ يضم مختلف النماذج والأدلة الأثرية. وفي عام ١٩٦٠ افتتح ميناء الكويت وله رصيف عميق، وفي سنوات لاحقة تم توسيع الميناء لاستقبال السفن العملاقة. وفي الكويت مطار من أهم مطارات العالم، ترتبط الكويت بواسطته بمختلف بلدان ودول العالم، كما تتميز بوجود طرقات برية وطرق مواصلات حديثة. كما اشتهرت مدينة الكويت في السنوات الأخيرة على أنها مدينة التداول النقدي والتعامل المالي، حيث تركزت فيها الكثير من المؤسسات المصرفية والبنوك العربية والأجنبية.

وبالإضافة إلى التطور الزراعي والصناعي والتجاري والبترولي في الكويت، وبالإضافة إلى جامعة الكويت ومستواها اللائق، فإن الكويت تتميز بوجود مدارس ابتدائية وتكميلية وثانوية متطورة بالإضافة إلى معاهد المعلمين والمعلمات والمعاهد الدينية والمعاهد الفنية والتقنية أيضاً. وقد أعطي للمرأة الكويتية دوراً بارزاً في حقول الثقافة والتربية والتعليم.

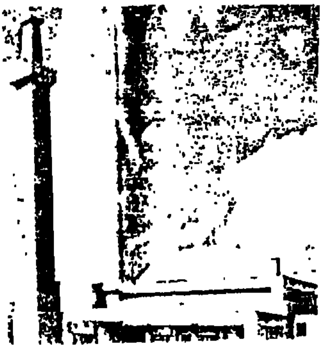
الكويت ليست مدينة البترول فحسب، بل إنها مدينة الثقافة واللؤلؤ بل أنها لؤلؤة الخليج.

لقد مرت الكويت بأزمة حادة منذ صيف ١٩٩٠ حتى أواخر شباط (فبراير) ١٩٩١ بسبب اجتياح العراق لأراضيها، غير أن هذه الأزمة رغم ما خلفته من دمار وآثار سلبية، فإن إرادة وتصميم شعب الكويت على الحرية وعلى البناء ستؤدي إلى عودة الكويت إلى ما كانت عليه من تطور ورقي وازدهار.

# حلب



# حلب



حلب إحدى أهم المدن السورية. وهي تقع في شمال سورية وتعرف باسم الشهباء. وهي قاعدة محافظة حلب وفيها سبعة أقضية: جبل سمعان، عين عرب، منبج، الباب، عفرين، اعزاز، جرابلس. عدد سكانها أكثر من (٦٠٠) ألف نسمة.

وتاريخها قديم يعود إلى عصور ما قبل الميلاد. وكانت عاصمة لمملكة «يمهاد» كما ورد في الكتابات الحيثية في الألف الثاني ق.م. وتوالى على حكمها الكثير من الدول والأمبراطوريات منها: الأمبراطوريات الحيثية، الآشورية، اليونانية، الرومانية، الفارسية. وفي عام ٦٣٧ ميلادية افتتحها العرب وهو تاريخ دخول الإسلام إلى المنطقة بشكل ملحوظ، وجعلوها عاصمة لجند قنسرين. ثم أصبحت عاصمة للحمدانيين عام ٩٤٤م، وأشتهر من أمرائها سيف الدولة. ثم احتلها البيزنطيون عام ٩٦٢م. وبعد ذلك خضعت للفاطميين وللسلاجقة وللأيوبيين، واجتاحها المغول عام ١٢٦٠م، ثم احتلها المماليك بعد معركة عين جالوت عام ١٢٦٠م. وفي عام ١٥١٦م أصبحت ولاية عثمانية، واستمرت خاضعة للعثمانيين مع بقية بلاد الشام إلى عام ١٩١٨ حيث خضعت للفرنسيين.

وكان لحلب في تاريخها القديم سور يحمي البلد، ترتفع فوقه الأبراج العسكرية وكان له سبعة أبواب هي: باب الجنان، باب الأربعين، باب أنطاكية، باب قنسرين، باب اليهود، باب الفراديس، والباب الشرقي. ولا تزال ملامح سورها وقلعتها قائمة حتى اليوم.

ولا تزال تمثل حلب المدينة الإسلامية التي تجمع بين القديم والحديث، ومن معالمها الأساسية قلعة حلب التاريخية المقامة على ربوة عالية، يتقدمها الباب الرئيسي، ويسيجها سور طويل يمتد على كامل الربوة. وفي داخلها الملامح العسكرية المطلوبة من غرف للعسكر ومن أماكن للسلاح، ودار السلطان. وفيها ضريح لأحد الأمراء الذين عاشوا فيها.

وتطل القلعة اليوم على أحد شوارع حلب الحديثة، وهو يصل إلى مَعْلَم من معالم المدينة هو ساحة الملك الظاهر بيبرس. وفي مواجهة القلعة بعض المساجد الأثرية القديمة.

وفي ساحة السبيل نجد حديقة يتوسطها شاعر حلب الشهير أبو فراس الحمداني، الذي ينتشر تمثاله في أكثر من موقع ومكان في ساحات حلب.

وفي حلب المسجد الجامع الأثري التاريخي، مع جوامع وزوايا عديدة. وقد أشار الرحالة المسلمون إلى هذا المسجد وإلى مدارسها وبيمارستانها (مستشفاها) وحماماتها التي اشتهرت بها.

ويعتبر مسجد الروضة التي شيدته وزارة الأوقاف الإسلامية من المساجد الحديثة والهامة التي أنشئت في منطقة هامة في حي

السبيل. وقد قامت وزارة الأوقاف والجمعيات الإسلامية ببناء بعض المساجد الأخرى في مختلف أنحاء حلب. كما يوجد في حلب بعض الكنائس أهمها كنيسة القديس «مارجرجس» للروم الأرثوذكس، وهي من أهم الكنائس الحديثة في المدينة. أما شوارعها فتجمع بين القديم والحديث.

ومن إنجازات الدولة سد الفرات، وقد ساهمت حلب مساهمة كبرى في بنائه. وقد ساعد هذا السد على تحويل وجه حلب، بحيث شهدت نهضة زراعية وصناعية بعد إنجازه. ويعتبر هذا السد من معالم البلاد الهامة.

ومما ساعد على أهمية حلب سواء في مجال السياحة أو التجارة، موقعها الجغرافي المميز بين الشرق والغرب، فهي لا تبعد عن الحدود التركية أكثر من خمسين كلم. ويوجد طريقان بريان رئيسيان يربطان بين حلب وتركيا، فهي محطة على الطريق، يقف فيها المسافر بالسيارة للإستراحة، ويقف فيها قطار الشرق السريع الذي يبدأ رحلته من بغداد إلى سوريا ومنها إلى تركيا وأوروبا وبالعكس وتعتبر هذه القطارات والرحلات التي تقوم بها من المعالم التي تميزت بها حلب.

ومن معالم حلب الحديثة فنادقها الكثيرة المرتبطة بشركات عالمية أو وطنية. كما تتميز حلب بكثرة ميادينها وحدائقها التي تتوسطها برك المياه والنافورات لا سيما نافورات ساحة التحرير وهو أكبر ميادين حلب.

وفي الإطار التعليمي والثقافي، تبرز جامعة حلب كأضخم إنجاز علمي حيث تحتل مبانيها حوالى ١٢٠ هكتاراً فوق التلال

المرتفعة التي تشرف على المدينة. وقد أنشئت هذه الجامعة عام ١٩٦٠ في عهد الوحدة المصرية ـ السورية. وتضم الكليات العملية والكليات النظرية بما فيه كلية الطب البشري وكلية الطب البيطري وكليات الهندسة والزراعة والعلوم وكليات الآداب والحقوق والعلوم الاقتصادية.

بالإضافة إلى الجامعة، يوجد مستشفى مكافحة التدرن وهو تابع لكلية الطب. كما يوجد في المدينة الجامعية مستشفى حلب الكبير ومبنى للطلاب وللطالبات المغتربين موقعه داخل الحرم الجامعي.

وفي الاطار التعليمي أيضاً تنتشر في حلب مجموعة كبرى من المدارس الابتدائية والتكميلية والثانوية، بالإضافة إلى بعض المعاهد الدينية والمعاهد المهنية والمتخصصة والمعاهد التجارية والصناعية ومعاهد إعداد المعلمين والمعلمات.

أما فيما يختص بمطار حلب فله أهمية خاصة، فكما أن الطرق البرية ربطت حلب بأوروبا براً عن طريق إكسبرس الشرق السريع، وكذلك عن طريق الأوتوستراد الذي يربط بين دمشق وحلب وبين حلب وتركيا عند باب الهوى، فإن مطار حلب لا يربط بين المحافظات السورية فحسب، وإنما باتت بعض شركات الطيران الأجنبية تصل إلى مطار حلب من أوروبا. وإلى جانب ذلك فقد أقيمت في حلب منطقة حرة لاستثمار رؤوس الأموال الوطنية والعربية والأجنبية في مجال التجارة أو الصناعة.

أما الأوضاع الاقتصادية في حلب، فإنها مدينة تجمع بين الزراعة والصناعة والتجارة. ففي مجال الزراعة تشتهر حلب بإنتاج الفستق الحلبي، والصنوبر والفاكهة على أنواعها والتين والزيتون

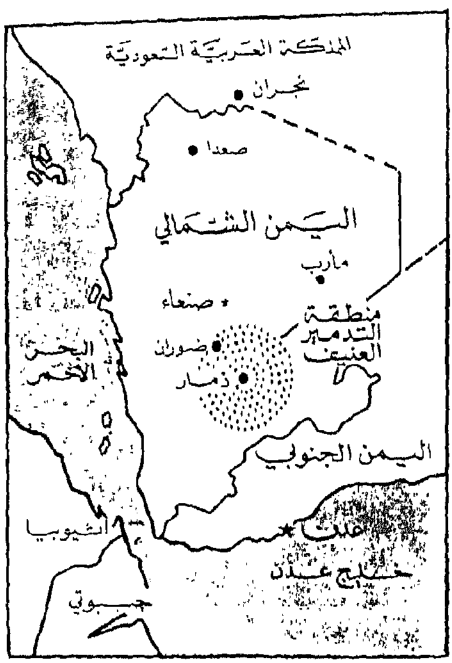
والقمح والشعير والعدس وكافة أنواع البقول والخضار، والقطن والتبغ، بالإضافة إلى وجود ثروة حيوانية كبيرة.

وفيما يختص بالصناعة، ففي حلب مصانع للإسمنت والجرارات الزراعية وتجميع أنواع عديدة من الجرارات، وفيها أكبر مصنع للتبغ ولف السجائر وهي صناعة قديمة تنفرد بها حلب منذ القديم. وفيها مصانع للغزل والنسيج والألبسة الجاهزة والمنتجات الجلدية، وكانت حلب مشهورة منذ القدم بإنتاج الحرير، ففي حلب منتجات الحرير المطرز. كما تشتهر حلب بإنتاجها لصناعة الحلويات الشرقية. والمتجول في شوارع وأسواق حلب السياحية يجد الأواني النحاسية والخشبية والبرونزية والثريات وسواها من التحف.

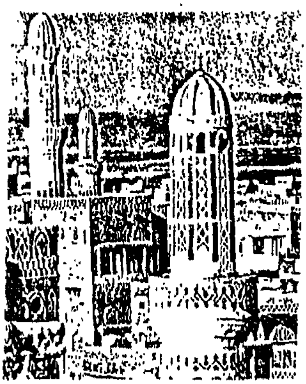
وتساعد المنتجات الزراعية والإنتاج الصناعي على دورة حركة التجارة في حلب.

والحقيقة فإن حلب مدينة تاريخية أثرية، ولكنها في الوقت نفسه مدينة عصرية تجمع بين الأصالة والحداثة، بين القديم والجديد. وهذا واضح في عادات وتقاليد سكانها، وفي ألبستهم وممارساتهم وفي أسواقهم وشوارعهم.

# صنعاء


المملكة العربية السعودية
نجران
صعدا
اليمن الشمالي
مأرب
صنعاء
منطقة التدمير العنيف
ضوران
ذمار
البحر الأحمر
اليمن الجنوبي
أثيوبيا
عدن
خليج عدن
جيبوتي

# صنعاء



صنعاء عاصمة الجمهورية العربية اليمنية، وتقع في شمال البلاد وهي أكبر المدن اليمنية. يبلغ عدد سكانها حوالى ١٢٠ ألف نسمة. والعاصمة صنعاء لها تسعة أقضية: صنعاء، عمران، الجوف، حوت، المحويت، ريحة، كوكبان، حراز، وإبس. وصنعاء مركز تجاري هام منذ فجر التاريخ، حيث ظهرت فيها الحضارات العربية القديمة. وقد بقيت صنعاء عاصمة البلاد بعد أن اتحدت اليمنين في أيار (مايو) عام ١٩٩٠. وسميت صنعاء بهذا الإسم لوجود الصنعة فيها. كما يقال بأن الذي بنى اليمن بنّاء يعرف باسم «صنعاني».

هذا، وقد اكتشف مؤخراً حضارة مجهولة قرب صنعاء قام بها فريق من علماء الآثار الإيطاليين، ترجع إلى ألفي عام قبل الميلاد، تعبر عن حضارة متطورة، وقد أثبت العلماء أن تلك الحضارة كانت على دراية باستخدام نظام الري، وأن المزارعين كانوا يستخدمون آنذاك نظم ري متطورة، وقنوات لتحويل مياه الأمطار إلى الزراعة.

إنتشر الإسلام في اليمن بسرعة منذ ظهوره ومنذ أن فتحها العرب عام ٦٣٦م، وكان أهل اليمن من أوائل الذين آمنوا بالرسول

ونصروه، كما كان لهم أثر كبير في نشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية. ثم خرج أهل اليمن مع الفتح الإسلامي في جيش عمرو بن العاص، وفي جيوش سواه من القادة، فاستقر عدد كبير من المجاهدين ومن القبائل اليمنية في بلاد الشام وفي مختلف أقطار العالم العربي. كما ينتسب إلى صنعاء خاصة واليمن عامة كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين وكبار رجال الإسلام.

وقد تعرضت اليمن إلى هجمات أجنبية، بما فيها الهجمات الصليبية والمغولية، ثم الهجمات البرتغالية والهولندية والبريطانية. واستطاعت في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي قوات صلاح الدين الأيوبي، ثم قوات المماليك التصدي للهجمات الصليبية والمغولية، والوصول إلى مداخل البحر الأحمر من أجل حمايتها.

وفي عام ١٥١٧ وبعد سيطرة العثمانيين على مصر، أعلنت اليمن ولاءها للسلطان العثماني سليم الأول. كما خضعت اليمن للحكم المصري عام ١٨٣٥ في عهد والي مصر محمد علي باشا. واستمرت اليمن لسنوات طويلة في مرحلة الصراعات الدولية بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية، إلى أن احتلت القوات البريطانية عدن عام ١٨٣٩، وكان ذلك يعني خروج المصريين من المنطقة. واستمر الشعب اليمني يئن من وطأة الاحتلال الإنجليزي، والصراعات الدولية، وقام بثورات عديدة من أجل ضم عدن وملحقاتها إلى الوطن الأم اليمن. وكانت بريطانيا قد قامت بهجمات عديدة على اليمن في عامي ١٩٥٦ - ١٩٥٧.

انضمت اليمن وكانت تعرف باسم المملكة المتوكلية اليمنية إلى هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، وانضمت إلى جامعة الدول

العربية عام ١٩٥٤، ثم ألغيت الملكية وأعلنت جمهورية عام ١٩٦٢.

واليمن كما هو معروف مهد للحضارات، وقد مرت عليها شعوب وحضارات عديدة، وهذا الأمر أدى إلى تنوع آثارها وحضارتها. وأول ما يميزها سد مأرب وهو يعتبر من عجائب الفن الهندسي. وقد شيد أساساً لتنظيم الري ووقاية العاصمة من أخطار الفيضانات الموسمية التي تصيب مأرب في شمال شرقي صنعاء.

ومن مميزات صنعاء التراث المعماري اليمني، وهو أكثر ما يلفت النظر في العاصمة ومختلف المناطق اليمنية، بالاضافة إلى النقوش الدقيقة والرائعة التي تظهر على جدران المنازل والقصور والمساجد والقلاع. حتى أن الآيات القرآنية تكتب بأسلوب النقش البارع المميز.

يتوقف المشاهد في صنعاء أمام عمارة القصور والبنايات المرتفعة فوق الجبال، وفوق الصخور المرتفعة. وقد تبلغ هذه الأبنية عدة طوابق. وقد ارتبط هذا النمط المعماري بأسباب جغرافية وبيئية وأسباب عسكرية، ذلك أن هذه الأبنية هي بمثابة قلاع، نوافذها بمثابة فتحات القلاع، وأبوابها بمثابة أبواب المدن المسوّرة. من بين هذه القصور المميزة التي تسترعي الإنتباه قصر «الحجر» في صنعاء، وهو أحد قصور الأئمة السابقين.

واللافت للنظر أن اليمني لم يبنِ في صنعاء قصراً أو بناءً واحداً فوق تلك الجبال أو الصخور، إنما نقل الأحجار ومستلزمات البناء إلى ارتفاع ثلاثة آلاف متر فوق سطح الأرض لبناء قرى بأكملها وليس منزلاً أو قصراً واحداً.

ومما يلفت النظر أيضاً أن أبنية قد تبلغ سبعة طوابق، قد كست جدرانها وواجهاتها من عتبة الباب عند المدخل الأرضي، حتى سور السطوح. وعلى هذا فإن النقوش المعمارية كـانت ولا تزال تؤدي دوراً جمالياً، وهي انعكاس للبيئة وللعامل النفسي عند أبناء صنعاء واليمن عامةً. ومن يرى صنعاء القديمة عن بعد يتراءى له أنه أمـام لـوحة تتخللهـا النقوش، بـل يمكن القول بـأن هذه الصـورة تمثل الموشحات الأندلسية، وقد طليت بلونين اثنين: الأول لون الحجز، والثـاني اللون الأبيض، وتتخلل صورة صنعـاء القديمـة المساجـد المتناثرة هنا وهناك.

ونظراً لحضارة اليمن القديمة، فقد سميت ببلاد القصور، وهنا لا بد من أن نشير إلى قصر هام مميز في صنعاء هـو قصر غمـدان المدفون الآن في صنعاء، وعلى تلاله أقيم القصر، وهو بناء قديم نصفه مخزن للسلاح، والنصف الآخر سجن للمعتقلين.

ويعتبر قصر غمدان أول ناطحة سحاب في التاريخ، فهـو من بناء القرن الأول الميلادي. وكان لا يزال قائمـاً حتى أوائل القـرن الأول للهجرة على عهد الخليفـة عثمان بن عفـان، أي أنه استمـر حوالى ستة قرون. ومن قصور صنعاء المميزة قصر القليس أيضاً. أما قصر ناعط فقد كان قصر القصور، إذ تألف من (٢٠) قصراً كبيراً مقامة على قمة جبل تنين بهمدان.

وفي صنعاء أكثر من خمسين مسجـداً بين القديم والحـديث، منها الجامع الكبير الـذي أقيم زمن الرسـول محمد ﷺ في السنـة السـابعة أو التـاسعة للهجـرة. وقد أمـر بتوسيعـه الخليفـة الأمـوي الوليد بن عبد الملك، وكذلـك فعل الـولاة من بعده، وفيـه مكتبة

عـامة، هي من أكبـر المكتبات في العـالم العربي، تحتـوي على نفائس الكتب والمخطوطات النادرة. ويقال بأن هذا الجامع الكبير أقيم على أنقاض قصر غمدان، وقد عـرف الجامـع باسم الجـامع الكبير أو جامع السيدة أروى بنت أحمد، بالإضافة إلى هذا الجامع يوجد في صنعاء جامع البكرية الذي يعتبر مفخرة الفن المعمـاري الإسلامي. ومن المساجـد المميزة في اليمن عـامة هي: الجـامع الكبير في صنعاء، وجامع الجَنَدْ في بلدة الجَنَدْ، وجامع الأشاعرة في زبيد. وهذه المساجد الثلاثة مع مئات المسـاجد المنتشـرة في اليمن تعتبر تحفة فنية رائعة.

وقد حرصت الحكومة اليمنية على الاحتفاظ بالطابع المعماري اليمني التـراثي حتى عند بنـاء المباني الحـديثـة، بمـا فيـه مبـاني الوزارات وفي مقدمتها مبنى وزارة العدل الذي جمع بين الأصـالة والحداثة، غير أن هناك بعض الاختـراقات الغـربية المحـدودة في العمارة الحديثة.

والـواقع فـإن اليمني لـم يكتف بالعمـارة في صنعـاء المـدينـة فحسب، بل توجه إلى وديانها ووديان المناطق الأخرى، حيث أقام مباني ومدرجات زراعية ونحت الصخر ونقشه نقوشاً ملفتـة للنظر. وهذا ما يلمسه الناظر على طول الطريق من صنعاء إلى الحُديدة.

لقد كانت صنعاء على غرار المدن الإسلامية القديمة، يحميها السور الذي يخترقه عـدة أبواب. فقـد كان يحيط بهـا سور ضخم ترجع أقدم أجزائه إلى أيام الأيوبيين. وكان على كـل باب حفـاظ وحراس الباب يحملون مفاتيح أبواب السور أو يضعونها في خزانة السلطان. ولا تزال صنعاء القديمة كما هي، باستثناء سورها العتيد

الذي تهاوت بعض أجزائه، وبقيت بعض أبوابه، وبقيت أسماء هذه الأبواب كما كانت تعرف منذ القدم.

وفي صنعاء حتى اليوم الأسواق المتخصصة على غرار أسواق المدن الإسلامية مثل القاهرة ودمشق وبغداد وبيروت واستانبول، فيجد المرء سوق النحاسين، وسوق الحدادين، وسوق السلاح، وسوق النجارين، وسوق البنائين، وسوق الأقمشة، وسوق العطارين، وسوق القات وملحقاته. والقات نبات مخدر يمضغ مضغاً، وهو من المقتنيات اليومية التي يحرص اليمني على اقتنائها وتناولها. وهناك أسواق أخرى عديدة متخصصة باحتياجات اليمني.

وقد أشار استرابون إلى أسواق اليمن وإلى تجارتها وصناعتها، ووصف اليمن بأنها أغنى بلاد العرب، وأن اليمنيين يقتنون الرياش الفاخرة ويكثرون من الذهب والفضة والأثاث، وأنهم يزينون منازلهم بالعاج والذهب والفضة والحجارة الكريمة. كما أن الرومان وصفوا اليمن بأنها اليمن السعيد (Arabia Felix). غير إن الذي يميز أسواق صنعاء واليمن عامةً، صناعة الخناجر المعقوفة، التي يضعها اليمني على وسطه، ولا يستغني عنها أي يمني. لذا فإن هذه الصناعة من أروج الصناعات اليمنية.

وشوارع صنعاء يسمونها عادةً «الحارات»، وتوصل حكماً إلى المساجد والأسواق. علماً أن لكل حارة المسجد والبستان والسوق الخاص بها يؤمن للسكان الاحتياجات اليومية من الغذاء والمآكل والخضار والفواكه. وإذا مر الإنسان في أحد أسواق صنعاء، فيظن نفسه أنه في العهود الإسلامية الأولى، أو في العهود السحيقة، فالزي اليمني الشعبي لا يزال هو نفسه منتشراً منذ آلاف السنين،

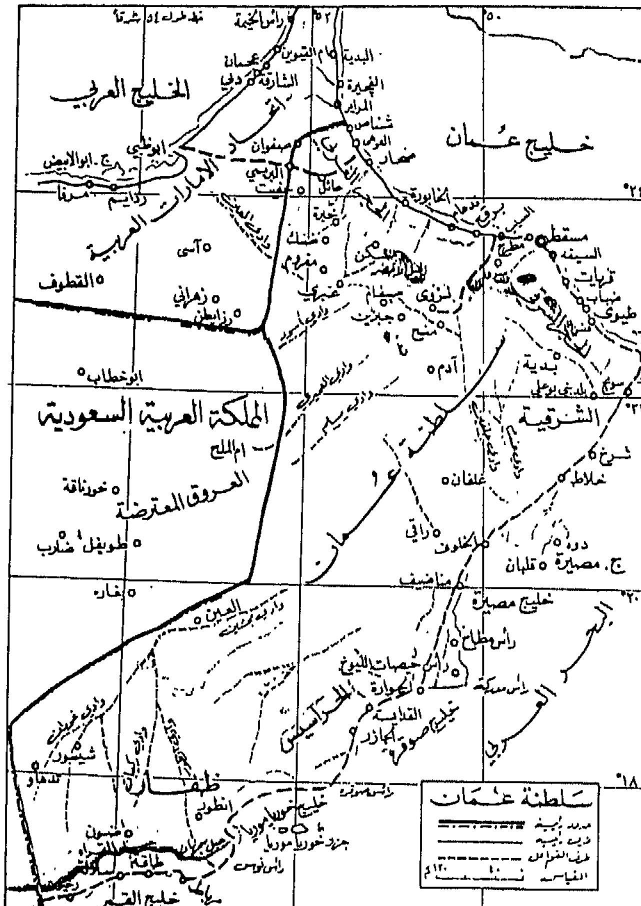
والأدوات التي تراها في الأسواق، هي أدوات تماثل الأدوات التي استخدمها اليمني القديم من خناجر وسيوف وحلي وصحون وسبحات وأدوات زينة ووصفات شعبية طبية. فالرجل اليمني والمرأة اليمنية رغم تقدمهما في ميادين عديدة، غير أن مظهرهما لا يزال يذكرك بتراث اليمن وحضارتها منذ آلاف السنين.

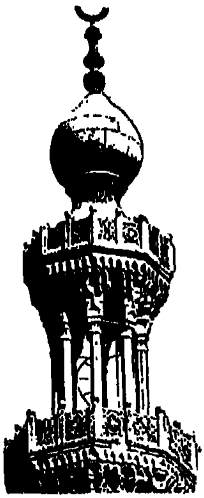
وأبناء صنعاء واليمن عادةً حريصون على التقاليد اليمنية وعلى التراث اليمني. كما أنهم يحرصون على معتقداتهم الدينية الإسلامية ولهم احتفالات مميزة في شهر رمضان المبارك وعيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك. بالإضافة إلى المناسبات الدينية الأخرى والإحتفالات الوطنية.

أما فيما يختص بالوضع الاقتصادي في اليمن، فمن المعروف أن اليمن منطقة زراعية منذ فجر التاريخ، وسد مأرب يثبت ذلك. كما وصفت مناطق اليمن بجنات نظراً لكثرة بساتينها وجمالها. كما ازدهرت فيها التجارة منذ القدم. أما اقتصادها بشكل عام فقائم على زراعة: القات، البن، السمسم، النيلة، التبغ، الحبوب، العنب، والثمار وتربية المواشي كما اشتهرت منذ القدم بالذهب والفضة والحديد والنحاس. ولا تزال بعض هذه المنتجات موجودة حتى اليوم.

إن صنعاء مدينة تمثل أعلى درجات الأصالة والحفاظ على التراث، وقد تكون بعض المدن الإسلامية العريقة، قد تأثرت أو انصهرت في إطار الحضارة الغربية. غير أن صنعاء الحضارة، صنعاء القديمة لا تزال هي هي محافظة على أصالتها وتقاليدها وملامحها العمرانية والاجتماعية.

# مسقط


الخليج العربي
خليج عُمان
أبوظبي
الشارقة
دبي
عجمان
رأس الخيمة
البريمي
صحار
شناص
الخابورة
بركاء
السيب
مطرح
مسقط
السيفة
قريات
صور
الشرقية
الإمارات العربية
المملكة العربية السعودية
العروق المعترضة
ام الملح
القطوف
زهراني
أدم
منح
نزوى
بهلا
عبري
خليج مصيرة
ج. مصيرة
رأس مطراح
الحوارة
خليج صوقرة
ظفار
مرباط
خليج القمر
انطون
جزر خوريا موريا
سلطنة عُمان
٢٤°
٢٢°
٢٠°
١٨°
٥٠



# مسقط

مسقط عاصمة سلطنة عُمان، موقعها في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية. تشرف على البحر العربي في الجنوب وعلى خليج عُمان في الشرق. ويحدها من الغرب المملكة العربية السعودية وصحراء الربع الخالي، ويحدها من الغرب والجنوب جمهورية اليمن الشعبية.

عدد سكان عُمان مليوني نسمة، مساحتها ٢١٢,٣٧٠كلم٢. تشكل الجبال الغربية حاجزاً طبيعياً بين السهل العُماني والمنطقة الصحراوية الداخلية أهم مدن سلطنة عُمان: مطرح، صور، نخل، نزوى، مرباط، صُحار وظفار.

إمتد الإسلام إلى هذه المناطق منذ بداية الدعوة الإسلامية، وقد امتدت سلطة الدولة الإسلامية إليها عبر العصور والحقب الإسلامية. ونظراً لأهمية موقعها فقد تنافس الأوروبيون للسيطرة عليها. ففي عام ١٥٠٨م احتلها البرتغاليون، ثم أسس فيها أحد أفراد الأسرة اليمنية حكماً مستقلاً عام ١٧٤١م، فامتد نفوذها حتى زنجبار وشاطىء أفريقيا الشرقي(*). وبشكل عام فإن عُمان لا تزال

(*) انظر في هذا الكتاب الدراسة الخاصة بزنجبار.

تسيطر على أقدم الطرق التجارية البحرية في العالم، وهو الطريق البحري بين الخليج والمحيط الهندي، وتتحكم في مضيق هرمز عند مدخل الخليج، حيث يمر نصف نفط العالم.

وتتميز البلاد بانتشار الوديان الخصبة، وبالجبال التي تشكل مع الصحراء معالم تضاريسها. كما تتميز بشواطئها الجميلة الممتدة مسافة (١٧٠٠) كلم على طول شاطىء البحر. كما تتميز البلاد بحرارة مرتفعة وأمطار صيفية.

ومن مميزات العاصمة مسقط أنها مدينة ممتدة في حضن الجبال التي تحيط بها من ثلاث جهات. أما الجهة الرابعة من الشرق فهي تنفتح على البحر حيث ينتشر على هذه الجهة المراكب والزوارق السياحية وكورنيش مسقط الممتد على طول الساحل. ونظراً لهذا الموقع الطبيعي فإنها لا تزال تتميز بخطوطها الدفاعية.

وكان لمسقط سور قديم، غير أن التطور الحديث الذي طرأ على المدينة أدى إلى هدمه، مما أخرج العاصمة خارج حدوده. غير أن أسواقها وبعض ملامحها القديمة لا تزال تذكر الناس بروايات ألف ليلة وليلة.

أينما توجهت في مسقط وفي بقية المناطق العُمانية، يواجهك شعار البلاد وهو: «سيفان متقاطعان يتوسطهما خنجر». وهذا الشعار هو معلم من معالم السلطنة، يجده الناظر على جدران المؤسسات العامة والخاصة. ومما يلاحظ سيطرة النمط المعماري الإسلامي على الأبنية في البلاد سواء مباني الوزارات أو الفنادق أو المنازل والڤيلات، ذلك أن الدولة وجهت الناس هذه الوجهة وشجعتهم على تنفيذ ذلك، حفاظاً على التراث والفن المعماري

الإسلامي الذي يظهر بوضوح في الواجهات والأسوار والأبواب. ومن المباني التي يظهر فيها الملامح المعمارية الإسلامية مبنى البلدية والمساجد المنتشرة في مسقط والسلطنة منها على سبيل المثال مسجد الزواوي في منطقة الخوير في مسقط. ومباني حي القرم وهو من أرقى أحياء العاصمة حيث يسيطر على مبانيه اللون الأبيض وسط الحدائق والجنائن.

ومن ملامح العاصمة أيضاً المطار الدولي، والبرج المميز في عمارته وفنه وهو المعروف باسم برج الصحوة القائم في الطريق إلى مطار السيب. وقد أقيم على جوانب قاعدته رسوم تحكي صوراً من التاريخ العُماني، ويعلو هذا البرج ساعة البرج وسط مربع مزخرف ومنقوش.

ومما يميز مسقط أيضاً ومناطق أخرى في السلطنة انتشار حوالى (٥٠٠) قلعة وبرج وحصن. وهذا دليل على أن هذه البلاد كانت عرضة للهجوم مما استوجب إقامة التحصينات الدفاعية. وتتميز البلاد بكثرة الميادين والنُصب والحدائق والجسور الممتدة فوق الأودية.

وعلى الصعيد الثقافي والعلمي، فقد نهضت السلطنة في هذا الميدان، فانتشرت في العاصمة والمناطق حوالى (٧٠٠) مدرسة تضم (٢٥٠) ألف طالب بينهم مائة ألف طالبة. ويوجد ثلاث مدارس فنية وتسع مدارس للتدريب المهني، وعدة كليات ومعاهد منها: كلية عُمان الفنية الصناعية ومعهد العلوم الصحية ومعهد العلوم المصرفية. أما جامعة السلطان قابوس فتعتبر من الجامعات الراقية أنشئت على مساحة (١٢) كلم²، تضم كليات عملية هي:

الطب، الهندسة، العلوم، الزراعة، وكلية التربية والعلوم الإسلامية والتعليم فيها باللغة الإنجليزية ما عدا الكلية الأخيرة. وفي الفترة الأخيرة أنشىء في الجامعة كلية الآداب بفروعها المختلفة، علما أن الطلبة العُمانيين كانوا يعتمدون في دراساتهم على كليات الآداب والحقوق والتجارة التابعة لجامعة بيروت العربية. ولا يزال عدد منهم ملتحقاً بهذه الجامعة حيث تقام لهم امتحانات خاصة في مسقط. وفي جامعة السلطان قابوس مركز للغات وللكمبيوتر، ومكتبة ضخمة تتسع لـ(٢٥٠) ألف كتاب، وهي متصلة عبر القمر الصناعي بمكتبة الكونجرس في واشنطن. كما أن بالجامعة مستشفى تعليمي مرتبط بكلية الطب.

ونظراً لاهتمام السلطنة بالتراث والثقافة فقد أنشئت وزارة خاصة عرفت باسم «وزارة التراث القومي والثقافة» تهتم بجمع ونشر مئات المخطوطات التاريخية القديمة وبالثقافة والفن. ويوجد في ضاحية القرم النادي الثقافي الذي يهتم عادةً بإقامة الندوات والمحاضرات وتعليم الكمبيوتر ونشاطات ثقافية أخرى.

وفي مسقط متحف وطني هو عبارة عن قلعة أو حصن أقيم حديثاً، ولكن على النمط المعماري الإسلامي. ويضم هذا المتحف ملامح ومعالم وأدوات ومجموعات وصور تمثل أدوار تاريخ عُمان القديم والوسيط والحديث ابتداءً من عام ٢٠٠٠ق.م. إلى اليوم. وفي مسقط آثار قديمة، كما يوجد في مناطق أخرى مثل هذه الآثار، ففي صلاله مثلاً أعمدة النبي سليمان، وفي مناطق ظفار قبور الأنبياء هود وأيوب وصالح.

وبالرغم من تطور الحياة الاجتماعية في السلطنة، غير إن

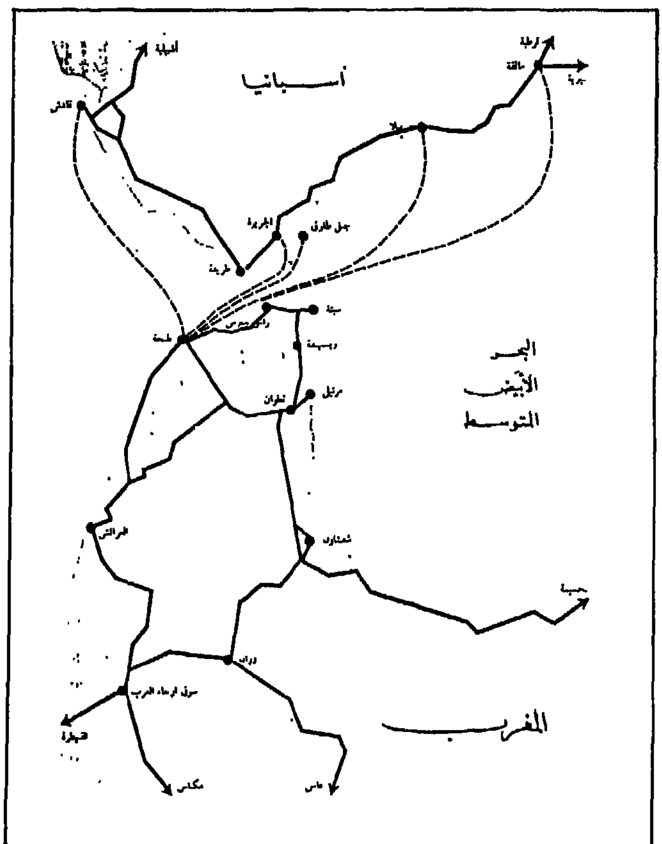
العُمانيين لا يزالون يحافظون على تراثهم العربي والإسلامي. وتظهر هذه الأمور في الأعياد والمناسبات والأفراح. ففي المناسبات الاجتماعية والوطنية والدينية يقرأ القرآن الكريم والأناشيد النبوية. وفي حفلات الزفاف يمارسون الرقص والغناء الشعبي. فالعريس يتجه مع ذويه وأصدقائه إلى منزل العروس وسط الأهازيج والرقص لا سيما الرقص المعروف باسم «الهبوت». ويكون الرجال عادةً بلباسهم الأبيض، يتمنطقون بأحزمتهم التي تتدلى منها الخناجر، وفي أيدي بعضهم البنادق أو السيوف. أما إجراءات عقد القران فهي على غرار عقود القران في الدول الخليجية والإسلامية باستثناء بعض العادات المميزة. ومما يميز الزواج العُماني ارتفاع المهر للعروس عند بعض القبائل حيث يقدر أحياناً بحوالى (٣٦) ألف دولار في حين أن أقل مهر حوالى ثمانية آلاف دولار.

أما الأوضاع الاقتصادية ومستوى دخل الفرد العُماني، فهي أوضاع جيدة على وجه الإجمال. ففي مجال الزراعة تنتشر زراعة جوز الهند، والتمر والحبوب والجوافة والفافاي وهو ثمر شبيه بالمانجو، واللبان وشهرته قديمة حيث كان الفراعنة يستوردونه من عُمان من أجل استخدامه في تحنيط موتاهم. وقد تميزت بعض سهول السلطنة بالخصوبة مثل سهل الباطنة الخصب تجاه مسقط، وسهل صلاله الأخضر. وما يميز السلطنة ويكسب اقتصادها القوة صيد اللؤلؤ والأسماك واستخراج البترول. ففي العاصمة ميناء الفحل لتكرير البترول. أما صناعاتها فهي متواضعة يأتي في مقدمتها صناعة السيوف والسكاكين والخناجر وأهم أنواع هذه الخناجر: الخنجر السعيدي نسبة للأسرة السعيدية، وهناك نوع

عادي من الخناجر المعروفة في البلاد. كما يوجد في البلاد صناعات من الفضة والفخار والأخشاب وصناعة الزوارق كما يهتم الصناع بالزخرفة والنقوش على الخشب والنحاس والفضة.

لقد بدأت مسقط والمناطق العُمانية تستقطب الزوار والسياح العرب والأجانب على السواء، لما تضمه من تراث عريق وأصالة مع ملامح الحداثة. فآثارها وقلاعها بل اللهجة الجبَّالية لأهلها تذكرك بالأمبراطورية العُمانية، فلغة الحميريين لغة اليمن القديمة لا تزال سائدة في جنوبي البلاد، وقلاعها الخمسمائة لا تزال منتشرة في مناطقها. إن سلطنة عُمان تذكر بماضيها المجيد.

# سبتة ومليلة


اسبانيا
مالقة
جبل طارق
الجزيرة
طريفة
طنجة
سبتة
مرتيل
تطوان
البحر
الأبيض
المتوسط
العرائش
شفشاون
وزان
سوق الربعاء الغرب
القنيطرة
مكناس
فاس
المغرب



# سبتة ومليلة

سبتة مدينة مغربية تاريخية هامة. أنشأ الفينيقيون فيها مراكز تجارية عرفت باسم «ابيلا» ثم عرفت بسم طنجة والعرائش. منها تجهز طارق بن زياد بالوسائل والسفن البحرية لقطع المضيق، وذلك في عام ٧١١ م. وتقع سبتة على الساحل المغربي وتطل على مضيق جبل طارق. مساحتها لا تتجاوز (١٩) كلم٢.

وتعتبر سبتة من المواقع الاستراتيجية الهامة، ولهذا فقد تعرضت لغزوات عديدة، منها غزوة قوات جنوه عام ١٢٣٤ م، وهجوم القوات القشتالية عام ١٢٦٠ م. ثم عادت سبتة إلى أيدي ملوك المغرب إلى عام ١٤٦٦ م وبقيت تحت سيطرتهم حتى انتزعها الأسبان عام ١٧٣٥ م. وجرت محاولات عديدة من قبل المغاربة لاستعادة سبتة عام ١٨٥٩، فما كان من الاسبان إلا أن تقدموا نحو تطوان واحتلوها، كما أحكموا قبضتهم على سبتة ومليلة.

والواقع فإن الصراع الفرنسي ـ الاسباني في المغرب قد أوجد سلبيات عديدة في البلاد. وبالرغم من الأضرار التي لحقت بفرنسا واسبانيا نتيجة وجودهما في المغرب، غير أن فرنسا قامت باحتلاله عام ١٩٠١، واستمرت فيه إلى أن نالت البلاد استقلالها عام

١٩٥٦ . وفي الفترة ذاتها من عام ١٩٥٦ انسحبت اسبانيا من منطقة الريف وطرفاية والصحراء، ولكنها لم تنسحب من سبتة ومليلة لأنها اعتبرت أن هذه المناطق بحكم طول الاحتلال مناطق اسبانية. وعدد سكان سبتة حوالى (٨٠) ألف اسبانياً وحوالى خمسة عشر ألف مغربياً وسبب التباين في هذه الأعداد السياسة الاسبانية في سبتة.

والداخل إلى سبتة يجب أن ينتقل من البوابة المغربية إلى البوابة الاسبانية، حيث ترتمي المدينة في أحضان البحر وتحت أقدام الجبل. وتتأرجح سبتة بحضارتها ما بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة الأوروبية. ويبدو ذلك واضحاً من خلال عمارتها وأسواقها وشوارعها ومنتجاتها وعاداتها وتقاليدها، وسكانها.

من ملامح ومعالم سبتة قلعة الميرينيين التي بنتها إحدى الأسر الحاكمة في المغرب. وموقعها على تلة تطل من خلالها على البحر. وبالمقابل فإن الأبراج والحصون العربية تنتصب فوق كل تلة، وعلى أعالي الجبال حول سبتة، وهي اليوم ثكنات عسكرية اسبانية أو قلاع اسبانية.

أما فيما يختص بأسوارها القديمة وأبواب المدينة، فقد هدمها الأسبان لأسباب تتعلق بوجودهم العسكري. بينما حل مكان المدينة القديمة الميادين الفسيحة أهمها «ميدان افريقيا» الذي أقيم أيام الاحتلال البرتغالي وتطل على هذا الميدان كاتدرائية كبرى. كما تنتشر في ميادين سبتة بعض التماثيل التذكارية الاسبانية. كما يوجد في ميدان افريقيا المجلس البلدي بمبناه المميز.

ومن معالم سبتة المميزة «مسجد سيدي مبارك» في منطقة جادو الذي تنتشر حوله المباني الحديثة والأثرية على السواء. أما المسجد

الثاني في سبتة فهو «مسجد بريسبي» الواقع في أحد الأحياء الشعبية.

ويبرز في سبتة موقع جبل موسى بن نصير أشهر القادة الأمويين، وهو الذي أعد العدة لفتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد. وجبل موسى مواجه لصخرة طارق على الجانب الآخر من المضيق. ويبدأ جبل موسى عند نهاية مباني سبتة، ومنه تشاهد عن بعد جبل طارق. ويلاحظ من خلال ذلك موقع سبتة الاستراتيجي الهام، فهي رأس مثلث لثلاث مدن تحكم مضيق جبل طارق: سبتة وجبل طارق وطنجة. وبالتالي تتوزع السيطرة على كل من بريطانيا في مستعمرتها جبل طارق، واسبانيا في مستعمرتها سبتة. والمسافة بين سبتة وجبل طارق (٢٠) كيلو متراً، وبين جبل طارق وطنجة (٦٠) كيلو متراً.

ومن جبل موسى يمكن التوجه إلى الأحياء العربية، مثل حي «جادو» وحي «بريسبي» فالواجهة البحرية لسبتة هي المدينة الأوروبية، بينما ظهير المدينة هو الحي العربي للمدينة. وهو من الأحياء المتواضعة، يتسم بالطابع العربي من حيث مبانيه أو الألبسة المغربية التي يرتديها الرجال والنساء والأطفال، أو من حيث اللغة العربية باللهجة المغربية التي يتكلم بها أهل هذه المناطق، في حين أن اللغة الاسبانية تنتشر في الأحياء الاسبانية.

ومما يميز سبتة العربية انتشار المزروعات والمنتجات المغربية، وانتشار أشجار السنديان والصنوبر. أما مرفأ سبتة فهو من المرافىء الهامة حيث يستقبل البواخر التجارية القادمة أو المتوجهة إلى أوروبا وآسيا.

وأقيمت في المدينة مصانع صغيرة لتعليب الأسماك وتجميع أجهزة التلفزيون، وغيرها من الصناعات الحديثة. ويرسو في ميناء سبتة أكثر من (١٢) ألف سفينة سنوياً، ومجيء نحو مليون شخص و(١٦٠) ألف سيارة. ونظراً للنشاطات الاقتصادية والتجارية الحرة، فقد تحولت سبتة إلى مدينة حرة مثل هونغ كونغ تماماً.

أما المدينة المغربية الثانية التي لا تزال خاضعة للأسبان، فهي «مليلة» الواقعة أيضاً على ساحل البحر المتوسط في الاقليم المغربي المعروف باسم الناضور. وللوصول من سبتة إلى مليلة لا بد من ركوب الباخرة لساعات عدة مجتازة المناطق الساحلية التالية: مارتيل، جزيرة حجر باديس، جزيرة الحسيمة، ثم مليلة الواقعة قبل الجزر الجعفرية.

وتبلغ المسافة بين سبتة ومليلة ما يقارب (٤٦٨) كلم$^2$، تتخللها قوارب الصيد المغربية والأشجار الخضراء في البر المحاذي للشاطىء. مساحة مليلة حوالى (١٢) كلم$^2$، عدد سكانها مائة ألف، منهم حوالي (٣٠) ألف مغربي.

إن أول ما يلفت النظر للقادم إلى مليلة المصانع المنتشرة في أراضيها، ثم يبرز خلف الميناء إحدى القلاع الضخمة التي يصل ارتفاعها إلى ثلاثين قدماً. أما الميدان الرئيسي في مليلة فاسمه «ميدان اسبانيا» وأقيم فيه تمثال الجندي المجهول الذي يرمز إلى الجنود المغاربة الذين سقطوا خلال الحرب الأهلية الاسبانية، ومن شوارعها الهامة شارع فرنكو.

ومليلة مثل سبتة فيها مظاهر من الحياة العربية المغربية، ومظاهر من الحياة الأوروبية الاسبانية. ففي بعض شوارع مليلة ترى

الأزياء المغربية الرجالية والنسائية، وكـأنك تسيـر في أحد شـوارع الدار البيضاء أو الرباط أو مكناس. كما أنك ترى في شوارع أخرى كنائس وسياحاً أوروبيين من مختلف مناطق أوروبـا. وتسيطر على هذه الشوارع الملامح الاسبانية، وكأنك في ملقا الاسبانية أو مدريد أو بـرشلونـة. وفي الـوقت الـذي يشـاهـد الازدحـام في الشـوارع العربية، تخف حدة الازدحام في الشوارع الاسبانية في مليلة. ومن مميزات الشوارع العربية المغربية مسجد مليلة وهو المسجد الوحيد فيها، ويمتاز بلونه الأبيض وبقبابه المزخـرفة المقـامة على النمط المعماري المغربي. وبالمقابل فيمكن أن يرى المتجول في مليلة كنيس يهودي (Sinagog) عليه نجمة داوود. ويهود مليلة هم الذين انتقلوا من الجزائر إليها بعد حصول الجزائر على استقلالها.

والجدير بالذكر أن العمارة الإسلامية في مليلة لا سيما الأثرية منها تظهر عليها شعارات «لا غالب إلا الله» وهي شعارات إسلامية استخدمت كثيراً في عهود الدولة الإسلامية. ولا تزال القبائل العربية في مليلة، وفي مقدمتها قبـائل «قلعيـة» تحتفظ بعاداتهـا وتقاليـدها القديمة.

أما التعليم في مليلة فلا يزال يعاني من مشاكل عديدة، لا سيما ربط المغاربة بتراثهم وحضارتهم ولغتهم العـربية. فـالتعليم عامـة يدار بواسطة جامعة غرانادا الاسبانية. لذا حرص المغاربة في مليلة على أن يضم المسجد مدرسـة، ضمت مئات الـطلاب، يتعلمون فيها اللغة العربية، ويتلقون برامج التعليم المغربية بواسطة الأساتذة المغربيين.

أما الوضع الاقتصادي في مليلة، فيتميز بالتفاوت الشديـد بين

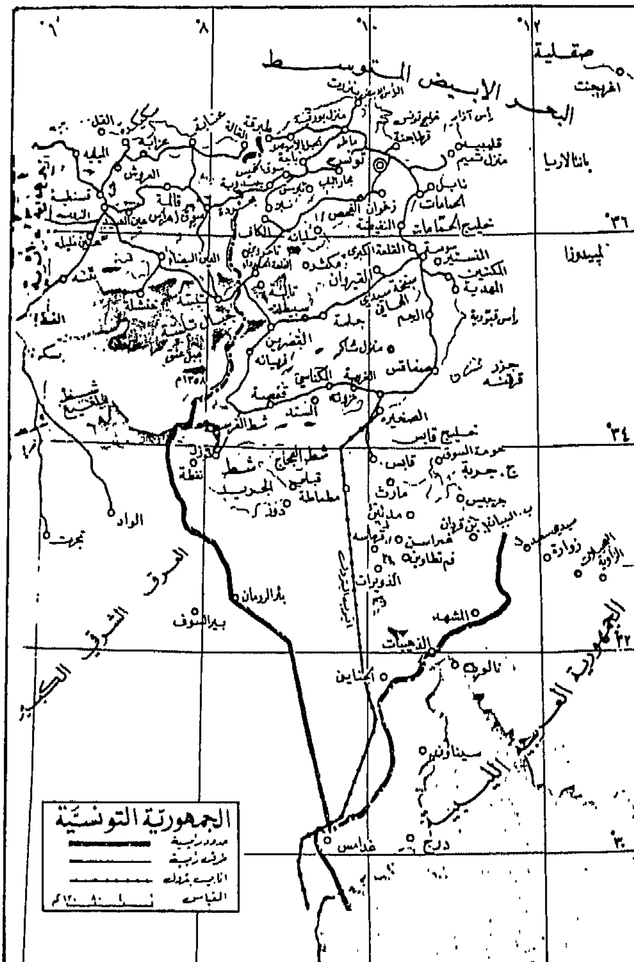
الاسبان والمغاربة. ويتمركز النشاط الاقتصادي في الميناء وفي مطار مليلة الصغير، وفي الأسواق العربية التي تستورد المنتجات المغربية. كما أن مليلة تقوم بتصدير الفوسفات وحديد المغرب، ويوجد فيها أيضاً مصانع للفوسفات، ومصانع صغرى للمهن والحرف التقليدية التي تلبي حاجة السكان، وحاجة السياح.

وهكذا فإن المتجول في سبتة ومليلة يعيش في أجواء الماضي وفي تراثه وحضارته، وفي الوقت ذاته يعيش أجواء الحاضر وبكلمة أخرى فإن سبتة ومليلة تمثلان ملامح الشرق والغرب، وملامح العروبة والأوربة.

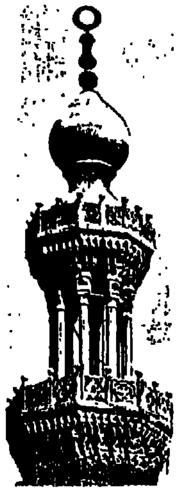


مسجد مليلة الوحيد..

# قابس


البحر الأبيض المتوسط
صقلية
الجمهورية التونسية
الجمهورية العربية الليبية
العرق الشرقي الكبير
تونس
قابس
صفاقس
القيروان
سوسة
المنستير
المهدية
بنزرت
قفصة
توزر
نفطة
غدامس
خليج قابس
خليج الحمامات
قسنطينة
عنابة
تبسة
شط الجريد
جربة
مدنين
تطاوين
الذهيبات
الشهد

# قابس



تعتبر قابس من المدن التونسية الهامة، وهي عاصمة الجنوب الشرقي للجمهورية التونسية. ونقطة الوصل بين الجنوب والشمال. وهي واحة خضراء تمتد مستطيلة من شاطىء البحر حتى تقترب من الروابي الجرداء المطلة على قرية «شنني» من الغرب. يطل عليها الخليج من الشرق ويطل عليها الروابي الجبلية من الغرب وقمم جبل «خنقة عيشة» من الشمال. ويميزها من الجنوب ضريح الصحابي سيدي أبي لبابة الأنصاري، وتمتد المدينة بين الواحة وبين الضريح مشرفة حتى البحر.

لقد عرف الأقدمون أهمية قابس، فهي تطل على الصحراء الكبرى ومنها كانت تنطلق القوافل محمّلة إلى عرض الصحراء لتميز الواحات المتناثرة في طريقها حتى تنتهي إلى بلاد السودان. وهي قريبة من طرابلس الغرب ويربط بينهما طريق لا يخلو من الحركة ليل نهار، وهي على رأس خليج قابس حيث ترسو السفن الصغرى. وهي أيضاً مفتاح للمدن الأفريقية في الشمال.

لذلك كله أصبحت قابس نقطة الوصل بين المشرق والمغرب الإسلاميين وبين العمران والصحراء، ومركز شبكة الطرقات الهامة،

والنقطة الاستراتيجية الهامة بالنسبة للسلطة التي تحكم هذه الرقعة. ولقد أطلق عليها الأقدمون إسم «باب افريقية» ووصفوها بأنها جنة الدنيا وبأنها دمشق الصغرى وبأنها في افريقية كدمشق الشام.

وفيما يختص بتاريخ قابس، فمن المعروف أن أول من سكنها هم البربر سكان افريقيا القدامى، وأشارت النصوص الإسلامية أن بربر باديتها كانوا ينتسبون إلى قبائل زناتة ولواتة ومطماطة والماية ونفوسة وزواغة. وجاء الفينيقيون وأسسوا على شواطئها مراكز اقتصادية وتجارية، وتبادلوا مع البربر مختلف أنواع السلع والتجارات.

وكانت لغة السكان الافريقيين هي البربرية القديمة، فتعلموا إلى جانبها اللغة الفينيقية واستعملوها في معاملاتهم، وباتت الفينيقية أيضاً لغة الإدارة والتجارة والمعاملات. وفي العهد الروماني انتشرت اللغة اللاتينية بين سكان قابس. أما الديانة البربرية فكانت الوثنية وعبادة الأصنام لا سيما الكبش «عمّون» ثم عبدوا الآلهة الرومانية، وبعد انتشار المسيحية تنصروا إلى أن جاء الإسلام، فاعتنقوه ودخلوه أفواجاً لأنه انسجم مع تطلعاتهم بالوحدانية والعدالة والمساواة ومحاربة الطبقية. ومع انتشار الإسلام انتشرت اللغة العربية انتشاراً بارزاً إلى جانب البربرية التي استمرت في المناطق الجبلية.

أما عن تاريخ دخول العرب إلى قابس، فهناك عدة آراء حول هذا الموضوع. ففي مختصر الطبري أن ابن أبي سرح حاصرها سنة ٢٧هـ. أما ياقوت الحموي في معجم البلدان، فيرى أن المسلمين افتتحوا قابس مع القيروان سنة ٢٧هـ. وهناك رأي يشير

إلى أنها افتتحت قبل عام ٤٠هـ، وأن جيش معاوية بن حديج هو الذي دخلها مع دخوله إلى افريقية سنة ٣٤هـ. ويرى البعض أنها فتحت على يد إحدى السرايا التي كان عمرو بن العاص يبعث بها لترتاد أطراف افريقية.

ومن المؤكد أن المسلمين دخلوا قابس بين سنتي ٢٧هـ و٤٠هـ، غير أنهم لم يستقروا بها إلا بعد فتح عقبة بن نافع لافريقية سنة ٥٠هـ، علماً أنه جرت حركة هجرة إسلامية بعد ثورة البربر على عقبة واستيلائهم على افريقية. ولهذا لا يمكن أن نعتبر أن العرب المسلمين قد سكنوا قابس واستقروا بها نهائياً إلا بعد حملة حسان بن النعمان وانتصاره الحاسم على البربر سنة ٨٤هـ. ولكن حركة التعريب الأساسية والهامة بين البربر في قابس إنما جرت في عهد بني هلال وبني سليم في منتصف القرن الخامس الهجري، حيث ظهر العنصر العربي بشكل واضح، واستطاع صهر البربر في بوتقته.

وكان للعرب أثر فاعل في قابس، حيث صُبغت بالصبغة العربية، فأخذ البربر عادات وتقاليد العرب، بل أخذ البربري يقرض الشعر باللغة العربية وكتب بها، واختلطت دماؤه بدماء العربي، فذابت مع الزمن ملامحه القديمة، فأصبح عربي الملامح واللغة والأخلاق. بالإضافة إلى انتشار الإسلام وأسلمة البربر.

هذا وقد خضعت قابس على غرار سواها من المناطق الافريقية لدولة الأغالبة عام ١٨٤هـ ثم للفاطميين، ثم للصنهاجيين. وبعد عدة تطورات خضعت لبني جامع ثم ألحقت بالموحدين في العاصمة تونس وأصبحت مقاطعة من المقاطعات الصغيرة مثل

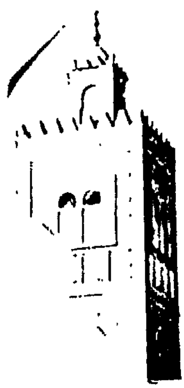
المهـديـة وقفصـة. ومنـذ عـام ٦٢٥هـ خضعت قـابس لبني مكي واصلهم من قبيلة لـواتـة البـربـريـة. ثم خضعت عـام ٧٩٦هـ للحفصيين. ونظراً للأطماع الإسبانية التقليدية فقد خضعت قـابس منـذ عام ٩٤٢هـ لـلأسبان، إلى أن سيـطر الأتراك على المنـطقـة عـام ٩٨١هـ. وفي عام ١١١٧هـ تـولى الحسينيون الحكم بتـونس بعد موت إبراهيم الشريف آخر الدايات الأتراك، واستمـر حكمهم فيما بعد في ظل الحماية الفرنسية الممتـد بين ١٨٨١ ـ ١٩٥٦م، إلى أن تم استقـلال تـونس. ومن ولاة قـابس في فتـرة الاحتــلال الفرنسي: يوسف الليقرو، الحاج محمـد بن خليفة، عبـد العزيـز الجلولي، صولة بن عبد اللطيف، رحومة بن الهيبة العكاري، ومن ولاة قـابس في فترة الاستقـلال الأولى: الهادي المبـروك، محمد الحبيب، محمـد بن الأمين، يـوسف الجـدي، أحمـد بن للونــة وسواهم.

أما أعلام قابس فيأتي في مقدمتهم: أبو لبابة الأنصاري رضي الله عنه، الإمام أبو الحسن القابسي، أبو إسحاق الورقاني، عبد الله الصنهاجي، أبو القاسم محمد بن خلف المعـروف بابن مشكـان، أحمد بن عبد الـرحمن بن عطيـة الربعي التـونسي، إبن زيادة الله القابسي، عبد الله بن محمد القابسي. ومن أعلام قابس أيضاً: أبو محمـد خلف بن محمـد القـابسي، محمـد بن رجــاء القـابسي، عيسى بن أبي عيسى القابسي، الوزير سلام بن فرحان الهلالي، أبو ساكن عامـر بن محمد الهـلالي، أبو الفضـل بن عبد الله بن نـزار الهواري، أحمد الطياري القابسي وسواهم الكثير من علماء وفقهاء قابس.

وأخيراً فإن قابس الخضراء بالإضافة إلى جمالها وروعتها وتاريخها العريق، فإنها تشتهر أيضاً بإنتاج مميز مثل: الحرير، والتمور، والزيت، والموز والحناء، والسكر، والرمان، والتين والبطيخ. ومن ملامحها المميز، أشجار النخيل في ظل غاياتها حيث تخترقها قوافل الجمال والبضائع وفي واديها سلسلة من الينابيع أهمها: العين البيضاء، عين الترابكة، عين حامد، عين سعد. . . وفي قابس العديد من المتنزهات والمنتجعات مثل متنزهات: ساحة عنبر، ساحة الرحا، والشرشارة المميزة بشلالاتها البديعة. أما قرى قابس فأهمها: النخّال، أولاد الحاج، سيدي عبد السلام، بو عبد الله، شنني، بو شمة، جارة القديمة.

قابس مدينة إسلامية يرى الناظر إليها، صور الماضي العريق وآفاق المستقبل الزاهر، وصور الحاضر الجذاب.

# تونس والقيروان



تونس عاصمة الجمهورية التونسية، وهي جمهورية عربية تقع على البحر المتوسط في شمال افريقيا. يبلغ عدد سكانها حوالى ستة ملايين نسمة، ومساحتها ١٦٤,١٥٠ كلم². يحدها شمالاً البحر المتوسط، وشرقاً البحر المتوسط وليبيا، ويحدها جنوباً ليبيا والجزائر وغرباً الجزائر. يتكوّن سطحها من سهول ساحلية وجبال متوسطة الارتفاع في الشمال الشرقي، وأراضٍ منخفضة في الوسط والداخل.

وتعتبر العاصمة تونس من أهم المدن والمرافىء التونسية. وهي عاصمة البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية. ونظراً لأهميتها فقد استقطبت السكان من مختلف البلاد، بحيث بلغ عدد سكانها ما يقارب مليون نسمة.

لقد اكتسبت هذه البلاد شخصيتها الإسلامية منذ دخول الإسلام إلى أراضيها على عهد الخليفة عثمان بن عفان؛ بعد أن كانت مكاناً ومقراً لمدينة قرطاجة القديمة التي شهدت حضارات متطورة.

هذا وقد عرفت تونس سيطرة الدول والدويلات عليها، منها

الدولة الحفصية، وفي التاريخ الحديث الدولة العثمانية ومن ثم فرنسا.

والواقع فإن تونس عرفت عبر التاريخ باسم «تونس الخضراء» نظراً لكثرة الإخضرار والأشجار في مختلف أراضيها. وتتميز العاصمة تونس بتراث إسلامي وعربي عريق يتلمسه الناظر في آثارها وملامحها العمرانية ومساجدها وشوارعها وأسواقها التجارية، وفي أحيائها القديمة. والداخل إلى تلك الأسواق والشوارع يشعر بالدخول إلى عمق التاريخ والتراث الإسلامي، ويتلمس من خلالها مراحل حكم الدول الإسلامية لهذه البلاد. ولا تزال تونس القديمة تظهر فيها الهندسة المعمارية الإسلامية واضحة المعالم، بل يأخذك منظر التونسي أو التونسية بملابسهما التقليدية العربية إلى ماضي تونس العريق. والزائر لبيوت تونس يتلمس أيضاً ملامح ذلك التراث العربي في أسلوب الحياة المنزلية، وفي أدوات وأثاث المنزل التونسي.

وأكثر ما يلفت النظر في الحي القديم من تونس القديمة، جامع الزيتونة الشاسع في امتداده والرائع في هندسته. وجامع الزيتونة لم يكن جامعاً فحسب، بل هو جامعة أيضاً. ومؤسسه هو الأمير حسان بن النعمان، ثم أضاف إليه عبد الله بن الحجاب حوالى عام ١١٦هـ - ٧٣٢م. ثم أعاد البناء محمد بن الأغلب حوالى عام ١٨٤هـ - ٨٤٠م. ثم طورته الأميرة عطف أرملة المستنصر الحفصي عام ١٢٨٣م خارج باب البحر. وفي عهد الحفصيين أدخل التعليم فيه ليأخذ شكل الجامعة في القرن الثالث

عشر الميلادي. وتم التدريس فيه لمواد الأدب والتاريخ والفلسفة الدينية واللغوية.

ومن المحاولات الهامة التي أدخلت لإصلاح الجامع، هي التي كانت في عهد الباي أحمد عام ١٨٤٢، حيث أصدر مرسوماً تضمن انتخاب ثلاثين عالماً للتدريس فيه. وفي عام ١٩٣٣ صدر المرسوم الخاص بتحويل جامع الزيتونة إلى جامعة.

ويتبع جامع الزيتونة مكتبة كبيرة تضم مخطوطات نادرة، حقق بعضها المحققون من العرب والمستشرقين. وكانت تضم حوالى أربعين ألف مخطوط، نقلت بعضها إلى معاهد العلم والجامعات منها جامعة تونس، وذلك ليتسنى للباحثين العرب والأجانب من الإطلاع عليها ودراستها.

وجامع الزيتونة هو من الآثار الإسلامية الهامة في تونس، بل هو أكبر جوامع تونس، تحيط به أسواق العطارين والنحاسين والأسواق التاريخية التقليدية التي تجمع بين حوانيتها مختلف الأنواع والأدوات الأثرية الخشبية والنحاسية والفضية والذهبية. والناظر إلى هذا الجامع يرى مهارة المهندس المسلم في تصميمه وتصميم منارته، حيث تبرز الزخرفة والخطوط والبوائك (Arcades). ويبرز جمال هندسته في سقوفه وجدرانه المميزة القائمة على أعمدة صخرية وصلبة.

أما قيروان الجمهورية التونسية، فهي غير قيروان ليبيا. فقيروان الجمهورية التونسية، هي مركز ولاية القيروان، وهي أول مدينة إسلامية في المغرب العربي، أنشأها عقبة بن نافع عام ٦٧٠م. أصبحت عاصمة لدولة الأغالبة في القرن التاسع الميلادي،

وعـاصمة للفـاطميين إلى جانب المهـديـة حتى احتـلال القـاهـرة عام ٩٧٣م. واعتبرت القيروان قلعة حصينـة بعيدة عن الشـاطىء، انطلقت منها جيوش الفاتحين إلى شمال افريقية تنقل معها الإسلام واللغة العربية.

إشتهرت القيروان بمسجدها الجـامع، وكـانت داراً للصناعـة ومحطة للقوافل وسوقاً تجارية. وهي في الوقت ذاتـه مركـز زراعي وسياحي. عدد سكانها حوالى مائة ألف نسمة.

إن الـزائر للقيـروان يرغب فيهـا آثارهـا الإسلاميـة وملامحهـا العربية القديمة، وتراثها المجيد الواضح في أبنيتها وهندسة منازلها ومسـاجـدهـا، وفي أسلوب حيـاة سكـانهـا، وفي أنمـاط حيـاتهم الاقتصادية والتجارية الواضحة في أسواقها التقليدية. كما أن لهذه الأسواق ولأزقتها ومناطقها أبواب خاصة مميزة في هندستها وبنائها.

إن أهم ما يميز القيروان مسجدهـا الذي بنـاه القائـد عقبة بن نافع، وهو أول جامع في شمال افريقية كان بناؤه عام ٦٧٠م. وأكثر ما يلفت نظر الزائر إلى هذا الجامع هيكله العام، وهندسته الرائعة حيث تبدو ملامح الأروقة وصحن الصلاة والمئذنة الشامخة الرائعة التي تعرف منها مواقيت الصلاة في كل المدينة حين يرتفـع صوت المؤذن منادياً الله أكبر.

تتوسط ساحة جامع القيروان، ساعة حجرية قـديمة بنيت مـع بناء الجامع. وتوجد على سطح قاعدة الساعة الحجرية رسوم تدل على الجهات الأربع. ولا يـزال استعمال هـذا الساعـة قائمـاً رغم تعاقب السنين.

ومن بين ملامح القيروان التاريخية «جامع الحجّام»، وهو الجامع الذي دفن فيه الصحابي «أبو زمعة البلوي» أحد أصحاب رسول الله ﷺ وأحد الذين شهدوا معه صلح الحديبية. ولقد أعيد بناء هذا الجامع في القرن السابع عشر الميلادي، بشكل ظهر فيه الإبداع الإسلامي الهندسي وتناسق الألوان والنقوش، كما تظهر الأعمدة المرمرية المغطاة بصفائح من الخزف تعتبر ثروة من أندر الثروات الفنية الإسلامية.

ويحوي «جامع الحجام» المرمر المخرم والخزف والمحفورات والرسوم الخشبية والنحاسية. وهي من العناصر الفنية التي تجلب السياح إليها من كل حدب وصوب. لهذا يلاحظ كثرة السياح وترددهم إلى هذا الجامع وإلى المناطق الأثرية المحيطة به، ومنها المقابر والأضرحة المميزة للمسلمين الأوائل.

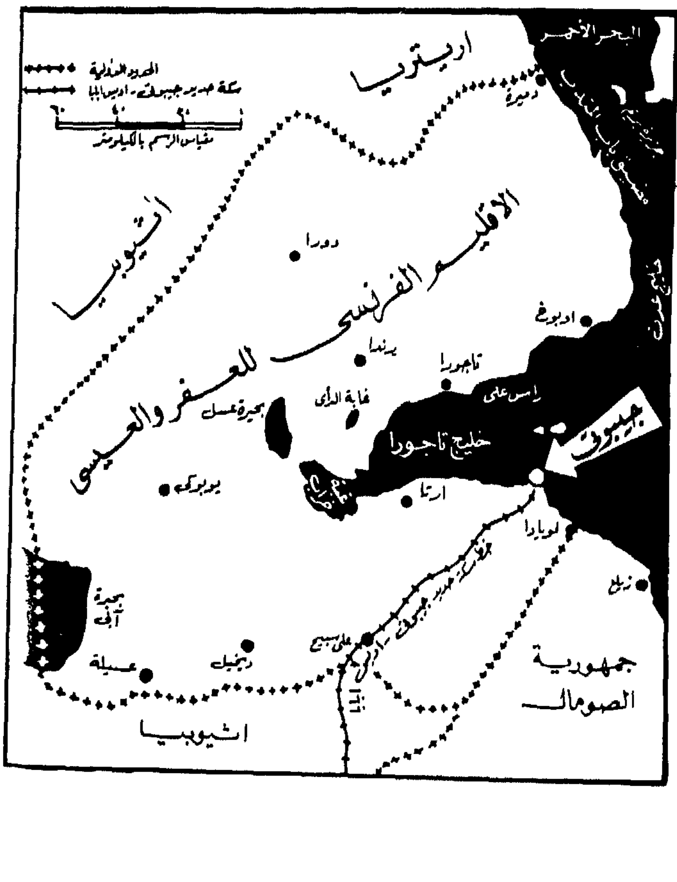
ومن الأمور اللافتة للنظر، حرص أهل القيروان على إحياء المناسبات والتقاليد الشعبية التاريخية، وإحياء المناسبات الدينية في جوامع القيروان القديمة، حيث يرتدي السكان الأزياء الشعبية، ويزينون المساجد والشوارع والمنازل والأسواق. ويرتبط ذلك بالقيام بمواكب دينية في أرجاء المدينة. ومن الأمور الواضحة أن سكان القيروان يحرصون أشد الحرص على الحفاظ على آثارهم وتقاليدهم وعلى طابعهم التاريخي، بل يتجنبون التوسع العمراني خارج مدينتهم القديمة.

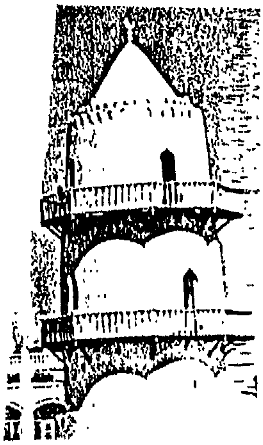
ومن الجمهورية التونسية إلى المملكة المغربية، تستوقفنا مدينة فاس المغربية الواقعة على مفترق الطرق المؤدية إلى الرباط

والجزائر وطنجة. وتبعاً لموقعها الهام كانت لفترات طويلة عاصمة للبلاد واستمرت كذلك لغاية عام ١٩١٢، ثم انتقلت العاصمة إلى الرباط. غير أنها لا تزال عاصمة البلاد الدينية والعلمية.

عدد سكان فاس حوالى أربعمائة ألف نسمة من أصل (١٦) مليون نسمة هم سكان المملكة المغربية. وتعتبر فاس مدينة تاريخية هامة.

# جيبوتي


البحر الأحمر
اريتريا
اثيوبيا
الاقليم الفرنسي للعفر والعيسى
خليج تاجورا
جيبوتي
جمهورية الصومال
اثيوبيا



# جيبوتي

مدينة جيبوتي عاصمة جمهورية جيبوتي، وهي دولة في افريقية، يحدها شمالاً اريتريا ويحدها من الشمال الشرقي أثيوبيا، بينما يحدها من الجنوب جمهورية الصومال وأثيوبيا أيضاً، بينما يحدها من الغرب البحر الأحمر وخليج عدن وتقع العاصمة جيبوتي على خليج تاجورا.

كانت تعرف سابقاً باسم الصومال الفرنسي، مساحتها ٢١,٧٠٠ كلم٢، عدد سكانها ٤٠٠ ألف نسمة، نصفهم يعيشون في العاصمة جيبوتي. في أيار (مايو) ١٩٧٧ جرى استفتاء من أجل استقلال البلاد عن فرنسا التي استعمرتها منذ عام ١٨٤٢. وقد تم إعلان الاستقلال في ٢٧ حزيران (يونيه) ١٩٧٧، وأصبحت العضو رقم (١٤٨) في منظمة الأمم المتحدة، والعضو رقم (٢٢) في جامعة الدول العربية.

لقد دخل الإسلام إلى جيبوتي منذ فترة مبكرة أثناء دخوله إلى افريقية، لهذا نرى أن العناصر العربية تشكل إلى اليوم ما نسبته ٢٠٪ من السكان. والعناصر اليمنية والعُمانية ومن حضرموت لا تزال قائمة بملامحها وعاداتها وتقاليدها. بل أن العلاقات بين

العائلات اليمنية وعائلات جيبوتي لا تزال قائمة إلى اليوم. وتشير الدراسات التاريخية إلى أن العلاقات العربية ـ الافريقية تعود إلى ما قبل الميلاد، وتزايدت في عهد الإسلام.

بالإضافة إلى العنصر العربي المتأصل في جيبوتي، فهناك عناصر من أصول صومالية وأثيوبية. ومن القبائل المعروفة في جيبوتي قبيلة العفريين وهم ينتشرون في جيبوتي وفي أثيوبيا أيضاً كما أن قبيلة العيسى منتشرة في جيبوتي والصومال.

أما العُفر فتضم قبيلتين هما: الأسايمرة والأدوبامرة، ويشكلون ٤٠٪ من السكان. ويعود أصل العفر إلى الهجرات السامية العربية الأولى التي خرجت من شبه الجزيرة العربية، واتجهت إلى الساحل الشرقي لافريقيا. ومع مرور الزمن اختلطت هذه الهجرات العربية السامية مع العناصر المحلية الحامية. ونتج عن هذا الاختلاط البشري قبائل العفر الحالية الذين يطلق عليهم إسم «الدناكل» والفرد منهم إسم «الدنكل». وهم منتشرون في القرن الافريقي، ويرتبطون عاطفياً بالعرب وبأثيوبيا أيضاً. ويعتبر العفر أن اللغة العربية هي لغتهم الثانية، وهم يتكلمونها ويفهمونها بشكل جيد. كما أن ملامحهم فيها تأثيرات عربية واضحة.

أما قبائل العيسى فهي من القبائل المنتشرة أيضاً في جيبوتي وفي الصومال وهي أربع قبائل هي: العيسى، الدرادو، الأباك، الفارابوس. وهم يشكلون ٦٠٪ من السكان، وترتبط هذه القبائل حضارياً وبشرياً وتاريخياً بالقبائل الصومالية.

إن وجود قبائل متعددة في جيبوتي من أصول صومالية وأثيوبية، دعا الصومال وأثيوبيا للصراع على هذا البلد بدعوى أحقية كل

منهما فيه، واعتبرت أن هذا الحق يستند على عوامل تاريخية وقومية ودينية وعرقية فترى الصومال أن كل الساحل الصومالي بما فيه جيبوتي وأوغادين جزء أساسي من الامتداد الجغرافي الطبيعي للصومال، بينما تدعي الحبشة بأن الأمبراطورية الحبشية مارست نفوذها على هذا الساحل منذ أقدم الأزمنة وخاصة منذ توسع الأمبراطورية وتمددها الجغرافي على يد الأمبراطور منليك بين أعوام ١٨٨١ ـ ١٩١٣ مؤسس أثيوبيا الحديثة. غير أن فرنسا استطاعت منذ القرن التاسع عشر استعمار جيبوتي بالسيطرة أولاً على خليج تاجورا من خلال مجموعة من الاتفاقيات عقدتها مع سلاطين وشيوخ المنطقة في أعوام ١٨٦٢، ١٨٨٤، ١٨٨٥، ١٨٩٦.

وتواجه العاصمة جيبوتي ومختلف مدن الجمهورية مشكلة توحيد اللغة المستخدمة في البلاد، حيث تستخدم اليوم أربع لغات وهي: اللغة الصومالية وهي لغة العيسى، واللغة العفرية وهي إحدى لغات أثيوبيا، واللغة العربية، وأخيراً اللغة الفرنسية. وباعتبار أن جيبوتي انضمت إلى جامعة الدول العربية، فقد بدأ الإهتمام بتعليم العربية في المدارس والمعاهد بشكل أساسي، ومن الممكن أن تصبح اللغة العربية هي اللغة الأساسية في البلاد، إذا ما استمرت حركة التعريب. علماً أن المسلمين منذ دخولهم إلى جيبوتي أدخلوا نظام التعليم الديني، وكان دور الشيخ أو «الملا» في التعليم القرآني مهماً في نشر الإسلام والعربية معاً، وفي توحيد المجموعات الافريقية وربطها بالعالم الإسلامي والعربي، إضافةً إلى محو الأمية.

هذا وتنتشر في جيبوتي مدارس حكومية ومدارس خاصة، تضم

آلاف الطلبة والطالبات، كما توجد مدرسة مهنية ومعاهد لتخريج المعلمين، غير أن جيبوتي تفتقر لجامعة حتى الآن. وقد قامت بعض الدول العربية بتقديم العون لإنشاء مدارس ومعاهد علمية، فقد أقامت المملكة العربية السعودية «المعهد الإسلامي السعودي» في جيبوتي وهو تابع لجامعة محمد بن سعود الإسلامية. كما استعان الإتحاد الوطني لنساء جيبوتي ببعض المعلمات المصريات لتعليم اللغة العربية للفتيات في جيبوتي.

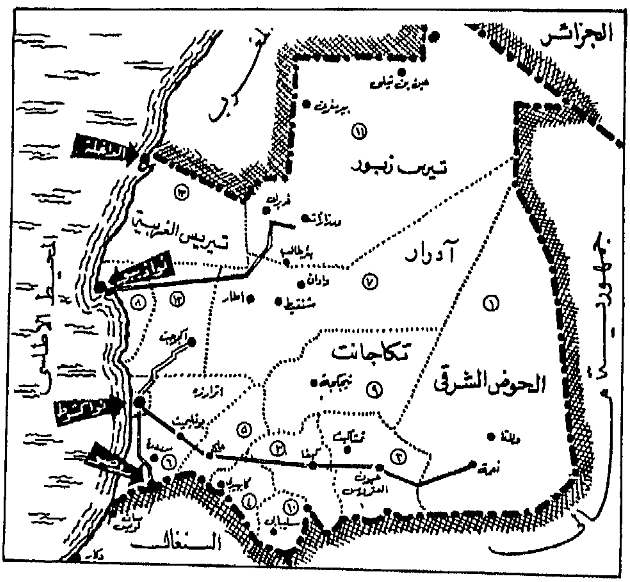
أما فيما يختص بالثروات القومية في جيبوتي، فإنها تتميز بتربية المواشي، والمياه المعدنية والنخيل وبعض المزروعات وتصنيع الألبان، علماً أن قطاع الخدمات يمثل حوالى ٨٠٪ من الدخل القومي، في حين أن الزراعة والرعي وتربية الحيوانات وصيد الأسماك مع الصناعة تمثل حوالى ١٠٪ من الدخل القومي.

وبالإضافة إلى انتشار الماعز والجمال بشكل لافت للنظر، فإن محاولات الاستفادة من الدعم العربي لتأسيس بعض المصانع هي محاولات جادة في جيبوتي. هذا ويوجد في جيبوتي بحيرة عسل وبحيرة آبي. وقد اكتشف الفرنسيون عام ١٩٧٥ مياهاً حارة في بئر عسل، ويعمل أبناء جيبوتي من الخبراء على استكمال اكتشاف الآبار في البلاد. ويذكر أن بحيرة عسل التي تبلغ مساحتها (٦٥) كلم٢، يستثمر منها تلال من الملح، كما أنها تحتوي على مواد أخرى مثل المغنزيوم والبوتاسيوم، وعلى صخور البيريلييت وهي مادة عازلة تستخدم للتصفية والتنقية.

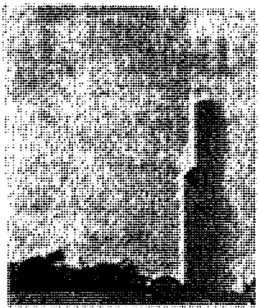
في جيبوتي العاصمة ملامح من الماضي وملامح من الحاضر. ففيها مبانٍ متواضعة ومبانٍ متطورة، وشوارع ضيقة وشوارع واسعة،

غير أن مبانيها لا تزيد عادةً عن أربع طبقات وهي بيضاء مقببة. ويبدو أن الفرنسيين عندما بدأوا ببناء مدينة جيبوتي عام ١٨٨٧، لم يجدوا من يقوم بهذا العمل إلا اليمنيين، وهذا هو السبب في أن الطراز المعماري في جيبوتي يماثل الطراز المعماري العربي عامة واليمني خاصة، لا سيما إذا علمنا أن الشاطىء الجيبوتي لا يبعد عن شاطىء اليمن (الديمقراطية) إلا ساعة بالسفينة. وكانت جيبوتي تتميز بسورها القائم بواسطة الأسلاك وببوابة رئيسية، وكان الهدف من إقامة هذا السور هو حماية المدينة من المتسللين إليها، وحماية الأمن فيها، وضبط الأوضاع بواسطة البوابة التي كانت السلطات الفرنسية تراقب الداخلين والخارجين عبرها. غير أن سلطات جيبوتي أزالت تلك الأسلاك والبوابة بعد نيل البلاد استقلالها، وبعد أن تطورت العاصمة وازداد عدد سكانها حيث أن مساحتها داخل السور لم تعد تتسع السكان ولم تعد تفي بالمتطلبات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

# نواكشوط



# نواكشوط



نواكشوط عاصمة موريتانيا، كانت مقراً للجيش الفرنسي قبل الاستقلال، فأصبحت العاصمة للدولة المستقلة حيث موقعها يربط شمال افريقيا بغربها. وجاء هذا الموقع متوسط نسبياً بين المناطق التعدينية في الشمال، والمناطق الزراعية في الجنوب، وبين المناطق السكانية ذات الكثافة جنوباً وتلك المخلخلة شمالاً. وبمعنى آخر فإن موقعها بين السنغال ومالي والصحراء الجزائرية والصحراء الإسبانية والأطلسي.

وموريتانيا التي كانت تعرف عبر التاريخ باسم «شنقيط» تقع في الركن الجنوبي الغربي لافريقيا في النطاق الصحراوي الذي يعتبر أكبر اتساع للأراضي الجافة في العالم. وموريتانيا أرض صحراوية تصل مساحتها إلى مليون و١٨ ألف كلم مربع. ولا تملك سوى شريط زراعي ضيق على نهرالسنغال، وهي خامس دولة عربية من حيث المساحة بعد السودان والجزائر والسعودية وليبيا، وأقل الدول العربية كثافة في السكان. نالت موريتانيا استقلالها عن الفرنسيين عام ١٩٦٠، علماً أنها أعلنت جمهورية عام ١٩٥٨ عدد سكانها حوالى مليون و٣٠٠ ألف نسمة.

دخل الإسلام إلى نواكشوط ومدن ومناطق موريتانيا كافة منذ العهود الإسلامية الأولى. وكانت شنقيط إحدى المدن الموريتانية المقدسة التي يتجمع فيها الحجاج كل عام، وتتجه قوافلهم إلى مكة والمدينة، لأداء فريضة الحج. ومع تدفق القبائل العربية مع الفتح الإسلامي بدأ العنصر العربي يزداد في البلاد، وتزايد عدده زمن بني حسّان.

وفي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ـ القرن الخامس الهجري حدث تبدل في أوضاع شمال افريقيا عندما انطلق إليها بنو هلال وبنو سليم في عهد الدولة الفاطمية من وادي النيل للقضاء على الحركة الانفصالية في منطقة المغرب العربي. وأدى تدفقهم إلى انتشارهم في الصحراء وامتزاجهم بقبائل البربر. وقد استمرت هذه العملية ما يقارب ثلاثة قرون.

وعرفت نواكشوط وموريتانيا قبائل صنهاجة البربرية قبل الإسلام وبعده. وعرفت البلاد بنو معقل الذين وفدوا مع بني هلال، وقد بلغوا حدود السنغال، وتأسست إمارة «الترازرة» قبل عام ١٦٣٢م، واعترف بها سلطان فاس واعترف بأميرها صفوى حسن. وبدأ الإسلام يسود في مختلف المناطق مع انتشار اللسان العربي. وخلال هذه الفترة استنجد الصنهاجيون ببني معقل ضد غارات الزنوج، ونجحت مجموعة تابعة للأمير صفوى حسن من السيطرة على البلاد. وعرفوا منذ تلك الفترة ببني حسّان، واستتبع ذلك اندثار اللغة البربرية، وتخلى أبناء صنهاجة عن اللثام. ثم شاعت اللهجة الحسّانية التي تضمنت بعض الألفاظ الصنهاجية. وتم الامتزاج والاختلاط بين العرب والبربر، وأطلق على السكان إسم

«المور» وتعني «السمر» باللغة اليونانية، علماً أن الأسبان أطلقوا لفظة «المور» على العرب المسلمين الذين غادروا الأندلس أو الذين استمروا فيها لزمن طال أم قصر.

وكان للإسلام الفضل الأول في توحيد السكان في بوتقة إسلامية واحدة رغم تعدد الأجناس والقبائل والأقوام. وهكذا أصبحت نواكشوط ومَناطق موريتانيا أو شنقيط التاريخية همزة وصل بين افريقيا البيضاء وافريقيا السوداء بعد أن أصبحت إحدى بلاد التخوم العربية، ونقطة تماس داخل الحزام الافريقي. كما استطاعت أن تحمل خلال عدة قرون مشعل الحضارة الإسلامية إلى ما وراء الصحراء، وأصبحت أهم مراكز لتبادل السلع والمنتجات الاقتصادية.

أما فيما يختص باللغات السائدة في نواكشوط فهي مرتبطة بوضعها التاريخي والديني والسياسي والقبلي؛ وهي تتمثل باللغة الفرنسية لغة المستعمر قبل الاستقلال، وباللغة العربية، وباللغات أو اللهجات الافريقية المحلية وهي: لغة التكرور ولغة السنونيكه أو السراكولي ولغة الوولف السائدة في مناطق نهر السنغال. ولقد أدى رفض القبائل إلى تعريبها تماماً منذ بداية استقلال موريتانيا إلى عرقلة حركة التعريب. وكان نتيجة الرفض والصراع استمرار استخدام اللغة الفرنسية في المدارس والدوائر الحكومية، علماً أن حركة التعريب ابتدأت بدورها في القطاعات التربوية والحكومية، كما استمر التدريس باللغات المحلية التي حولت ألفاظها إلى حروف لاتينية لصلتها باللغة الفرنسية ولسهولة كتابتها وقراءتها بالحرف اللاتيني.

والواقع فإن الصراع بين أنصار اللغات المختلفة هو صراع بين القبائل وبين الاتجاهات السياسية القائمة في البلاد. وقد وقعت أول أزمة في هذا المجال عام ١٩٦٦ بسبب إصرار الأقليات التي تتكلم اللغات الزنجية على إبقاء استخدام لغاتها واللغة الفرنسية أيضاً. وتطورت الأزمة عام ١٩٦٨ عندما أصدرت الحكومة قراراً بجعل اللغة العربية لغة رسمية إلى جانب الفرنسية تمهيداً للإنضمام إلى جامعة الدول العربية الذي تم فعلاً عام ١٩٧٣. ثم بعد ذلك صدر قرار بإلغاء الفرنسية ابتداءً من المراحل الأولى في العام الدراسي ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥. وأصبحت الإجازة الأسبوعية منذ عام ١٩٨٣ يوم الجمعة بدلاً من يوم الأحد. وبدأت نواكشوط العاصمة تشهد ملامح وعمليات عديدة تكرس التعريب وعروبة البلاد.

أما التقسيم السكاني والقبلي في نواكشوط فهو صورة لما هو واقع في المدن الموريتانية. فالتقسيم التقليدي للسكان يقوم على أساس عنصرين:

**العنصر الأول**: ويعرف باسم البيضان، وهو لفظ ووصف يطلق على الذين يتكلمون اللغة العربية من عناصر العرب والبربر والزنوج والذين تم اندماجهم في بوتقة واحدة هو مجتمع البيضان.

**العنصر الثاني**: ويعرف باسم السودان، وهو لفظ ووصف يطلق على الذين يتكلمون باللغات الافريقية الثلاث. ولا بد من الإشارة إلى أنه ليس لهذا التقسيم السكاني علاقة باللون أو العنصر.

أما عنصر البيضان فينقسم بدوره إلى خمسة أقسام هي: المحاربون، رجال العلم، المحاظر، الحرفيون والحراطون، ثم الأتباع والخدم. وهناك فئات أخرى في موريتانيا مثل فئة «الأكاون»

وهم من الموسيقيين والفنانين. وفئة «الايمراجيين» وهم الذين يمارسون حرفة صيد الأسماك.

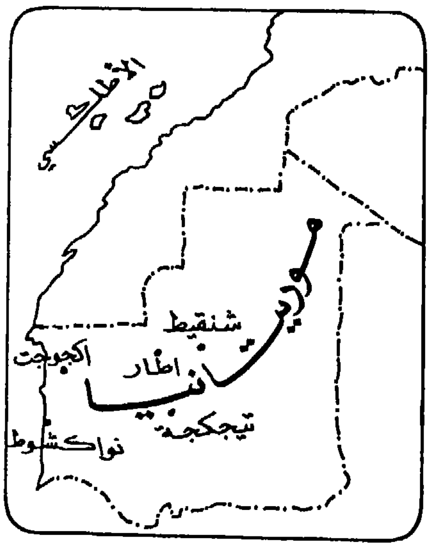
أما فيما يختص بالوضع الاقتصادي في نواكشوط، فإن عوامل عديدة تؤثر في الأنماط الاقتصادية المنتشرة، حيث تتأثر العاصمة بالمناخ الصحراوي من الشمال والجنوب. كما تعاني العاصمة من نقص مياه الشرب، وتعاني من عدم صلاحية عمق مياه البحر لمينائها الحديث، لذا يتم تفريغ البضائع من السفن عن طريق زوارق في عرض البحر، غير أن هناك مشروعاً لإقامة ميناء بديل مع تعميق عمق المرفأ القديم.

وتشتهر نواكشوط باصطياد الأسماك والتجارة بها. غير أن مدينة نواذيبو الموريتانية تنافس العاصمة في الثروة السمكية، بل هي تعتبر عاصمة صيد الأسماك وعاصمة تصديرها إلى الخارج. كما تشتهر نواكشوط وموريتانيا عامةً بإنتاج خام الحديد وتصنيع الحديد والصلب والجبس والنحاس الأصفر والمواد المغناطيسية. وتنتشر في نواكشوط الصناعات اليدوية والصناعات النحاسية والنقوش على المعادن والأعمال الجلدية والأقمشة الشعبية والأواني النحاسية والفخارية والزوارق وسواها من الحرف والصناعات المتواضعة.

كما تتميز نواكشوط ومناطق موريتانية أخرى بالنمط الصحراوي والمجتمع الرعوي علماً أن البلاد خسرت ٨٠٪ من الثروة الحيوانية بسبب الجفاف والهجرة. ومن حيواناتها الأبقار المنتشرة في الجنوب والإبل في الشرق والأغنام في الشمال.

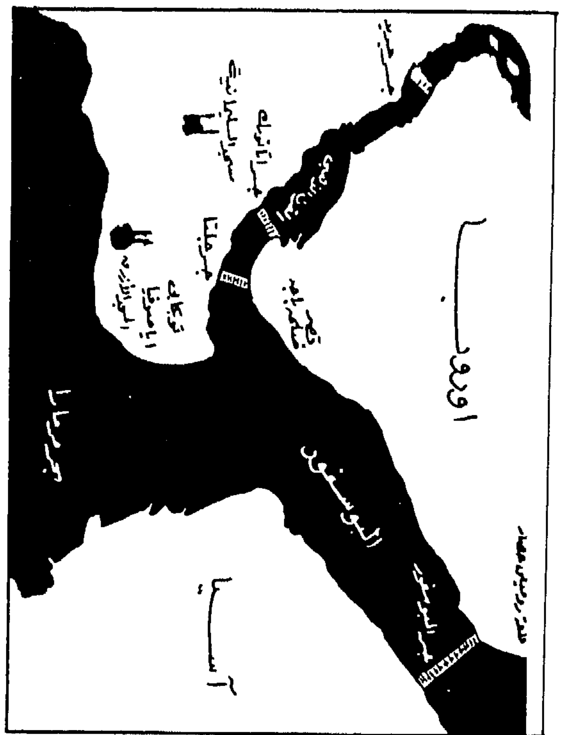
من مدن موريتانيا الشقيقة للعاصمة نواكشوط المدن التالية: ترارزة، نواذيبو، القويرة، الزويرات، أم قرين، أكجوجت، روحو، بوتيلميت، كيفه، نعمة، أطار...

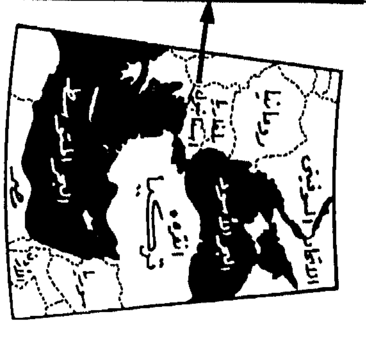
إن الدارس لواقع نواكشوط يلاحظ أنها تمثل مزيجاً من الملامح العربية والبربرية والإفريقية. وقد أعطى هذا التنوع البشري تنوعاً حضارياً في اللغة والمأكل والملبس والعادات والتقليد، وإن كانت المدارس والمساجد تحاول دمج الموريتانيين في بوتقة واحدة تحت راية الإسلام والعروبة.




موريتانيا ـ جسر عبور للإسلام

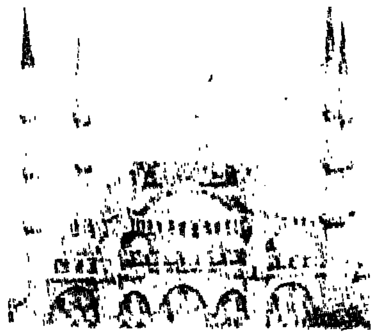
# استـانبول




خريطة تبين مدينة استانبول وموقعها من تركيا.

# استانبول



استانبول هي إحدى أهم المدن التركية، وكانت عاصمة الدولة العثمانية لفترة امتدت حوالى خمسة قرون. علماً أنها كانت عاصمة للدولة البيزنطية منذ عهد الأمبراطور قسطنطين عام ٣٣٠ قبل أن تكون عاصمة للعثمانيين. وفي عام ١٩٢٣ انتقل مقر العاصمة من استانبول إلى أنقره.

وكانت استانبول تعرف قبل خضوعها للعثمانيين باسم القسطنطينة. وكانت هذه العاصمة هدفاً قديماً للمسلمين، وهدفاً لمحاولتين إسلاميتين قادمتين من بلاد الشام، أولاهما عام ٤٨ للهجرة عندما جهز الخليفة معاوية بن أبي سفيان أسطولاً وجيشاً لفتحها بقيادة سفيان بن عوف وخرج معه بعض القادة المسلمين في مقدمتهم الصحابي عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري. غير أن هذه الحملة لم تنجح في تحقيق غاياتها في الاستيلاء على القسطنطينة، وتحطمت الحملة على أبواب المدينة، ولقي الصحابي أبو أيوب الأنصاري حتفه على أسوارها. أما المحاولة العسكرية الثانية، فكانت في عهد الخليفة

سليمان بن عبد الملك، وقد فشلت الحملة أيضاً وكانت بقيادة مسلمة بن عبد الملك بن مروان.

واستمرت القسطنطينية مدينة يرنو المسلمون للسيطرة عليها لأسباب عسكرية وسياسية واستراتيجية. ولما أسس العثمانيون دولتهم أخذوا على عاتقهم العمل للدفاع عن الإسلام والمسلمين وصد كل المحاولات الغربية للسيطرة على الشرق الإسلامي. ويكفي الدولة العثمانية فخراً أنها أخرت الغزو الأوروبي للشرق الإسلامي أكثر من أربعمائة سنة. وقد برز العثمانيون على الساحة العسكرية قادمين من آسية الوسطى، وقد أبلوا بلاءً حسناً في السيطرة فيما بعد على مناطق آسيوية وأوروبية. وفي الوقت الذي توقفت فيه الفتوحات العربية عند جبال طوروس ـ نجح الأتراك في تخطي جبال طوروس ووصلوا إلى قلب أوروبة.

إستمر الأتراك في طموحاتهم للسيطرة على عاصمة البيزنطيين العدو البارز لهم ولسياستهم. وبالفعل فقد تم الإستيلاء على القسطنطينية في عهد السلطان العثماني محمد الفاتح عام ١٤٥٣ ميلادية ومنذ ذاك التاريخ حول اسمها إلى «إسلام بول» كما عرفت باسم استانبول أو الآستانة. وأصبحت عاصمة للدولة العثمانية وأهم مركز ثقافي وسياسي في العالم الإسلامي. وكان هذا الفتح مؤشراً لتمازج حضاري إسلامي ـ مسيحي وشرقي ـ غربي. وقد أمر السلطان محمد الثاني (الفاتح) بتحويل كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد، وإلى بناء المدارس والمكتبات والتكايا والمؤسسات الخيرية والوقفية. ولا شك بأن ثقافة محمد الفاتح قامت بدور بارز في تنشيط المؤسسات ومنها المؤسسات الثقافية، فقد عرف عنه اتقانه للغات التركية والعربية والفارسية والعبرية واليونانية واللاتينية.

هذا، وقد أبقى السلطان محمد الفاتح الكثير من المسيحيين واليهود في العاصمة الجديدة، كما نقل إليها الكثير من المسلمين لصبغها بالصبغة الإسلامية. كما انتقل إليها تلقائياً التجار ورجال الثقافة والفكر للإستفادة من مزاياها. كما انتقل إليها طلاب العلم والمعرفة. كما ظهر السلطان محمد الفاتح بمظهر راعي البطريركية الأرثوذكسية في استانبول في مواجهة البابا والكنيسة الكاثوليكية الغربية.

إن استانبول في فترة السلطان محمد الفاتح كانت درة الشرق، وقد استمرت منذ عهده ولعصور متتالية تمثل هذه الميزة الحضارية. وكانت وفاة السلطان الفاتح عام ١٤٨١ ميلادية قد أنقذ أوروبا من العثمانيين، سيما وأن جيوشه كانت قد دخلت الأراضي الإيطالية، واحتلت برانديزي في محاولة للتقدم فيما بعد نحو روما. وكان سقوط القسطنطينية من الأسباب الأساسية التي أغرت العثمانيين بالتقدم نحو مركز البابوية.

إن موقع استانبول على ضفتي البوسفور، أعطاها ميزة حضارية واستراتيجية أخرى. فقد تدفق إليها الوافدون من كل حدب وصوب حتى تكاثر عدد سكانها الذي يقارب عددهم في هذه الأيام حوالى (مليون وثمانمائة ألف نسمة).

تتميز استانبول بمميزات علمية وحضارية وتاريخية وأثرية منها: قصر «ضولمه بغجه» الذي يبدو آية فنية لا سيما من خلال البوسفور. كما يمكن رؤية بعض القلاع على ضفتي البوسفور لا سيما قلعتي: روميلي حصار التي أقامها السلطان محمد، وأناضول حصار وحولهما أغنى أحياء استانبول وأرقاها.

ومن معالم استانبول «حي بابيك» المميز المطل على البوسفور. وكذلك قصر طوبقابي الذي أقامه السلطان محمد الفاتح، وهذا القصر يعتبر آية معمارية ومزيجاً من الفن المعماري العربي والفارسي وبمعنى آخر آية في الفن المعماري الإسلامي. وكان هذا القصر مقراً لسلاطين آل عثمان لفترات طويلة. وتمركزت حوله قصور الصدر الأعظم والوزراء وقادة العسكر. وإلى هذا القصر كانت تفد البعثات الدبلوماسية الأجنبية لمقابلة السلاطين. وكانت استانبول العاصمة الدبلوماسية ومقراً للسفراء الأجانب، في حين كانت بقية الولايات العثمانية مقراً للقناصل الأجانب. وكانت استانبول على غرار باريس ولندن مقراً للسفراء وليس للقناصل.

هذا وقد تحول قصر «طوبقابي» إلى متحف وطني يضم أهم المجموعات الإسلامية الأثرية، وبه مقتنيات من كافة أنحاء العالم الإسلامي. ويحتوي على عرش فارس الذهبي. وأهم ما يحويه أيضاً «الأمانات المقدسة» التي نقلت إليه من القاهرة منها: مصحف عثمان وهو أول مصحف مدوّن بالخط الكوفي، وبردة النبي محمد ﷺ وشعرة من لحية النبي محمد ﷺ، وعصاه وسيف عمر.

وكان سلاطين آل عثمان يتبركون بهذه الأمانات المقدسة ويضعونها خلف عروشهم. كما يضم قصر «طوبقابي» رسالة الرسول محمد ﷺ إلى المقوقس عظيم قبط مصر، والتي عثر عليها «بارشليه» الفرنسي في أحد الأديرة المصرية فأهداها للسلطان عبد المجيد. ويضم القصر ـ المتحف الكثير من اللوحات الفنية العربية والتركية والفارسية، وأعداد كبيرة من اللآليء المحلى بها الخناجر والعروش. وتظهر الخطوط والآيات القرآنية بأجمل خطوط وأبرز نقش.

ومن معالم استانبول المسجد الأزرق بمآذنه الست، وهو رمز هـام من رموز استـانبول. ومن أجمـل مساجـد العالم عمـارة وفنـاً وزخـرفة. ويعـرف هذا المسجـد بـاسم مسجـد السلطان أحمـد، وأطلق عليه المسجد الأزرق لزخارفه ونقوشه الزرقاء. ويتميز هـذا المسجد أيضاً بقبابه المميـزة وقباب التكـايا والاستـراحات الـدينية القـائمة من حـولـه وبفسحـة خضـراء تحيط بـه من الـداخـل ومن الخارج.

إلى جانب المسجد الأزرق مسجد آيا صوفيا بلونـه البرتقـالي وطرازه البيزنطي ومآذنه الأربع. وآيا صوفيا قبل الفتح العثماني كان كنيسة حاول الأمبراطور قسطنطين الدفاع عنها وعن عاصمتـه، غير أن السلطان محمد الفاتح استطاع السيطرة على العاصمـة، والبدء بأسلمتها وأسلمة معالمها ومنها هذه الكنيسة التي أمر بتحويلها إلى مسجـد وإقامـة أربع مـآذن. واستمر المسجـد على وضعه إلى أن انهارت الدولة العثمانية وأمر مصطفى كمال (أتاتورك) بتحويله إلى متحف وطني.

وأهم ما يلفت النظر في استـانبول انتشـار المساجـد التي بلغ عددها حوالى (٥٠٠) مسجد، في غالبيتها مساجد تاريخية وأثرية. من بين هـذه المسـاجـد المميزة مسجـد السليمـانيـة الـذي أقـامـه المعماري المهندس التركي سنان.

وفي مقابل قصر «ضولمه بغجه» على ربوة عالية، وبين الحدائق الخضراء، يقع «قصر يلدز» الذي قضى السلطان عبد الحميد الثاني آخر أيامه فيه إلى عام ١٩٠٩ قبل أن ينفى إلى سالونيك. ونظراً لروعة هذا القصر وجماله أصبح مضرب الأمثال في العالم.

ومن معالم استانبول أيضاً الكثير من القصور التاريخية الخاصة بـالصدور العـظام والأمراء والقـادة. كمـا أن السـوق الـرئيسي في استانبول هو بمثابة الأسواق ـ القيسـاريات المسقـوفة، التي تمـاثل أسواق الحميدية في دمشق وأسواق الموسكي في القاهـرة وأسواق بيروت العثمانية القديمة.

وفي سوق استانبول التاريخي يجد الزائر أكثر من سبعين بـاباً للدخـول إليه، تتفـرع منه أسـواق ثانـويـة و(٦٥) شـارعـاً. ويضم مختلف الصنـاعات والتحف الفنيـة التركيـة من حلي ومصـوغـات ونحـاسيات وجلود ومنسـوجات ومقتنيـات ذهبية وفضيـة. وثريـات وشمعدانات وخشبيات. ويناهز عمر هذه الأسواق التاريخية حوالى (٥٠٠) خمسمائة عام.

كمـا تتميـز استـانبـول إلى اليـوم ورغم التغيـرات الحـديثـة والطارئة، بأنها مدينة إسلامية تشبه المدن العـربية الكبـرى. حتى أنها لا تزال تضـم منازل أثرية قديمة بنيت بمواد خشبية أو بعضها خشبي، وقد ظهرت في واجهتها المشربيات، وهي عبارة عن نوافذ خشبية. كما تحوي الكثير من الحمامات التركية التي اشتهرت عبر التاريخ، سواء بما تقدمه من خدمات صحية أو من حيث عمارتهـا وهندستها. وفيها أيضاً العربات التي تجرها الخيول حيث يستذكـر المرء التاريخ العثماني من خلالها. كما يتميز ميناؤها بكثرة الأعمال الاقتصـادية والتجـاريـة وكثـرة الاستيـراد والتصـديـر. ومن معـالـم استانبول أيضاً جسر البوسفور الذي ينقل الناس بين فترة وأخرى من آسيـا إلى أوروبا أو بـالعكس ذلك لأن المـدينـة منشـطرة آسيـويـاً وأوروبياً.

ونجد في استانبول ماثلاً في قلب الحي الحديث، تمثال ضخم لمصفى كمال الذي يعتبره بعض الأتراك بأنه أبو الاستقلال. والحقيقة فإن مصطفى كمال قام بدور بارز في قطع العلاقة التاريخية بين تركيا وبين تراثها الإسلامي والعثماني والعربي. ففي عام ١٩٢٤ اتخذ قراراً بإلغاء الخلافة الإسلامية وإخراج السلطان عبد المجيد من البلاد. وفي حزيران (يونيه) ١٩٢٥ ألغى جميع الطرق الدينية. كما قرر تحويل مسجد آيا صوفيا إلى متحف. كما اتبعت الحكومة التقويم الجريجوري بعد أن ألغت التقويم الهجري. واستبدلت الشريعة الإسلامية بالقانون العلماني السويسري. واستبدلت القبعة الافرنجية بالطربوش، كما ألغيت الحروف العربية واعتمدت الحروف اللاتينية. وحذفت من مناهج التعليم اللغتان العربية والفارسية. ومنع الآذان من المساجد.

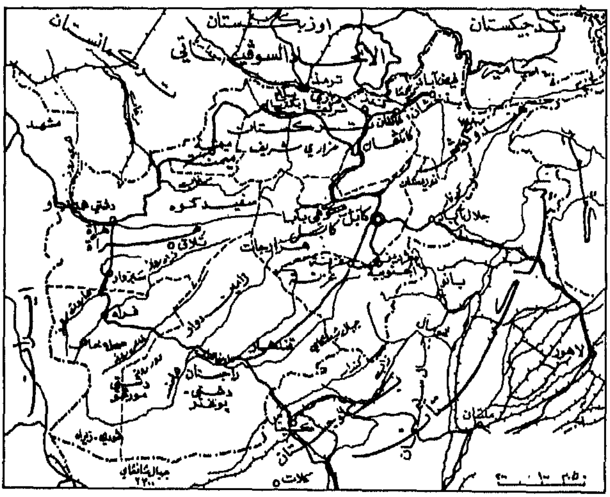
والواقع فإن استانبول رغم ما انتابها منذ عام ١٩٢٣ من تطورات وتغيرات في مقدمها انتزاعها كعاصمة وتحويل العاصمة إلى أنقره. فإن التاريخ الإسلامي ما يزال ماثلاً في مساجدها وشوارعها وناسها. علماً أن السنوات الأخيرة شهدت تحولات أساسية في مطالبة الكثير من الأتراك بالعودة إلى الحروف العربية وبالإتصال مجدداً بالعالم العربي. وقد اتخذت قرارات حكومية بإذاعة الآذان باللغة العربية. كما شهدت استانبول خاصة وتركيا عامة عقد عدة مؤتمرات إسلامية منها مؤتمر السيرة النبوية ومؤتمر الغرف التجارية للدول الإسلامية، واجتماع وزراء الدول الإسلامية.

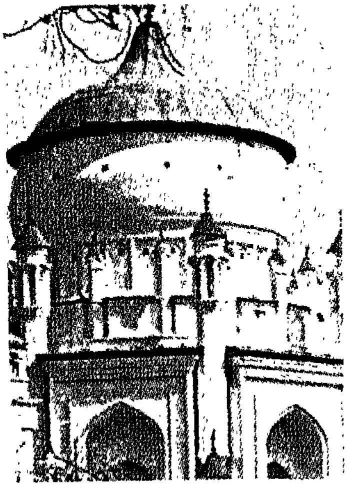
ويوجد في استانبول مقر منظمة المؤتمر الإسلامي لنشر

الدراسات والكتب التاريخية والمخطوطات المتعلقة بالعالم الإسلامي والعربي. ولا يزال مركز الوثائق والمخطوطات في استانبول من أهم المراكز الإسلامية التي تضم وثائق عن الفترة العثمانية. كما تضم استانبول جامعتان أحداهما ترقى إلى القرن الخامس عشر. علماً أن هذه الجامعات تدرس في بعض كلياتها مادة اللغة العربية.

إن بصمات السلاطين العثمانيين لا تزال واضحة المعالم في استانبول منذ عهد السلطان محمد الفاتح إلى عهد السلطان عبد المجيد الثاني. وبالرغم من أن البعض يعتبر بأن هذه المدينة تحمل هويتين إحداهما أوروبية تشدها إلى الغرب والأخرى آسيوية تشدها إلى الشرق، غير أنه مما لا شك فيه بأن استانبول تحمل هوية إسلامية واضحة في مختلف معالمها.

# أفغانستان





# أفغانستان

جغرافية أفغانستان:

تقع أفغانستان في قلب قارة آسية تحيط بها اليابسة من جميع الجهات، فهي إذن بعيدة عن البحار. يحدها من الشمال الجمهوريات الإسلامية التابعة للإتحاد السوفيتي السابق، ومن الجنوب والشرق باكستان ومناطق بشتونستان، ومن الغرب إيران. ولها حدود مشتركة مع جمهورية الصين تبلغ مائة ميل من الجهة الشمالية الشرقية.

تبلغ مساحة أفغانستان (٦٥٠,٠٠٠) كلم² نحو (٢٧٠,٠٠٠) مائتين وسبعين ألف ميل مربع. ويبلغ عدد سكانها حوالى ١٩ مليون نسمة. وعاصمتها مدينة كابل (كابول).

أما سطح أفغانستان فغالبيته يتكوّن من السفوح والجبال والمرتفعات باستثناء بعض المساحات الغربية. وهذا السطح ينحدر من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وتقسمها «جبال هندكوش» والسلاسل المتفرعة منها إلى قسمين، أما «جبال سليمان» فتمتد من «هضبة بامير» وتتجه جنوباً في سلاسل متقاربة، هي في غالبيتها تكون الحد الفاصل الطبيعي والسياسي بين أفغانستان وباكستان. ويوجد في هذه الجبال والمرتفعات عدة

ممرات أهمها «ممر خيبر» و«ممر بولان» وهضبة بامير الثلجية. وهذه الهضبة تشكل عقدة تتفرع منها السلاسل الجبلية، ويبلغ متوسط ارتفاعها بين ٣٠٠٠ - ٣٦٠٠م، ولكنها تصل في بعض قممها إلى ٦٠٥٤م داخل أراضي أفغانستان، وهي تشكل مناطق الحدود بين أفغانستان وطادجكستان وكشمير وباكستان والتيبت.

أما السهول فتمتد في مناطق الشمال، وهي تكون ضيقة قريبة من مجرى نهر جيحون الذي يشكل الحد الفاصل بين تركستان التابعة للإتحاد السوفيتي السابق وبين أفغانستان. وتصب في هذه السهول المياه المنحدرة من جبال هندكوش، ويصل بعضها إلى نهر جيحون، ويصل أكثرها إلى رمال المنطقة. وكذلك توجد سهول في الغرب حول مدينة «هَراة» وعلى مجرى نهر «هاري رد» في مجراه الأوسط، كما توجد بعض السهول والمناطق الصحراوية الأخرى في الشرق والغرب.

أما ثروتها المائية، فإن أفغانستان تتميز بقلة الأمطار، وهذا يسبب ضحالة مياه الأنهار، غير أن ذوبان الثلوج من على بعض قممها يغطي بعض النقص في المياه. أما أهم أنهارها فهي[1]:

* نهر جيحون: ويجري في الشمال، وينبع من هضبة بامير ويصب في بحر أورال. ويشكل هذا النهر الحد الفاصل بين أفغانستان وتركستان الروسية. ويستمد مياهه من ثلوج بامير والجبال المشرفة على واديه سواء من جبال هندكوش من الجنوب أم

(١) انظر: محمود شاكر: أفغانستان، ص ٢٤ - ٣١، انظر أيضاً: أم القعقاع: أفغانستان مقبرة الغزاة، ص ١٩ - ٢٠.

مرتفعات تركستان من الشمال. ويصب نهر جيحون في بحيرة خوارزم (بحر آرال)، وكان فيما مضى يصب في بحر الخزر (قزوين). ويبلغ طوله ٢٢٤٠ كلم، ونظراً لأهميته بالنسبة لأفغانستان والإتحاد السوفيتي السابق فقد اتفق البلدان على استثماره في مشروعات الري والزراعة وإقامة السدود لتوليد الطاقة الكهربائية.

من المدن الهامة التي تقع على هذا النهر مدينة «تِرْمذ» التي ينسب إليها الإمام الترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩هـ، ٨٢٤ - ٨٩٢م)، علماً أن جميع البلاد الواقعة وراء هذا النهر سبق أن أطلق عليها المسلمون بلاد ما وراء النهر.

* **نهر كابل**: ويعتبر هذا النهر من أهم أنهار المنطقة الشرقية، فهو ينبع من وسط أفغانستان، ويتجه شرقاً، فيمر بالعاصمة كابل، ويستمد مياهه من مياه لوغار ومياه نهر علينكار ونهر كونار الذي يمتد إلى باكستان، فيمر في مدينة بيشاور، وبعدها يرفد نهر السند عند مدينة أوتوك. ونهر كابل يتسع مجراه عادةً عندما يصل إلى مدينة جلال آباد. يبلغ طوله ٦٠٠ كلم من منبعه غرب العاصمة حتى مدينة «أوتوك».

* **نهر هلمند**: وهو ينبع من جبال «كوه بابا» إحدى سلاسل جبال «هندكوش» غرب العاصمة كابل، ويتجه نحو الجنوب الغربي، ويصب في صحراء «سيستان» على الحدود الأفغانية الإيرانية وينبع أيضاً من «باندي بايان» ومن مختلف السفوح الجنوبية لجبال هندكوش. يبلغ طوله نحو ١١٢٠ كلم، وهو يروي المناطق

الجنـوبية الغـربية التي تـزيد مسـاحتها على ثلث المسـاحة العـامة لأفغانستان.

* **نهـر هاري**: المعروف باسم هـاري رد، وهـو يجـري في الغرب حتى أواسط البلاد، وتقع في حوضه مدينة هراة، ويستمر في انحداره غرباً حتى يصل إلى حـدود إيران، ثم بين بـلاد التركمـان وإيران، ويأتيه رافد من إيران هو نهر مشهد، من المدن التاريخيـة الهامة الواقعة على هذا النهر مدينة سرخس ومدينة بيهق. طول هذا النهر (١٠٠٠) ألف كلم تقريباً، يجري في أفغانستان (٦٥٠) كلم والباقي في بلاد التركمان. أقيم على نهر هاري رد مشـروع لتوليـد الطاقة الكهربائية عند غريشك، كما أن عليه سدين آخرين للري.

ومن الأنهار الأخرى في أفغانستان:

* **نهر خاش** (كاش رد) الذي تنحدر مياهه من جبال تيماني.

* **نهر فرح** (فرح رد) وتنحدر ميـاهه أيضـاً من جبال تيمـاني ويمر بمدينة فرح ويبلغ طوله (٦٤٠) كلم.

* **نهر هاروت**: وهو يقع في غـرب البلاد وتفيض ميـاهه في منخفض سيستان كسواه من الأنهار الأفغانية.

* **نهر مورغاب**: وينبع من شمال جبال «هندكوش» ثم يـرفد إلى مناطق عديدة، ويستمر في اتجاهه حتى يصل بلدة مرو عاصمة خراسان زمن الدولة الإسلامية. وتصله اليوم قناة بنهر جيحون باتجاه الشرق، وأخرى بنهر هاري باتجاه الغرب.

أما فيما يختص بمناخ أفغانستان، فالبلاد تمتد بين خطي عرض ٢٩ ـ ٣٨ شمالاً، .وهي تقع ضمن المنطقة المعتدلة الدفيئة الشمالية باستثناء بعض المناطق القليلة التي تقع ضمن منطقة الصحارى الحارة. وباعتبار أن أفغانستان منطقة بعيدة عن البحار، لذا فمناخها قاري شديد الحرارة صيفاً شديد البرودة شتاءً. وفي الجبال تعتدل الحرارة في الصيف، أما في الشتاء فشديد البرد. وتتعرض مناطق أفغانستان لأقصى التقلبات المناخية، فتشهد الحرارة الشديدة كل من «سجستان» و«كوره» و«وادي جيحون» في الصيف، بينما تهب العواصف الثلجية والبرودة القاسية في كثير من المناطق شتاءً، حيث تصل درجة الحرارة إلى ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر. وتعتدل الحرارة في الخريف، بينما يميل الجو للبرودة في الربيع.

وتقوم الغابات الموجودة في منحدرات جبال «هندكوش» و«سليمان» و«بامير» بتلطيف الجو وإعطاء صفة جمالية لهذه الجبال. وتتنوع أشجارها بتنوع مناطقها حيث توجد أشجار: الصنوبر، البندق، الشربين، الفستق، اللوز، الخوخ، الجوز، وسواها من الأشجار المثمرة والنباتات والأعشاب المتنوعة، كالنباتات العطرية والخشخاش البري، كما ينمو الزيتون البري على ارتفاع ٧٥٠ ـ ١٥٠٠م. وتعيش في هذه الغابات الأفغانية أنواع من الحيوانات مثل الثعالب والخنازير والدببة والكلاب والهرر البرية وابن آوى، بالإضافة إلى الأغنام والماعز الجبلية.

## لمحة تاريخية

لم تتفق المصادر على كيفية إطلاق إسم أفغانستان على بلاد الأفغان، فهناك عدة روايات حول هذه التسمية يمكن الإشارة إليها على النحو التالي:

١ ـ يعتقد البعض أن اسم أفغان نسبة إلى «أفغانا» وهو حفيد بنيامين بن يعقوب عليه السلام الذي سافر مع أبنائه الأربعين بعد أن حلت كارثة بني إسرائيل بهم، واتجه إلى تلك البلاد التي عرفت باسمه فيما بعد.

٢ ـ يعتقد البعض الآخر أن «أفغان» إسم لحفيد شاؤول جد الأفغانيين. وأن بعض قبائل الأفغانيين كالمقيمين في قندهار وقزن يسمون أنفسهم «بشتو» وبعضهم كساكني خوست وكورم وباجور يسمون أنفسهم «بغتو» وهذه الألفاظ تعد من أصل واحد.

٣ ـ يرى البعض الآخر أن لفظ «أفغان» يمكن أن يكون مأخوذاً من «باشتان» وهي قرية من قرى«نيسابور» أو يكون مأخوذاً من «بشت» وهو إسم مدينة من مدن خراسان. ويحتمل أن يكون مأخوذاً من «بشيت» وهو اسم قرية من قرى فلسطين على احتمال كونهم من بني إسرائيل على رأي السيد جمال الدين الأفغاني[1].

٤ ـ وهناك رأي رابع، وهو أن الفرس هم الذين أطلقوا على الافغان هذا الإسم، ذلك أن هذا الشعب عندما وقع أسيراً عند «بخت نصر» كان له أُنين، والأنين بالفارسية تعني «أفغان».

(١) انظر: جمال الدين الأفغاني: تتمة البيان في تاريخ الأفغان، ص ١٣ ـ ١٤، أم القعقاع: أفغانستان مقبرة الغزاة، ص ١٣.

٥ ـ ويمكن أن ينسب الأفغان إلى مدينة «أفكان» الواقعة بين تلمسان وتنس، وهي مدينة قديمة دمر سورها القديم إثر الحروب، ولها واد يشقها إلى نصفين ويمضي فيها إلى تيهرت على ما جاء في الادريسي «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» وفي الحميري «الروض المعطار في خبر الأقطار». وقد يكون العكس صحيح، فقد تكون مدينة «أفكان» سميت نسبة إلى الأفغان الذي هاجر قسم كبير منهم إلى أوروبا.

وتعتبر أفغانستان مهد الشعوب الآرية التي وصلت إليها من مناطق تركستان الغربية، حيث وطدوا أركانهم، فأقاموا مدينة «بَلْخ» وجعلوها عاصمة لدولتهم، وكانت تسمى «باكتريا». ولما تكاثر الأفغان هاجرت بعض قبائلهم إلى شمال الهند، وهاجرت قبائل أخرى إلى فارس وشمالي العراق، ووصل بعضها الآخر إلى أوروبا. وقد انتشرت في أفغانستان الديانة الهندوسية ومنها انطلقت إلى الهند. كما انتشرت الديانة البوذية، واستمرت سائدة حتى دخول الإسلام إليها.

وكان الإسكندر المقدوني قد غزا البلاد عام ٦٥٢ق.هـ، وأقام مدينتي «قُندهار» و«هراة». وفي القرن السابع قبل الهجرة أقامت قبائل الكوشان التركستانية الأمبراطورية الكوشانية في أفغانستان. وعندما قويت الدولة الساسانية تقلصت قوة الكوشان. وكان القسم الشمالي من أفغانستان يخضع لهذه القوى الأجنبية، وهو القسم الذي عُرف باسم خراسان ومعناه «أرض الشمس».

ولا بد من الإشارة إلى أن إسم «أفغانستان» لم يرد إلا منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ١٧٤٧م في عهد «أحمد

شاه»، وذلك بعد أن توطدت السيادة والقوة للشعب الأفغاني. في حين أن كلمة «أفغان» وردت منذ القدم، وأول من أشار إليها هو «فارها ميهرا» الفلكي الهندي في أوائل القرن السادس الميلادي في كتابه «برهات ـ سمهينا» وقد عبّر عنها بكلمة «أفاغانا».

هذا وقد أشار بعض الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين إلى مناطق أفغانية قاموا بزيارتها، ومنهم على سبيل المثال البيهقي (تاريخ البيهقي) وابن بطوطة الذي أورد لنا شيئاً من تاريخ الأفغان وأحوالهم وذلك في أوائل القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي. ومن قوله في كتابه «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار».

«... ثم وصلنا إلى مدينة ترمذ التي ينسب إليها الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذي، مؤلف «الجامع الكبير في السنن» وهي مدينة كبيرة حسنة العمارة والأسواق، تخترقها الأنهار، وبها البساتين الكثيرة، والعنب والسفرجل بها متناهي الطيب... وكانت مدينة ترمذ القديمة مبنية على شاطىء جيحون، فلما خربها تنكيز بنيت هذه الحديثة على ميلين من النهر. وكان نزولنا بها بزاوية الشيخ الصالح عزيزان من كبار المشايخ وكرمائهم... واجتمعت قبل وصولي إلى هذه المدينة بصاحبها علاء الملك خداوند زاده...»

وعن زيارة إبن بطوطة لمدينة «بلخ» ـ وهي تسمى اليوم وزير باد بأفغانستان ـ قال: «... مدينة بلخ، وهي خاوية على عروشها غير عامرة، ومن رآها ظنها عامرة لاتقان بنائها، وكانت ضخمة

فسيحة، ومساجدها بأصبغة اللازورد. . . [ومسجدها] من أحسن مساجد الدنيا وأفسحها، ومسجد رباط الفتح بالمغرب يشبهه في عظم سواريه، ومسجد بلخ أجمل منه في سوى ذلك. . .».

ثم وصف إبن بطوطة زيارته لجبال «قوه استان» وهي قرى كثيرة عامرة، بها المياه الجارية والأشجار المورقة، وأكثرها شجر التين، «وبها زوايا كثيرة فيها الصالحون المنقطعون إلى الله تعالى». وعن مدينة «هراة» قال إبن بطوطة: «. . . هي أكبر المدن العامرة بخراسان. . . ولأهلها صلاح وعفاف وديانة، وهم على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، وبلدهم طاهر من الفساد. وسلطان هراة هو السلطان المعظم حسين بن السلطان غياث الدين الغوري. . .» ووصف إبن بطوطة الكثير من القرى والمدن الأفغانية إلى أن وصل إلى كابل فوصفها قائلاً: «ثم سافرنا إلى كابل، وكانت فيما سلف مدينة عظيمة، وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الأعاجم يقال لهم الأفغان. ولهم جبال وشعاب وشوكة قوية وأكثرهم قطاع الطريق. وجبلهم الكبير يسمى «كوه سليمان» يذكر أن نبي الله سليمان عليه السلام صعد ذلك الجبل فنظر إلى أرض الهند وهي مظلمة فرجع ولم يدخلها فسمي الجبل به، وفيه يسكن ملك الأفغان. وبكابل زاوية الشيخ إسماعيل الأفغاني تلميذ الشيخ عباس من الأولياء. . .».

ويبدو أن مدينة «قندهار» لم تكن على دين الإسلام زمن إبن بطوطة لقوله: «. . . وسافرنا منها إلى مدينة قندهار، وهي مدينة كبيرة للكفار، على خور من البحر. وسلطان قندهار كافر اسمه

جالنسي، وهو تحت حكم الإسلام، ويعطي لملك الهند هدية كل عام. ولما وصلنا إلى قندهار خرج إلى استقبالنا، وعظمنا أشد التعظيم، وخرج عن قصره فأنزلنا به. وجاء إلينا من عنده من كبار المسلمين، كأولاد خواجة بُهرة، ومنهم الناخوذة إبراهيم له ستة من المراكب مختصة له...».

أما عن كيفية دخول الإسلام إلى أفغانستان، فيبدأ من تاريخ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما أمر القائد النعمان بن مُقرِّن بمحاربة الفرس، وكان أن انتصر المسلمون في معركة نهاوند (فتح الفتوح) عام ٢١ هـ. وبعد هذا الإنتصار زحفت القوات الإسلاميَة إلى جميع أنحاء بلاد فارس. وكان من بين هذه الجيوش جيشان اتجها نحو المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم «أفغانستان» والتي كانت تحكم باسم حكام الفرس، الأول منها سار نحو منطقة سجستان وعلى رأسه عاصم بن عمرو التميمي (المتوفى عام ٢٤ هـ)، وهي تضم مدن قندهار وزرنج ويقع قسم منها اليوم في إيران.

إستسلم حاكم سجستان للمسلمين طالباً الصلح، على أن تكون مزارع سجستان لحاكمها وذلك عام ٢٣ هـ. غير أن سجستان نقضت العهد بعد الخليفة عمر بن الخطاب. فاستعاد عبد الله بن عامر فتحها في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أما الجيش الثاني الذي اتجه إلى مناطق أفغانستان، فكان بقيادة الأحنف بن قيس، فافتتح هراة وبلخ ووصل إلى طخارستان

شرقي مدينة بلخ. غير أن سكان هذه المناطق نقضوا العهد مع المسلمين، فما كان من الأحنف إلا أن أعاد السيطرة عليها عام ٣٣ هـ. أما هراة فقد تولى إعادتها أوس بن ثعلبة عام ٣٢ هـ.

أما مدينة «كابل» فقد توجه إليها عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي عام ٨٠ هـ (المقتول عام ٨٥ هـ) زمن خلافة عبد الملك بن مروان. ثم أعاد قتيبة بن مسلم الباهلي (٤٩ - ٩٦ هـ) فتح مدينة بلخ. وشهدت أفغانستان في العهد الأموي غزوات إسلامية، حتى بلغت آسيا الوسطى، وتخطت حدود الهند بفضل القائد الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد استقرت الكثير من القبائل العربية في البلاد المفتوحة، مما أدى إلى انتشار الإسلام بين سكانها، كما ظهر من أبناء هذه البلاد فئة أجادت اللغة العربية، واشتغلت بعلوم القرآن الكريم واللغة والحديث الشريف. وقد أشار الرحالة «بزرك بن شهريار» في كتابه «عجايب الهند» إلى كيفية انتشار الإسلام في تلك المناطق.

وفي العهد العباسي توالت الفتوحات الإسلامية في مناطق أفغانستان ولم يأت منتصف القرن الثاني للهجرة إلا وأصبحت المنطقة إسلامية وبدأت اللغة العربية لغة القرآن الكريم بالإنتشار على حساب اللغة الفارسية ولهجة البشتو (Pashtu) الأفغانية. غير أن قيام العصبيات والدويلات الإسلامية نتيجة الإنقسامات في المنطقة أثّر على الوجود الإسلامي فيها. ومن تلك الدويلات التي قامت وقتذاك: الدولة الطاهرية في مرو ونيسابور، الدولة الصفارية، الدولة السامانية، الدولة الغزنوية، الدولة الغورية، الدولة

السلجوقية، الدولة الخوارزمية، الدولة المغـولية، دولـة الأوزبك، الدولة الصفوية، الدولة الفارسية الإفشارية.

## قبائل أفغانستان وأهم مدنها وآثارها الإسلامية

إن تاريخ أفغانستان هو تاريخ القبائل الأفغانية التي قامت بدور بارز في تكوين الأمة الأفغانية وفي تكوين تسع وعشرين ولاية. أما أهم القبائل الأفغانية فهي[1]:

* **الدوراني (العبدلي)**: وهي تتمركز في الأجزاء الشرقية من أفغانستان، وهي القبيلة التي أطلق عليها فيما بعـد إسم العبدلي. والعبـدلي تتكوّن بـدورهـا من بـطون وأفخـاذ «بـاركـزائي» و«علي كوزائي» و«علي زائي» و«باميزائي».

* **غليـزاي**: وتتمركـز هذه القبيلة في الأجـزاء الجنـوبيـة من أفغـانستان، وهم عشـائر مختلطة الجنس، وكـانـوا أقـوى عشـائـر قندهار.

* **الأوزبـك**: وهي قبائـل المناطق الـواقعة إلى الشمـال من الهند.

* **المغـول**: وهي قبائـل تسكن في قلب أفغانستـان وأهمهـا قبائل: هازار، تيماني، شهر أيماك.

ومن القبـائـل والبـطون الأخـرى: قبيلة طـاجق (الـطاجيـك) (Tajik) وهي قبيلة آرية تسكن منطقة هراة. وتوجد قبائل آرية أخرى تسكن إلى الشرق من كابول في واخان وروشان، وكافرستان، إلى

(١) انظر: محمود شاكر: أفغانستان، ص ٦٤ ـ ٦٥.

جانب القبائل التي لجأت إلى جبال أفغانستان. ومنها قبائل: غلجائي، يوسف زائي، مهمند، فريدي، بنكش، هتك، توخي، سليمان خيل وسواها.

والغالبية العظمى من هذه القبائل، وخاصة الآرية منها والأوزبك، يدينون بالإسلام على مذهب السُنة. فيما نجد العناصر الفارسية في قبيلة هازار تدين بالإسلام على مذهب الشيعة. وعبر التاريخ كانت هناك علاقات بين السنة الأفغان وأباطرة الهند من السنة، وعلاقات بين الشيعة الأفغان وحكام الفرس الشيعة.

والأفغانيون بشكل عام نتاج عناصر بشرية متعددة قدمت إلى أفغانستان على فترات متعاقبة. ويعتبر الجنس القوقازي من أقدم العناصر البشرية التي جاءت إلى أفغانستان، كما يوجد عناصر بشرية أخرى مثل العناصر: العربية، التركية، المغولية، التترية، الإيرانية، التاجيك (وهم الإيرانيون الشرقيون) ومجموعات قليلة من الهنود والصينيين.

ومن القبائل والمجموعات البشرية التي لا تزال قائمة إلى اليوم في أفغانستان:

* البوشتن: ويطلق عليهم أيضاً «الباتان» أو «البوختن» ويشكلون ٦٠٪ من مجموع السكان، وهم في جذورهم من عناصر إيرانية وتركية. ويمتازون بطول القامة والبشرة السمراء والشعر الأسود المموّج، وقدرة على تحمل المشاق والمتاعب بسبب صعوبة ووعورة بلادهم. وهم يتجمعون عادةً في جنوب وشمال جبال هندكوش، كما أن قبائل منهم وهم «الباتان» تقيم في باكستان.

وعلى العموم فإن قبائل البوشتن تعمل في الزراعة والرعي. ومن أشهر بطون البوشتن في أفغانستان هم «الغلزة» أو غيلزاي» يتميزون ببياض البشرة، ولهذا فقد كان بعض المؤرخين يحسبونهم أنهم من مجموعات أخرى غير مجموعة البوشتن.

* **الطاجيق**: وهي من المجموعات والقبائل الآرية الإيرانية، ويشكّلون ٣٠٪ من مجموع السكان. ويمتازون بالقامة المتوسطة، ولون البشرة السمراء، ويقطنون السهول الغربية حول مدينة هراة، وفي الوديان العليا من إقليم «باداخشان» وفي السهول العليا في وسط البلاد حتى الغرب. وقبيلة الطاجيق ممن يعمل عناصرها في الزراعة والرعي والصناعة والتجارة.

* **هازارا (هزارة)**: وهي عناصر من جذور مغولية، يقطنون في قلب أفغانستان وفي المرتفعات الوسطى. ويبلغ عددهم مليون ونصف مليون نسمة، وهم على المذهب الشيعي. ويعملون في الزراعة والرعي.

* **البلوش (البالوخ)**: وهم من أصول عربية، والقليل منهم يعيش في جنوب أفغانستان، في حين أن أكثرهم يقيم في إقليم بلوشستان في باكستان والمجاور لأفغانستان.

* **الكافير**: وهم من القبائل القديمة التي كانت تتبع البوذية، ثم تحولوا إلى الإسلام وقد عرفوا أيضاً باسم «النوريين» ولعلهم سمّوا بذلك لتقديسهم نور الشمس والقمر. ومكان إقامتهم في شمالي شرقي أفغانستان.

* **الأتراك**: وهم العناصر التركية، الذين يشكّلون امتداداً لسكان تركستان الغربية حيث توجد قبائل الأوزبك الذين يشكلون ٥٪ من مجموع سكان أفغانستان. ومن بطونها التركمان الذين يقيمون على الضفة الجنوبية لنهر جيحون، والقيرغيز الذين يتنقلون بين هضبة بامير، ويشتغلون عادةً برعي الأغنام والماعز والياك. ومن العناصر التركية أيضاً قبائل القوزاق.

وهذه القبائل مجتمعة تدين بالإسلام. أما أهم ولايات أفغانستان ومدنها فهي التالية حسب الأحرف الأبجدية(*):

| | | | |
|---|---|---|---|
| أسعد أباد | تلخان | طالقان | لغمان |
| بادخش | جروز | غزني | لوكر |
| باميان | جلال أباد | غور | مزار شريف |
| بجرام | جوزجان | فارياب | ميمنه |
| بدخشان | خان أباد | فايز أباد | ننكرهار |
| بغلان | روز كان | فراه | نمروز |
| بكيتا | زابول | قندهار | هلمند |
| بلخ | زراني | كابل | هراة |
| بنجاب | سمنكان | كلات | وردك |
| تخار | شبرغان | كندوز | |
| ترمذ | شنداد | كنر | |

(*) لا بد من الإشارة إلى أن بعض أسماء هذه المدن التاريخية لا تزال تحتفظ بأسمائها القديمة، والبعض الآخر يحتفظ بأسمائه القديمة مع أسمائه الجديدة، فمثلاً مدينة بلخ تعرف اليوم أيضاً باسم مدينة وزير أباد وهكذا.

وسنختار بعض هذه المدن للتحدث عنها منها[1]:

* **كابُل (كابول)**: وهي عاصمة أفغانستان. يزيد عدد سكانها على (٣٥٠) ألف نسمة، ويجري فيها نهر كابول الذي يضفي عليها جمالاً. أقيم في وسط العاصمة العمود التذكاري الذي أقيم بمناسبة الإنتصار على الجيوش البريطانية في ٢٨ أيار (مايو) ١٩١٩ - ١٣٣٨ هـ، وهو اليوم الذي اتخذته أفغانستان ذكرى لاستقلالها. وبالقرب من هذا العمود شيد ضريح محمد نادرخان الذي اغتيل عام ١٣٥٢ هـ. وفي العاصمة متحف كبير.

* **هَراة**: وهي من المدن الأفغانية الهامة الواقعة في غربي البلاد حيث تنتشر السهول. يزيد عدد سكانها على (٢٠٠) ألف نسمة. تتميز بكثرة مساجدها، منها المسجد الجامع الأثري الذي يعود بناؤه إلى القرن التاسع الهجري، وكان يعتبر من أهم جوامع آسيا الوسطى.

* **قُنْدُهار**: وهي أيضاً من المدن الأفغانية والتي زادت شهرتها في السنوات الأخيرة. وموقعها على ضفة نهر هلمند في الجنوب قريباً من الحدود الباكستانية. يزيد عدد سكانها على (١٤٠) ألف نسمة. تضم المدينة آثار عديدة منها ضريح الشاه أحمد خان مؤسس الأسرة الدردانية (١١٦٠ - ١٢٥٠هـ، ١٧٤٧ - ١٨٣٥م) وعلى الضريح قبة مغطاة بصفائح الذهب، وتحيط بها المآذن المحلاة بالقيشاني.

* **بَلْخ**: وهي مدينة تاريخية أثرية، كانت تحمل إسم «باكتريا»

---

(١) انظر: محمود شاكر: أفغانستان، ص ٨١ - ٨٥، أم القعقاع: أفغانستان مقبرة الغزاة، ص ٥٦ - ٥٨.

تقع إلى الغرب من مدينة مزار شريف. سبق أن هدمها جنكيز خان، تعرف اليوم باسم وزير أباد.

* **غـزنـة**: وهي من المـدن التـاريخيـة التي شهـدت أهم الأحداث السياسية والعسكرية. تقع جنوب غربي كـابُل على بعـد (١٥٠) كلم منها، وهي على طريق المواصلات بين كابل وقندهار. وكانت مركز الدولة الغزنوية (٣٨٤هـ - ٤٢٧، ٩٩٤ - ١٠٣٥م) والتي أشار إليها البيهقي في تاريخه. من أشهر ملوكها محمـود بن سبكتكين الغزنوي وفيها قبره.

* **جـوزجـان**: وهي من المـدن التـاريخيـة التي افتتحهـا المسلمـون عـام ٣٣هـ، وبهـا قتـل يحيى بن زيـد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عام ١٢٥هـ. وهي من مدن بلخ بخراسان مـوقعها بين مـرو الروز وبلخ ومن مـدنها فـارياب. فيهـا أضرحة ومساجد أثرية.

أما فيما يختص بآثارها الإسلامية فهي عديدة نذكـر منها على سبيل المثال:

* **متحف كـابل**: ويضم الآثـار الغزنـوية والـدواوين العربيـة الشعـرية، والمؤلفـات التاريخيـة والعلمية والفلسفيـة والطبيـة. . . وتـوجد في المتحف قـاعة خـاصة لنسـخ القرآن الكـريم والتفسير والحديث الشريف، ومنها نسخ نـادرة من القرآن الكـريم تعود إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

* **المسجد الجامع**: وهو من أعظم المساجـد التاريخيـة في هـراة وأقدمهـا وكان قبـل الإسـلام معبداً للمجـوس. فلمـا دخـل

المسلمون المدينة في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، تحوّل هذا المعبد إلى مسجد عام ٢٣هـ. وقد احترق هذا المسجد، فشيد السلطان غياث الدين الغوري عام ٥٩٨هـ - ١٢٠١م مسجداً آخر مكانه على مستوى معماري فخم ولائق.

* **مسجد هراة**: وهو من روائع الآثار الإسلامية في أفغانستان. أنشيء منذ القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي، يتكوّن من ثلاثة أقسام منفصلة، يبلغ طولها ١٨٠٠ قدماً، لم يبقَ منه سوى أطلاله ومنائره الثلاث والقبة.

* **مسجد ومئذنة «منارجام»**: وهي من أروع الآثار الإسلامية الباقية وتقع على نهر «هري رود». وينسب هذا المسجد - المئذنة إلى السلطان غياث الدين الغوري (٥٤٥ - ٥٨٨هـ).

* **ضريح أثري**: ينسب هذا الضريح إلى الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم مزار شريف. وأقيم حول الضريح مسجد كبير يعرف باسم المسجد الأزرق.

* **مسجد سنكي**: وموقعه في العاصمة كابل، وهو من أعظم آثار «شاه جيهان» من ذرية «بابر». توجد بالقرب من المسجد مقبرة «ظهير الدين بابر».

* **مسجد عروس الفلك**: أسسه السلطان محمود الغزنوي، ويعتبر آية في فن البناء ومن روائع الفن المعماري والزخرفي الإسلامي.

* **مدرسة جوهر شاه الأثرية**: وقد بناها زوجها السلطان «شاه رخ». ومدرسة حسين بايقرا ومدارس إسلامية عديدة كانت بمثابة كليات وجامعات لتدريس العلوم الدينية والمدنية التي استطاعت إنجاب العديد من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء. كما وجد في أفغانستان الكثير من القصور والدور التاريخية التي تمثلت فيها العمارة الإسلامية المتأثرة بالبيئة الأفغانية، ووجدت العديد من المسكوكات والنقود والمخطوطات التاريخية والأسلحة والأدوات الذهبية والأواني الفضية وسواها.

## الأوضاع الاقتصادية في أفغانستان(1)

تعتبر أفغانستان بلداً زراعياً في الدرجة الأولى، وتعتبر الزراعة المصدر الأساسي لدخل السكان، إذ يعمل في هذا القطاع أكثر من ٨٠٪ من السكان، رغم ضيق الأرض الزراعية التي لا تزيد على ١٩٪ من مساحة البلاد، غير أنها تشتهر بخصوبة تربتها ووفرة خيراتها.

والفلاح الأفغاني لم يتعرف بعد بشكل عام على الأدوات الحديثة المستعملة في الزراعة، بل لا يزال يستخدم الأدوات التقليدية والأساليب الزراعية القديمة المتوارثة. وبالرغم من ذلك فإن الفلاح الأفغاني يحرص على استثمار الأرض الزراعية في مختلف فصول السنة، فهناك الزراعات الشتوية والزراعات الصيفية أيضاً، التي تؤدي إلى منتجات زراعية يستهلك قسماً منها محلياً، ويصدر القسم الآخر لا سيما الفواكه المجففة إلى باكستان والهند ومناطق آسيا الوسطى السوفيتية.

---

(١) محمود شاكر: أفغانستان، ص ١٠٦ ـ ١١٠، أم القعقاع: أفغانستان مقبرة الغزاة، ص ٣٠ ـ ٣٤.

تقع ثلاثة أرباع (٤/٣) الأراضي الزراعية المستثمرة في شمالي جبال هندكوش في حوض نهر جيحون، أما أهم المزروعات فهي :

* **القمح**: يشغل (٦/١) الأراضي الزراعية، ويزرع في وادي كابل وغزنة وقندهار ومزار شريف وميمنة وهراة.

* **الذرة**: وهي من المحاصيل الزراعية الهامة أيضاً في أفغانستان، إذ أن المساحة المزروعة به تمثل (٣٥٠,٠٠٠) هكتاراً.

* **الشعير**: وهو من المحاصيل الزراعية الهامة التي يعتمد عليها الفلاح الأفغاني لإعطائها علفاً للحيوان، كما يستخدم في بعض المأكولات والصناعات. وتقدر مساحته المزروعة بمساحة زراعة الذرة أي حوالى (٣٥٠,٠٠٠) هكتاراً، غير أن مناطقه أقل خصوبة وأكثر ارتفاعاً.

* **الأرز**: يزرع في المناطق الزراعية التي تمتاز بخصوبة أرضها وتوفر المياه فيها. وتقدر الأراضي المزروعة أرزاً بـ (١٨٠,٠٠٠) هكتاراً.

* **القطن**: يزرع في أفغانستان النوع الجيد من القطن، وهو طويل التيلة، كما يزرع قصير التيلة ومتوسط التيلة. وقد نجحت تجارب زراعة القطن المصري والقطن الأميركي.

* **قصب السكر**: ويزرع في مناطق عديدة من البلاد. أما الشمندر السكري فهو يزرع في مناطق عديدة، وقد أولته الحكومة الأفغانية اهتماماً وأولوية على زراعات أخرى. ويمتاز الشمندر

السكري الأفغاني بنسبة مرتفعة من المواد السكرية.

* الزيتون: يزرع الزيتون في مناطق متفرقة في أفغانستان، لا سيما في باكتيا جنوب كابل، غير أن إنتاجه لا يمثل مصدراً تجارياً.

* العنب: ويزرع بكثرة في البلاد، ويوجد منه أكثر من سبعين نوعاً.

بالإضافة إلى ذلك، فهناك مزروعات أخرى مثل: العدس والفول والبقول والخضراوات والدخن والباقلاء، والتنباك والتبغ والمشمش والتفاح والخوخ والإجاص والكرز والتين والرمان والسفرجل والجوز واللوز والعناب والفستق والصنوبر والجميز وسواه. ويلاحظ بأن أفغانستان تشتهر بجودة منتجاتها من الفواكه المتنوعة. والأرض الزراعية في أفغانستان (٣/٢) تعتمد على الري، بينما الباقي يعتمد على المطر.

وترتبط بالزراعة بشكل أو بآخر الثروة الحيوانية، حيث تغطي المراعي ٥٪ من مساحة البلاد. وتربى الحيوانات بكثرة وفي طليعتها الخيول والأغنام العادية وأغنام الكراكول والماعز والجمال والبغال والحمير. كما تربى دودة القز في مقاطعات بغلان وبلخ وهراة بشكل خاص. كما تربى النحل لإنتاج العسل، بالإضافة إلى وجود الأسماك النهرية، أما الصناعة في أفغانستان، فهي غير متطورة ولا تزال في مراحلها الأولى. وكانت تعتمد على بعض الزراعات الصناعية ولا تزال، مثل نسيج وصناعة الأقمشة القطنية، وتوجد صناعة الأقمشة الحريرية والكشمير والصناعة الجلدية من الفراء وجلود الحيوانات، كما توجد صناعة البسط والسجاجيد الملونة.

وكان يوجد منذ أواخر القرن التاسع عشر مصانع متواضعة لصنع المدافع والبنادق والسيوف.

وتوجد في أفغانستان مصانع للمنسوجات الصوفية ومحالج القطن ومصانع للسكر ومصانع للصابون والعطور والزيوت النباتية ومصانع لدبغ الجلود. كما وجدت مصانع للإسمنت والزجاج والقرميد والكبريت وتجفيف الفواكه وحفظها. هذا وقد قامت مصانع جديدة لتطوير المنتجات الصناعية بالتعاون مع الدول الأجنبية، غير أن الحروب التي عصفت بالبلاد منذ عام ١٩٧٩ أثرت كثيراً على التطور الصناعي في البلاد.

أما فيما يختص بالثروة المعدنية، فهي عامل مهم في إمكانية تطور الصناعة المعدنية، إذ أن المعادن تكثر في أفغانستان وأهمها:

**الذهب**: ويوجد بالقرب من قندهار وفي بادخشان.

**الفضة**: وتوجد في وادي بانجشير.

**الفيروز**: ويوجد في قندهار وجاجيديلك.

**اللازورد**: ويوجد في شمالي أفغانستان، وهو من أجود الأنواع في العالم.

**الكبريت**: ويوجد في هزاراجات.

**الملح**: ويوجد في قاتجان.

**الرصاص والمنغنيز والقصدير والنحاس**: وتوجد بكثرة في جبال هندكوش.

بالإضافة إلى هذه المعادن، فهناك معادن وثروات معدنية ومنجمية أخرى مثل الفحم والمرمر، كما يوجد البترول والغاز

الطبيعي. ولعل وجود مثل هذه المعادن يؤدي إلى إيجاد المزيد من المصانع والأدوات الصناعية.

أما التجارة في أفغانستان فهي محدودة النطاق على وجه الإجمال تبعاً لقلة منتجاتها الصناعية، وهي تستورد أكثر مما تصدر في مختلف المجالات. وهي تتعامل عادةً مع الدول المحيطة بها أو القريبة منها مثل الهند وإيران وباكستان وبخارى والجمهوريات الروسية. فهي تصدّر بالدرجة الأولى جلود الكراكول وبعض المنتجات الصوفية والقطنية والفواكه والفراء والنعال والكشمير وتنقل هذه المنتجات إما على الإبل أو في عربات وسيارات متواضعة وقديمة، بينما كانت تستورد منذ زمن قديم من بخارى والهند بعض أنواع من الأقمشة مثل الجوخ والكتان والشاي والسكر والزجاج والخزف الصيني والقرطاس والفولاذ والحديد والنحاس. وكانت تستورد من الإتحاد السوفيتي الأسلحة والأدوات الإلكترونية وبعض أنواع من السيارات وما سمحت به الإتفاقيات التجارية المعقودة بين البلدين. وبالإجمال فإن قيمة الصادرات تتوازى تقريباً مع قيمة الواردات. ولا يدخل في هذا المجال الأسلحة والمعدات العسكرية المقدمة لأفغانستان من بعض الدول الحليفة لها.

أما طرق المواصلات الأفغانية الداخلية أو الخارجية فإنها لا تزال متأخرة، وقد ساعدت الطبيعة الجبلية في البلاد وعدم وجود الإمكانيات المادية واستمرار الحروب على عدم شقها وإيجاد طرق مواصلات حديثة. إذ لا يوجد في داخل البلاد أية خطوط للسكك الحديدية، علماً أن خطوط السكك الحديدية الباكستانية أو

التركستانية - السوفيتية تصل إلى الحدود الأفغانية. كما أن الطرق البرية المعبدة لا تزال قليلة ومتأخرة. ولا يزال الحيوان هو الأداة الأولى في عملية النقل والتجارة والانتقال من مكان إلى آخر.

وتوجد في البلاد شركة «أريانا» للنقل الجوي، ويوجد مطاران دوليان أحدهما في العاصمة كابل والآخر في قندهار، إضافة إلى وجود ثمانية مطارات محلية وإقليمية أهمها مطارات مزار شريف وميمنة وهراة وفرح ووسط جبال هندكوش، ومطار جلال أباد عاصمة إقليم نانغارهار الشرقي الذي دارت المعارك حوله بين الثوار الأفغان والقوات الحكومية الأفغانية في آذار (مارس) من عام ١٩٨٩.

هذا وإن معظم النقل والمواصلات يتم عن طريق باكستان في الجنوب أو عن طريق تركستان في الشمال. إضافةً إلى الطرق البرية التي تصلها مع إيران، والمناطق الجبلية التي تصلها مع كشمير في الهند والتبت في الصين.

## الأوضاع الاجتماعية(1)

ترتبط الأوضاع الإجتماعية في أفغانستان بالجذور التاريخية للعادات والتقاليد والأديان وما يرتبط بها من ممارسات في شتى المجالات الاجتماعية. وبالرغم من أن البوذية كانت هي الديانة السائدة في البلاد قبل دخول الإسلام، غير أن اعتناق ٩٩٪ من السكان الدين الإسلامي، بدّل الكثير من العادات والتقاليد القديمة، أو بالأحرى فإن تلك العادات والتقاليد والممارسات قد «تأسلمت» مع إنتشار الإسلام.

---

(١) انظر: السيد جمال الدين الأفغاني: تتمة البيان في تاريخ الأفغان، ص ١٣٨ - ١٨٠.

ومعظم السكان في أفغانستان من أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام أبي حنيفة، والبقية من إخوانهم على مذهب الشيعة. علماً أن هناك أقلية من الهندوس والسيخ. وينص الدستور الأفغاني قبل الإنقلابات الأخيرة على أن الدين الإسلامي هو مصدر التشريع، وإن أي قانون يتناقض مع أصول الدين الإسلامي يعتبر باطلاً ولا يجوز العمل به.

ويرى السيد جمال الدين الأفغاني، أن للأفغان شخصية مميزة تتصف بالصلابة واحترام النفس وتقديس الدين والمحافظة على التقاليد والعرف وشظف العيش، والشجاعة التي هي من أهم الصفات التي يتحلى بها، ولدى الأفغانيين الخبرة في ترتيب وتنظيم جيوشهم. والجندي الأفغاني مطيع وينفذ أوامر رؤسائه بكل دقة واحترام. ومن عاداتهم قتل الجندي الفار من المعركة. ويورد السيد جمال الدين الأفغاني الواقعة التالية للإستدلال على عادة القتال والحرب من ذلك ما وقع في معركة أصفهان، وهو أن ضابطاً أفغانياً هم بقتل أحد العساكر الأفغان عندما رآه متقهقراً، فأراه العسكري يده اليمنى مقطوعة تخلصاً من العقاب القانوني، غير أن الضابط عاتبه وقال له: يا مخنث ألم تكن يدك اليسرى موجودة، فإن قطعت أيضاً، فعندك أسنان تنهش بها أعداءك فاذهب وقاتل الأعداء إلى آخر رمق من حياتك.

وعلى وجه الإجمال فإن الطبيعة القاسية هيأت المناخ لأن يكون الأفغاني خشناً ومحارباً صبوراً سواء أكان من سكان المدن أم من سكان القرى، إذ لا فرق بين المدينة والقرية كثيراً. فبيوت القرى

تبنى عادةً بالطين والآجر لتوفرها في الأودية، كما تبنى بعض البيوت بالحجارة، أما الأسقف فهي تبنى بالطين وفوقها أغصان الأشجار. أما البدو فمساكنهم الخيام المصنوعة من الصوف أو الوبر أو الشعر. ولا يعني ذلك أنه لا يوجد في أفغانستان أبنية حديثة، فبعض مدنها مليئة بالقصور والدور الأنيقة رغم قلتها، والمنازل عامةً تفرش بالسجاد والبسط والحصير، وبعض الأثاث والأدوات اللازمة. ويحرص الأفغاني على اقتناء نسخة أو أكثر من القرآن الكريم لتلاوته وللتبرك به. كما يحرص أكثر الأفغان على تربية المواشي والحيوانات اللبونة والدواجن للإستفادة من لحمها ولبنها.

أما لباس الأفغان، فإنه يتميز عادةً بالقماش الخشن أو اللباد، ويلبسون السروال الفضفاض القطني والصدرية فوق لباسه الداخلي أو القميص الطويل، وعلى الرأس توضع العمامة التي تتدلى أطرافها على جانب صاحبها، وهذه العمامة يختلف شكلها ولونها باختلاف القبيلة أو الفئة التي ينتمي إليها. ويرتدي الأفغاني في الشتاء ألبسة صوفية ثقيلة وعباءات ومعاطف وجلود. وأما المدن فقد بدأت الألبسة الإفرنجية بغزوها وغزو البيوتات الأفغانية لا سيما الفئات المثقفة.

أما النساء في القرى والبوادي، فإنهن يلبسن ألبسة طويلة، ومن عوائدهن قطع الشعر المتدلى من أذناب الخيل، ووصلها بشعورهن. كما يعلقن في آذانهن حلقات غليظة من الفضة والحديد والنحاس والبلور. أما نساء المدن فإنهن انطلقن في موكب الحضارة أكثر من نساء القرى والبوادي، مع الإشارة إلى محافظتهن على

التقاليد الإسلامية. والمرأة الأفغانية ترتدي الحجاب الشعبي الأفغاني الذي يسمى «الشودري».

أما أمراء الأفغان فكانت عاداتهم الإبتعاد عن الأبهة والعظمة، فهم يجلسون على الأرض بدلاً من الجلوس على الآرائك والكراسي، كما يتناولون الطعام مع خدمهم والفئات الشعبية من الأفغان. والأفغانيون لا يجوزون بيع الأسرى وإن كانوا من غير المسلمين، كما إنهم يكرمون الغريب وأبناء السبيل ويستقبحون السرقة. ومن عاداتهم وتقاليدهم أيضاً الكرم وإغاثة الملهوف وحماية من يلوذ بالفرد أو القبيلة، وهذا الأمر صفة عامة عند الأفغانيين ذلك لأن أكثر الحياة في أفغانستان قبلية وريفية. ولهذا نرى أن الأفغاني يتميز بالجدية وقلة المزاح، وفي الوقت نفسه فهو إنسان لبق مهذب حيي في تعامله مع الآخرين، وهو صبور يتحمل المشاق والمتاعب والحروب.

ومن عاداتهم صيد الطيور وقنص الحيوان وركوب الخيل والقيام بألعاب التسلية والرقص الفلكلوري لا سيما في حفلات الأعراس.

وبالمناسبة فإن من عادات الأفغان في الزواج، إصرار الآباء على اختيار الزوجة أو الزوج المناسب أو المتدين أو الذي يتحلى بصفات قبلية أو مالية أوثقافية معينة. كما تفضل المرأة المحافظة والمتدينة والمهذبة وهي صفات عامة في النساء الأفغانيات. ويفضل الأفغانيون الزواج المبكر، لا سيما بعد اتفاق القبائل والعشائر على تخفيض قيمة المهور التي كانت مرتفعة والتي سبق أن سببت أزمات

اجتماعية في المجتمع الأفغاني.

وقد أشار السيد جمال الدين الأفغاني إلى بعض عادات وتقاليد الأفغان أثناء حفلات الأعراس والزفاف، وأثناء المآتم والأحزان. كما أشار إلى تقاليدهم بزيارة القبور والأضرحة الخاصة بالأولياء والصالحين.

ويتم الزواج عادةً بين أفراد القبيلة الواحدة أو العشيرة الواحدة، كما يمكن التصاهر والتقارب بين القبائل والعشائر الأخرى. وعندما ترزق الأسرة مولوداً تعم القبيلة البهجة والفرحة، لا سيما إذا كان المولود ذكراً حيث تطلق العيارات النارية احتفاءً بمقدمه. وأتباعاً للسنة النبوية المطهرة فإن أحد الأتقياء يؤذن في أذن المولود اليمنى ثم اليسرى، ويكون الختان مبكراً وله حفل خاص.

ومن عادات الأفغان أن الأغنياء منهم يتكفّل بتعليم الفقراء وطلبة العلم مدة تحصيلهم العلمي. وللعلماء في أفغانستان شأن كبير ونفوذ وهيبة وكلمة مسموعة. ويتبعون بين قبائلهم وعشائرهم نظام الألقاب لا سيما بين العلماء والشيوخ والقادة والأمراء، ومن بين هذه الألقاب:

**المتوكل على الله**: لقب الملك.

**خان**: ويطلق على كبار القادة وكبار الملاك وأعضاء البرلمان، وهذا اللقب لم يعد مستخدماً الآن كثيراً.

**مير أو أمير**: ويطلق على شخص ذي مكانة دينية، كانتسابه مثلاً إلى أهل البيت أو إلى الإمام علي بن أبي طالب (رضي

الله عنه)، وهذا اللقب أصبح جزءاً من الإسم كأن يقال مير أحمد، مير محمد علي. . .

دوش: وتطلق على الأخ الصديق.

حضرت: وتطلق على كبار رجال الدين.

صاحب: وتطلق على كبار رجال الدولة.

خوجه: وتطلق على العلماء لا سيما على من ينتسبون للخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

سيد: وتطلق على من ينتسب للرسول محمد (ﷺ) أو للإمام علي (رضي الله عنه).

أما أهم الأعياد التي يحتفل بها الأفغان فهي عيدي الأضحى المبارك والفطر السعيد وتؤدى صلاتهما في ملعب أو باحة كبرى أو خارج حدود المسجد إحياءً للسنة. كما يحتفل بذكرى المولد النبوي الشريف وبذكرى رأس السنة الهجرية، وبالنصف من شعبان، ويكون لشهر رمضان المبارك احتفالات خاصة ومميزة في استقباله وأثناء الصيام وعند وداعه، لا سيما احتفالهم بليلة القدر، حيث تقام الاحتفالات الدينية في المساجد والزوايا لا سيما في العاصمة كابل. كما يحتفل الشيعة بالإضافة إلى تلك الأعياد والليالي، بذكرى عاشوراء.

## الأوضاع العلمية والثقافية

تنتشر في أفغانستان ثلاث لغات هي: البشتو، والفارسية والعربية. وتعتبر البشتو لغة قبائل البوشتن هي اللغة الرسمية في البلاد، وتليها اللغة الفارسية وهي لغة قبائل الطاجيق الذين يحتلون

المرتبة العددية الثانية بعد البوشتن، غير أن الفارسية هي المستخدمة في الإدارات وفي الميادين التجارية والثقافية بسبب جذورها التاريخية في البلاد. ولا بد من الإشارة إلى أن ٤٠٪ من كلمات اللغتين الفارسية والبشتوية هي من أصل عربي، علماً أن اللغتين تكتبان بأحرف عربية.

وتحتل اللغة العربية مركزاً ممتازاً في المدارس والدراسة في أفغانستان، لأن الأفغانيين يحرصون على تعليم أبنائهم لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه والتفسير. وبما أن حرف اللغات الأفغانية الأخرى هو حرف عربي، فقد سهّل ذلك تعلم اللغة العربية واستيعابها إلى حد كبير. علماً أن بعض المدارس تقوم بتدريس مادة اللغة العربية فحسب مثل: دار العلوم في كابل، وفخر المدارس في هراة، ونجم المدارس في جلال أباد، ومدرسة لمخارستان في فيض أباد. بالإضافة إلى ذلك فقد أنشأت الحكومة الأفغانية «مدرسة العلوم الشرعية» في منطقة نعمان على مقربة من كابل، وهذه المدرسة تعتمد تدريس اللغة العربية فحسب.

بالإضافة إلى اللغات الأساسية الثلاث، فإن اللغة التركية تنتشر في خراسان وبين القبائل التي تنتمي إلى أصل تركي. كما أن في أفغانستان لغات محلية مثل لغات الهزارة والبالوش (البالوخ).

والحقيقة فإن المعاهد الدينية كانت تتولى في السابق شؤون التعليم في مدارس المساجد، فتقوم بتعليم القرآن الكريم والحساب ومبادىء القراءة. ثم تحولت مسؤولية التعليم إبتداءً من عام ١٩٠٦ إلى دائرة المعارف الرسمية، ثم إلى وزارة التعليم

إبتداءً من عام ١٩٣٠، واعتبرت أن كل مدارس المساجد والأحياء مدارس تابعة لها، وأخذت على عاتقها التعليم الإبتدائي والإعدادي والثانوي وفيما بعد الجامعي، غير أن نسبة المتعلمين لا تزال متدنية إذ لا تزيد على ٢٠٪ بين الذكور، وهي أقل من ذلك بين الإناث. وقد أدى ذلك إلى وجود مشكلة تكمن في تدني عدد المدرسين والأساتذة. وتقوم الجمعيات الخيرية بدورها في ميدان التعليم، فالمؤسسة الخيرية النسائية في كابل تقوم بدور مكافحة الأمية، كما افتتحت عدة صفوف لتعليم تفصيل وفن الخياطة والحياكة والأشغال اليدوية والتدبير المنزلي.

أما فيما يختص بالتعليم الجامعي، فأن أكثر القادرين على التعلم اتجهوا إلى الدول الغربية أو الشرقية أو إلى باكستان. غير أن أفغانستان شهدت منذ عام ١٩٣٦ تأسيس مدرسة للتمريض. كما يوجد في كابل «مدرسة طبية» تخرج سنوياً ما يقرب من (٣٠) ثلاثين طبيباً ومدة الدراسة فيها خمس سنوات. ويوجد في أفغانستان حوالي (٦٠) مستشفى يعمل فيها (٣٠٠) طبيب. أما الصيدليات فتوجد في المدن والمقاطعات، بينما تفتقر القرى والأرياف إلى وسائل الطب والتطبيب كالمستشفيات والصيدليات والأطباء، وهذا ينعكس سلباً على الواقع الصحي في تلك المناطق. بالإضافة إلى وجود جامعة كابول التي تستقطب اليوم الطلاب والطالبات معاً. وبالمقارنة بين ماضي أفغانستان الثقافي والعلمي وبين حاضرها. يدرك الدارس كم كان للأفغانيين مآثر في المجال العلمي والثقافي والحضاري الإسلامي، فقد قام الأفغانيون عبر تاريخهم الطويل بدور بارز في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية ليس في شبه القارة

الهندية فحسب، وإنما في ديار المسلمين والعرب أنفسهم، نظراً لما أفرزته مناطق أفغانستان من علماء وفقهاء وفلاسفة انتشرت علومهم في مختلف أرجاء العالم بما فيه أوروبا.

ولا يخفى في هذا المجال دور وجهود السلطان محمود الغزنوي، الذي غزا الهند وضمها لدولته، ولم تكن أهدافه سياسية فحسب، وإنما كان يهدف أيضاً إلى نشر الدين الإسلامي في تلك البلاد، وإلى نشر الحضارة الإسلامية. وفي هذا المجال لا بد من أن نشير إلى بعض العلماء والفقهاء والمحدثين والفلاسفة والمؤرخين والجغرافيين والأطباء والأدباء والشعراء الذين أنجبتهم أفغانستان ومناطقها ومنهم على سبيل المثال[1]:

* الإمام أبو حنيفة (النعمان بن ثابت): صاحب أحد المذاهب الفقهية الأربعة، فهو أفغاني الأصل من ضواحي «كابل». ولسنا هنا في مجال عرض ما كان لفقهه ومذهبه من آثار على المجتمعات الإسلامية.

* إبن سينا: وهو العالم الفيلسوف الطبيب، الذي اشتغل بالرياضيات والفلك والمنطق والفلسفة والطب، وبلغت مؤلفاته أكثر من مائة كتاب ومقالة. وكان كتابه «القانون» في الطب مصدراً أساسياً في العصور الوسطى للعرب وللمسلمين وللأوروبين على السواء. وقد ترجم إلى اللاتينية، وظل يدرّس في الجامعات الأوروبية حتى القرن السابع عشر الميلادي.

* البيروني: وهو صاحب الفضل في نقل التراث العلمي الهندي في الرياضيات والفلسفة والدين إلى اللغة العربية.

---

(١) انظر: فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص ٤١ ـ ٤٤.

* **مكحول بن أبي مسلم الكابلي**: كان فقيهاً وقد اعتمد فقهه لفترة طويلة أهل الشام.

* **أبو سليمان الجوزجاني**: راوية كتاب «السير الكبير» للشيباني.

* **أبو سليمان محمد بن معشر**: وهو من أصل بلخي أو بستي، فقد كان أحد المفكرين الأحرار في القرن الرابع الهجري، المعروفين باسم «إخوان الصفا».

* **أبو علي الجوزجاني**: وهو صاحب التصانيف في الرياضة النفسية والمجاهدات والمعارف.

* **أبو القاسم الكعبي البلخي**: وكان من قادة المعتزلة وصاحب مذهب الكعبية.

* **أبو زيد البلخي**: وهو من كبار المفسرين والمتكلمين والجغرافيين له مؤلفات كثيرة منها: كتاب «أقسام العلوم» وكتاب «أخلاق الأمم» وكتاب «نظم القرآن».

* **أبو معشر جعفر البلخي**: وهو من العلماء البارزين في ميدان علوم الفلك والنجوم والأزياج، له تصانيف فيها منها: كتاب «هيئة الفلك واختلاف طلوعه».

* **التميمي (أبو حاتم محمد بن حيان البُسْتي)**: وهو من علماء الفقه واللغة والحديث والوعظ والإرشاد، وله مآثر في الإجتهاد.

* **عبد الله الأنصاري**: كان عالماً من علماء هراة، له مصنفات عديدة منها كتاب «تراجم الصوفية».

بالإضافة إلى ذلك فقد أنجبت أفغانستان عدداً كبيراً من شعراء العربية وكتابها منهم على سبيل المثال: بشار بن برد من «طخارستان» في شمال أفغانستان، ورشيد الدين الوطواط من «بلخ»، محمد بن موسى الحدادي من «بلخ»، أبو القاسم أحمد بن حسن الميمندي وزير السلطان الغزنوي من «ميمند» وهو الذي أمر الكتّاب في بلاد «غزنة» بكتابة الرسائل باللغة العربية. ومن يطلع على كتاب أبي الفضل البيهقي «تاريخ البيهقي» يدرك كم هم العلماء والفقهاء الذين أنجبتهم تلك المنطقة. ومن أئمة «هراة» في اللغة العربية عالمان كبيران هما:

* **الأزهري (محمد بن محمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح الأزهري ٢٨٢ - ٣٧٠هـ)**: أشار إليه السيوطي على أنه كان رأساً في اللغة، وله تصانيف ومؤلفات عديدة منها كتاب «التهذيب».

* **عبد الرحمن الجامي (عماد الدين عبد الرحمن بن أحمد ٨١٧ - ٨٩٨هـ)**: ولد ببلدة «جام» من أعمال خراسان وتوفي في «هراة». إشتغل بعلوم الظاهر حتى تقدم على أهل عصره. له مؤلفات كثيرة في اللغة والتفسير على ما ذكره المناوي في الطبقات الصغرى والنبهاني في جامع الكرامات.

إن هؤلاء العلماء الأفغان سبق أن أثروا الفكر الإسلامي والعربي والأوروبي بمختلف العلوم البحتة والعلوم النظرية والعلوم

العقلية والعلوم النقلية. ولا تزال أمهات المخطوطات والكتب تزهر بآرائهم وأفكارهم إلى اليوم. ولا يمكن أن ننسى في هذا المجال ما قدمه السيد جمال الدين الأفغاني من آراء في مختلف المجالات.

## تاريخ أفغانستان السياسي والعسكري

أجمع المؤرخون على أن أول دولة أفغانية قامت في التاريخ هي الدولة الغزنوية (٣٥١ ـ ٥٧٩هـ، ٩٦٢ ـ ١١٨٣م) وقد قامت على يد الأمير «سبكتكين» حاكم ولاية غزنة الأفغانية. وقد استطاع هذا الأمير ـ السلطان أن يوسع نفوذه باتجاه الشرق والغرب، وأسس دولة كبيرة، وسيطر على «خراسان» وعلى «بُست» و«هراة» وعمل على غزو أطراف الهند لمد سيطرة الإسلام وسيطرته السياسية. غير أن الدولة الغزنوية قويت وسيطرت على مناطق جديدة في عهد سلطانها القوي «محمود بن سبكتكين» الذي وُلِّيَ الدولة بعد وفاة أبيه وبعد إبعاد أخيه إسماعيل عن السلطة. فقد استطاع السلطان محمود السيطرة على أملاك السامانيين في خراسان وبلاد ما وراء النهر، كما فتح بلاد الغور في أفغانستان ونشر الإسلام في تلك البلاد. وأكمل السلطان محمود السيطرة على أفغانستان، ثم استولى على أجزاء من إيران وضم إقليم «خوارزم» و«طبرستان» و«جرجان» و«بلاد الجبل» وخضعت له البلاد الواقعة شمال شبه القارة الهندية.

وبذلك إمتدت دولته من شرق الهند حتى فارس، وصارت عاصمته مدينة «غزنة» الأفغانية مركزاً للعلوم والآداب والفنون. وقد

أقام فيها في عهده ما يزيد على (٤٠٠) من الشعراء المشهورين منهم: الأنصاري، البيروني، والفردوسي.

إستمر حكم خلفاء السلطان محمود الغزنوي نحو قرنين من الزمان، حتى ضعفت دولتهم واضمحلت تحت ضغط الأتراك السلاجقة، وقبائل الغور في أفغانستان، فقد سقطت خراسان وشمال أفغانستان في أيدي السلاجقة، واستولى الغوريون على غزنة عام (٥٥٣هـ - ١١٦١م)، فنقل الغزنوين عاصمتهم من «غزنة» إلى «لاهور». واستمر الضعف يصيب الدولة الغزنوية إلى أن وقع آخر الغزنويين وهو «تاج الدولة خسروملك» أسيراً في أيدي الغوريين عام (٥٧٩هـ - ١١٨٣م). وبذلك انتهت الدولة الغزنوية وأعدم تاج الدولة هو وولده بهرام شاه عام (٥٨٧هـ - ١١٩١م). وقد ذكر بأن موطن الغور كان في مناطق أفغانستان الحالية، وقد كوّنوا دولة مستقلة في المنطقة الجبلية الواقعة بين «هراة» و«غزنة» وكانت عاصمتها قلعة «فيروزكوه».

هذا وقد توالى على دولة الغور العديد من الأمراء والسلاطين منهم: عز الدين محمد ومحمد الغوري وفخر الدين بن مسعود وجلال الدين الغوري، غير أن هذه الدولة انقرضت عام (٦١٢هـ - ١٢١٥م). بعد أن توسعت في الهند وولايتي «السند» و«الملتان» و«لاهور» وغيرها من المناطق.

فيما بعد خضعت أفغانستان للدولة الخوارزمية التي كانت تمتد من «تركستان» شرقاً إلى حدود العراق غرباً في عهد سلطانها «علاء الدين خوارزمشاه»، الذي اتجه لاحتلال بغداد عام

(٦١٦هـ - ١٢١٩م) وما أن وصل بغداد حتى علم بغزو «جنكيز خان» خان المغول لبلاده. فأسرع السلطان علاء الدين لمواجهة المغول غير أن جنكيز خان هزمه، ثم ما لبث أن توفي عام (٦١٥هـ - ١٢٢٠م). في هذه الأثناء تحالف جلال الدين بن علاء الدين مع القبائل الأفغانية الذي تمكنوا من إيقاع الهزيمة بقوات جنكيز خان قرب «كابل». فما كان من جنكيز خان إلا أن توجه من هراة للإنتقام من الأفغان، فحاصر «باميان» ودمرها وقتل كل من فيها انتقاماً لحفيده الذي سبق أن قتل في معركة كابل. ثم تقدم نحو «غزنة» وهزم جلال الدين الذي فر لاجئاً إلى الهند. ولما عاد جنكيز خان إلى أفغانستان عن طريق «بيشاور» واجهه الأفغانيون وأبدوا مقاومة باسلة ضد قواته، فكان جزاؤهم ذبح مئات الألوف منهم، وعمل على تدمير المدن والقرى مثل «غزنة» و«قندهار» و«بلخ» و«هراة» وسواها من المناطق.

وقضى المغول ودمروا المساجد والمدارس والمكتبات وأحرقوا المخطوطات والكتب ومعالم الحضارة الإسلامية والتراث العلمي والفكري للمسلمين الأفغان.

ولما حاول الزعيم التركي «سيف الدين حسن» إستعادة بعض المناطق الأفغانية عام (٦٢٣هـ - ١٢٢٥م) واجهه القائد المغولي «أكتاي» وتمكن من إخضاعه وطرده إلى الهند عام (٦٣٦هـ - ١٢٣٨م) ثم ما لبث المغول أن اتخذوا من «غزنة» وسواها قاعدة شنوا منها غاراتهم على الهند. وعندما توفي «اكتاي» قسمت الأمبراطورية المغولية، وكانت أفغانستان من نصيب

«ايلخانية فارس» تحت ظل الأسرة الكرتية التي حكمت البلاد ما يقارب مئتي عام.

وبعد ذلك، ظهر «تيمورلنك» الذي قضى على دولة «الكرت»، وتمكن من القضاء على حكم المغول في أفغانستان، واستولى على «هراة» و«كابل» و«قندهار» وأصبحت أفغانستان كلها جزءاً من أمبراطوريته. ولما يمم تيمورلنك وجهه عام (٨٠٠هـ - ١٣٩٧م) نحو الشرق، ولى حفيده «بير محمد» والياً على كابل وغزنة وقندهار. ثم بعد مجيء تيمورلنك لغزو الهند، وبعد وفاته عام (٨٠٧هـ - ١٤٠٥م) إستطاع إبن عم «بير محمد» وهو «شاه خليل» السيطرة على أفغانستان وعرش الأمبراطورية وقتل بير محمد.

والواقع فإن أسرة تيمورلنك وأحفاده وأقاربه سرعان ما تصارعوا على الحكم الواحد تلو الآخر إلى أن بدا الصراع واضحاً بين المغول والفرس، ذلك أن «بابر ظهير الدين» الذي ينتمي من جهة أبيه إلى «تيمورلنك» قد استطاع السيطرة على كابل وقندهار ثم غزا الهند. في هذه الأثناء ظهر له خطر من الغرب هو «الشاه إسماعيل الصفوي» مؤسس الدولة الصفوية في فارس، في الوقت الذي تمردت عليه القبائل الأفغانية.

وبسبب المنافسات والصراعات الداخلية قسمت أفغانستان بين أمبراطورية المغول في الهند وبين الدولة الصفوية في فارس، فكانت هراة وسجستان من نصيب فارس، بينما بقيت كابل جزءاً من الأمبراطورية المغولية في الهند، في حين كانت قندهار مرة مع المغول ومرة أخرى مع فارس.

في عام (٩٣٠هـ ـ ١٥٢٤م) توفي الشاه إسماعيل الصفوي، فتولى الحكم مكانه «طهمسب». وفي عام (٩٣٧هـ ـ ١٥٣٠م) توفي بابر، فخلفه على الحكم إبنه «همايون». وبالرغم من هذه التغيرات في الحكم، غير أن ذلك لم يمنع قوى الصراع والتنافس من الاستمرار في صراعها وقد استمر الخلفاء فعلاً في صراعهم كما كان الأباء. وكان ذلك سبباً من أسباب تزايد التدهور والانقسامات في أفغانستان ذاتها وبين مختلف قبائلها.

**العلاقات الأفغانية ـ الفارسية[1]**

كانت أفغانستان قد وجدت نفسها بين دولتين كبيرتين: الأمبراطورية المغولية في الهند، والأسرة الصفوية في فارس، وقد توزعت مناطق أفغانستان بين هاتين القوتين. وقد أسند الفرس حكم «قندهار» إلى أمير جورجيا المسيحي الأمير «جوركين» الذي كان تابعاً للشاه الفارسي. وكانت معاملته قاسية للأفغانيين، مما حرّك الأهالي والزعامات المحلية ضده بزعامة قائد محلي هو «ميرويس» فما كان من الأمير جوركين إلا أن اعتقله وأبعده إلى أصفهان. ولكن الرجل استطاع إقامة علاقات وطيدة مع الشاه الصفوي، فسمح له بمغادرة البلاد باتجاه مكة المكرمة، وهناك استحصل على فتوى من رجال الدين بأحقيته وحق شعبه بالدفاع عن بلاده ومحاربة الفرس. وفي هذه الأثناء عاد «ميرويس» إلى قندهار، وأقام علاقات مع القيصر الروسي بطرس الأكبر، واستطاع بحنكته وسياسته إبعاد

(١) للمزيد من التفصيلات انظر: د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية.

جوركين عن الحكم، وأن يحل محله في عام (١١٢٠هـ - ١٧٠٨م)، بل استخدم الحيلة لقتله.

ولما شعر «ميرويس» بقوته في قندهار وبلاد الأفغان، بدأ يواجه التهديدات الفارسية، غير أن الفرس لم يواجهوه مباشرة هذه المرة، بل كانوا يوعزون لأنصارهم بمحاربته. فكلفّوا حاكم خراسان بإخضاع الأفغانيين، غير أنهم واجهوه أكثر من مرة. كما أوعز الفرس لخسروخان حاكم جورجيا - إبن شقيق جوركين - لمهاجمة الأفغان في قندهار.

في هذه الفترة قرر سكان قندهار مواجهة حصار «خسروخان» والإستماتة في سبيل الدفاع عن مدينتهم. ثم انتقلوا من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم، فاستطاعوا إبادة (٢٤) ألفاً من جيش خسروخان المكوّن من (٢٥) ألف محارب، ثم أن خسرو نفسه سقط صريعاً في المعركة عام ١٧١١ م.

بعد هذه الإنتصارات الأفغانية شعر الفرس بخطورة قندهار، فأرسلوا حملة عسكرية منظمة بقيادة «محمد رستم»، ولكن لم يستطع المواجهة بل فشلت هذه الحملة فشلاً ذريعاً. وهذه المعارك مجتمعة عوضاً من أن تؤدي إلى إضعاف ميرويس، عملت على تقويته وترسيخ حكمه في قندهار إلى وفاته عام ١٧١٥م.

تولى الحكم من بعده شقيقه عبد الله، لأن ابن ميرويس الوريث الشرعي الأمير محمود لم يكن قد بلغ الثانية عشر من عمره. وكان عبد الله ميالاً لعقد الصلح مع فارس حتى يتمكن من توطيد عرشه وحكمه. وقد عقد الصلح فعلاً بين فارس وقندهار،

وكانت في مصلحة الأفغان حيث اتفق على ما يلي:

١ ـ أن يكون الحكم وراثياً في أسرة الأمير عبد الله.

٢ ـ عدم إرسال قوات فارسية أو مناصرة لها ضد قندهار.

٣ ـ إلغاء الجزية المفروضة على قندهار لفارس.

إزاء هذه المعاهدة التي اعتبرها الأفغان أقل مما يجب الإتفاق عليه مع الفرس، وإزاء أطماع عبد الله بأن يكون الحكم وراثياً في أسرته، تحالف الأمير محمود مع أنصار والده السابقين، فتآمروا عليه وقتلوه.

وأمام انتصارات الأفغان المتتالية، ثارت بعض العشائر والقبائل الأفغانية ضد الحكم الفارسي، فأعلنت عشائر «العبدلي» الثورة واتفقت مع قبائل «الأوزبك» على غزو خراسان. وقد تجمع الثوار تحت قيادة أسد الله ـ زعيم العبدلي ـ وتحت قيادة حاكم هراة، وبلغ عددهم خمسة آلاف مقاتل. كما كان لدى الأوزبك (١٢) ألف مقاتل. وبالرغم من أن الجيش الفارسي كان كبيراً ويملك أسلحة متطورة مثل المدافع، غير أن الأفغانيين إنتصروا على الفرس وأوقعوا فيهم الهزيمة، وسيطر الأفغان على مدفعية الجيش الفارسي. وكانت نتيجة المعركة استقلال جديد لمنطقة هراة عن الفرس، بالإضافة إلى استقلال قندهار.

وبعد هذه الإنتصارات الجديدة قامت عشائر العبدلي في اجتياح خراسان، وقامت عشائر الليجيان (Lesgian) بمهاجمة شيروان (١١٣٤هـ ـ ١٧٢١م). وعبر الأمير محمود بجيشه الصحراء وأخذ يستولي على المدن الفارسية والواحدة تلو الأخرى

متابعاً سيره نحو أصفهان. وفي هذه الأثناء عرض الفرس الصلح على محمود ولكنه رفض لأنه شعر بضعف الفرس عن المواجهة العسكرية، ثم أنه بات في داخل الأمبراطورية الفارسية.

وفي الإطار العسكري كان عدد الجيش الفارسي مضاعفاً عن عدد الجيش الأفغاني، بالإضافة إلى أن الفرس يملكون أسلحة ومدفعية أكثر تطوراً من أسلحة ومدفعية الأفغان. وبالرغم من ذلك فقد قرر الأمير محمود الأفغاني الإستمرار بالزحف، فلاقى الجيش الفارسي في معركة «جلناباد» (Gulnabad) في عام (١١٣٥هـ - ١٧٢٢م). وبعد مواجهة عنيفة بين الجانبين تم الإنتصار للجيش الأفغاني في هذه المعركة. وساد الإرتباك الرسمي والشعبي في العاصمة أصفهان لوصول أخبار ونتائج الحرب.

بعد هذه المعركة تابع الأمير محمود إتجاهه لاحتلال بعض المناطق الفارسية، فسيطر على مدينة «فرح أباد» وقلعتها، ومدينة «جِلفا» الواقعة عبى الضفة الغربية لنهر «زندارود» التي كان يدافع عنها الأرمن والفرس. وكان الصراع الداخلي بينهما قد أثر في وقوعها بيد الأفغان بسرعة.

ونتيجة لهذه الإنتصارات الأفغانية طالب الأمير محمود فارس بتنفيذ شروطه ومطالبه منها:

١ - تدفع فارس غرامة حربية.

٢ - يتنازل الشاه له عن قندهار وخراسان وكرمان.

٣ - زواج الأمير محمود من أميرة فارسية.

رفض الشاه حسين هذه المطالب، ولم يقدم بديلاً سياسياً أو

عسكرياً لمواجهة الوضع القائم، في الوقت الذي كان فيه الشعب يفر من المدن والقرى والدساكر باتجاه أصفهان. وفي وقت لم يستطع الشاه الإستفادة من عرض قدمه له أمير جورجيا لمساعدته ضد الأفغان. كما أن ولي العهد في فارس الأمير «طهمسب ميرزا» لم يستطع مواجهة الأفغان رغم محاولاته تجميع جيش فارسي جديد.

وفي خضم هذا الوضع العسكري، قامت بعض القوى الفارسية في المقاطعات والأقاليم بإعلان استقلالها عن الحكم المركزي في أصفهان. وبسبب عدم قدرة الجيش الفارسي على مواصلة القتال، وبسبب الأوضاع السياسية والاقتصادية الصعبة، وبسبب المجاعة التي ضربت أصفهان، قرر الشاه حسين التنازل عن العرش للأمير محمود الأفغاني وتسليم العاصمة في عام (١١٣٥هـ - ١٧٢٢م) وهكذا سقطت عاصمة الصفويين، وكانت إيذاناً بانتهاء الأسرة الصفوية كأسرة حاكمة.

أعلن الأمير محمود نفسه شاهاً على البلاد، وأبقى الفرس في أعمالهم ووظائفهم، وأشرك معهم في المسؤولية عناصر أفغانية، وكافأ الزعماء الفرس الذين كانوا أوفياء للشاه حسين، وأنزل العقاب بالذين خانوا بلادهم وخانوا الشاه. كما أبقى على امتيازات الأوروبيين وأعمالهم وتجارتهم وأوضاعهم التي كانوا يتمتعون بها زمن الحكم الصفوي.

صحيح أن الأمر استتب للشاه محمود الأفغاني في البلاد، ولكن الدارس لحقيقة الأمر، يتبين له أن الشاه محمود كان لا يزال

يواجه بعض الأخطار الحقيقية الداخلية والخارجية منها:

- الخطر العثماني من الغرب.
- الخطر الروسي من الشمال.
- أطماع ولي العهد الأمير «طهمسب ميرزا» بإعادة الحكم لأسرته.
- زعماء القبائل والعصبيات المستقلة في مناطقها.

وكان على الشاه محمود مواجهة كل هذه القوى للمحافظة على عرشه في فارس، وهذا ما لم يكن متوفراً له، لأنه في زحفه على فارس استخدم كل الطاقات الأفغانية، ولم يكن بمقدوره تجييش المزيد من الأفغان، علماً أن الفرس لم يقبلوا على التجنيد في عهده لأنهم لم يكونوا ليرضوا بالعمل تحت قيادة أفغانية.

لقد أرسل الشاه محمود حملة إلى شمالي فارس للقضاء على «طهمسب» ولكنه لم ينجح في ذلك، بينما نجح في الاستيلاء على مدن «قزوين» و«قم» و«كاشان»، وكانت هذه السيطرة مقدمة لثورات المدن على الأفغانيين. وبالفعل فقد ثارت قزوين وطردت الحامية الأفغانية منها، وهذه الحامية لم تلجأ مجدداً إلى الحكم المركزي، بل أنها توجهت إلى قندهار، الأمر الذي أثر على قوى ومعنويات الشاه محمود الأفغاني الذي حاول التعويض عن تلك الحاميات باستقطاب الأكراد السُّنة الذي استطاع فعلاً ضمهم إلى قواته واستخدامهم في معارك عديدة بالتعاون مع الجيش الأفغاني.

وباتت قضية الوجود الأفغاني في فارس قضية دولية، فبعد حملات الأفغان على المدن الثائرة في «خونسان» و«كاشان» و«شيراز» و«بندر عباس» و«يزد» و«بهبهان» تدخلت الوكالات

الإنجليزية والهولندية ودافعت عن «بندر عباس» بما كانت تملكه من مدافع متطورة. بالإضافة إلى أن القيصر الروسي بطرس الأكبر عزم على مواجهة الأفغان في إيران، وأعلن تمسكه بالشاه حسين المتنازل عن العرش. كما أجرى الروس مفاوضات مع الشاه حسين ومع الشاه محمود الأفغاني في وقت واحد. وكانت حصيلة تحركاتهم بعد أن علموا أن الأفغان غير قادرين على الإمساك بمناطق شمال فارس، إلا أن وجهوا جيوشهم من «الفولچا» إلى «دربند» ثم اتجهوا إلى «شماكا» التي تبيّن لهم أن العثمانيين وصلوا إليها واحتلوها محذرين من تقدم الروس. لهذا آثر القيصر الروسي عدم المواجهة مع العثمانيين والبقاء في «دربند». وكان ذلك مقدمة لاتفاق عثماني ـ روسي على تقسيم فارس بينهما وذلك في عام ١٧٢٤م.

إن التطورات المحلية والإقليمية والدولية أرهقت الشاه محمود الأفغاني، وبالتالي أثرت على قواه الصحية والعقلية، فعمد إلى ممارسات القتل والتدمير في الأسر الفارسية وفي أصفهان، وأمر بقتل أفراد الأسرة الصفوية باستثناء الشاه حسين، وعمد إلى المذابح التي استمرت زهاء أسبوعين، مما أفقده عقله وصوابه تماماً، فأصيب بالجنون الواضح عام (١١٣٧هـ ـ ١٧٢٥م) وعلى اثر ذلك استدعي الأمير أشرف من أفغانستان، وأسند إليه ولاية العهد، ثم رفع إلى العرش. ولكن الشاه أشرف واجه أيضاً القوى ذاتها التي كانت تواجه سلفه الشاه محمود، فاحتج على العثمانيين لعقدهم معاهدة مع دولة مسيحية هي روسيا القيصرية، وطالبهم بالوقوف إلى جانب المسلمين، وأرسل إلى بغداد كبار علماء الأفغان السنة

للإجتماع بوالي بغداد أحمد باشا وبعدد من كبار علماء العراق، للوصول إلى فتوى بعدم جواز مقاتلة المسلم للمسلم. غير أن هذه الإجتماعات لم تسفر عن نتائج تذكر، بل دارت الحرب فيما بعد بين الأفغانيين والعثمانيين، وفيها أحرز «أشرف» إنتصاراً ساحقاً على قوات أحمد باشا. غير أن المعاملة الطيبة التي لقيها أسرى القوات العثمانية قرّبت بين السلطان العثماني وبين الشاه أشرف، بالإضافة إلى تزايد خطر الطامع بالعرش «طهمسب ميرزا» الذي بدأ يتعاون مع نادرخان (نادر شاه فيما بعد).

كل ذلك أدى إلى مفاوضات للصلح بين أشرف والعثمانيين، إتفق الطرفان على عقد معاهدة في (١١٤٠هـ - ١٧٢٧م) قضت بأن يعمل العثمانيون على حماية قوافل الحجاج إلى العتبات المقدسة في العراق والحجاز، وعدم قبول المجرمين أو الفارين من دولة لأخرى، واعترف أشرف بأن السلطان العثماني هو خليفة للمسلمين، كما اعترف السلطان بأشرف شاهاً على فارس.

وهكذا ظلت فارس منقسمة بين القوى التالية:

- الشاه أشرف.
- السلطان العثماني.
- القيصرة الروسية.
- طهمسب.

واستمرت كذلك إلى أن برز القائد نادرخان (نادرشاه - طهمسب قولي خان) - وهو في الأصل من منطقة محمد أباد، إستطاع البروز في الميادين العسكرية، ما لبث أن

أصبح قائداً كبيراً - فاستطاع القضاء على منافسيه، وولى طهمسب شاهاً على فارس، ثم ما لبث أن قوي وقضى على الجيش الأفغاني، ولم يلبث الشاه أشرف إلا أن سقط صريعاً وأرسلت رأسه إلى الشاه طهمسب (١١٤٢هـ - ١٧٣٠م). وبعد تواصل انتصارات نادرشاه عمل ضد الشاه طهمسب نفسه، فزحف إلى أصفهان، وقبض على الشاه ورفع ابنه الطفل إلى العرش، وفرض نادر نفسه وصياً على الشاه الطفل (١١٤٥هـ - ١٧٣٢م). وبذلك انتهى الحكم الأفغاني في فارس، ولكن لم يكن يعني ذلك انتهاء العلاقات الأفغانية - الفارسية. إذ أن نادر شاه إحتج ضد شاه الهند محمد شاه لسماحه للاجئين الأفغان بالوصول إلى الهند، وأرسل محذراً من خطورة قضية اللاجئين الأفغان في الهند على مستقبل العلاقات الفارسية - الهندية. ولكن حكومة الشاه محمد لم تهتم بالتهديدات، فكان أن قامت القوات اللاجئة الأفغانية بعبور الحدود إلى كابول وغزنة في حرية تامة، الأمر الذي أدى فيما بعد إلى توجه نادر شاه لاحتلال الهند والأنقضاض على كابول وبيشاور واستولى على دلهي، غير أنه لم يعلن نفسه شاهاً على الهند، بل وضع يده على ولايات شمالي السند (١١٥١ - ١١٥٢هـ، ١٧٣٩م)، ثم ما لبث أن عاد إلى فارس. وبذلك انتهت حقبة هامة من حقب التاريخ المشترك الأفغاني - الفارسي، وحقبة من حقب سيطرة أفغانستان على فارس.

بعد ذلك توالى على حكم أفغانستان بعض القيادات، حكمت بشكل مستقل أو شبه مستقل نتيجة التدخلات الخارجية وهي :

* أحمد خان: ١١٦٠ - ١١٨٧هـ، ١٧٤٧ - ١٧٧٣م.

* تيمور شاه: ١١٨٧ - ١٢٠٧هـ، ١٧٧٣ - ١٧٩٣م.

* زمان شاه: ١٢٠٧ - ١٢١٥هـ، ١٧٩٣ - ١٨٠١م.

* شاه محمود بن تيمور: ١٢١٦ - ١٢١٨هـ، ١٨٠١ - ١٨٠٣م.

* شجاع الملك: ١٢١٨ - ١٢٢٤هـ، ١٨٠٣ - ١٨٠٩م.

* شاه محمود بن تيمور (للمرة الثانية): ١٢٢٤ - ١٢٤٥هـ، ١٨٠٩ - ١٨٢٩م.

* شجاع الملك (للمرة الثانية): * قتل ١٢٥٨هـ، * قتل ١٨٤٢م.

* دوست محمد: ١٢٥٨ - ١٢٨٠هـ، ١٨٤٢ - ١٨٦٣م.

* شير علي: ١٢٨٠ - ١٢٩٦هـ، ١٨٦٣ - ١٨٧٩م.

* يعقوب خان: ١٢٩٦ - ١٢٩٧هـ، ١٨٧٩ - ١٨٨٠م.

* عبد الرحمن خان: ١٢٩٧ - ١٣١٩هـ، ١٨٨٠ - ١٩٠١م.

* حبيب الله خان: ١٣١٩ - ١٣٣٧هـ، ١٩٠١ - ١٩١٩م.

* أمان الله خان: ١٣٣٧ - ١٣٤٨هـ، ١٩١٩ - ١٩٢٩م.

* باتشه سقا: ١٣٤٨ - ١٣٤٨هـ، ١٩٢٩ - ١٩٢٩م (تسعة أشهر).

* نادر خان: ١٣٤٨ - ١٣٥٢هـ، ١٩٢٩ - ١٩٣٣م.

* محمد ظاهر شاه: ١٣٥٢ - ١٣٩١هـ، ١٩٣٣ - ١٩٧٣.

* إنقلاب الجنرال محمد داوود عام ١٩٥٣ ضد حكومة شاه محمود.

* الإنقلاب الثاني للجنرال محمد داوود عام ١٩٧٣ ضد الملك محمد ظاهر شاه وإعلان الجمهورية.

* إنقلاب نور محمد تراقي عام ١٩٧٨ ضد الرئيس محمد داوود وتوليه رئاسة الدولة.

* إنقلاب حفيظ الله أمين في ١٦ أيلول (سبتمبر) عام ١٩٧٩ ضد الرئيس نور محمد تراقي الذي قتل، وتوليه رئاسة الدولة.

* إنقلاب ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ ضد حفيظ الله أمين ومقتله، وتعيين بابراك كارمل زعيم حزب بوتشام الشيوعي رئيساً للدولة، والذي طلب في حينه تدخل الجيش الروسي[1].

وبعد تولي نجيب الله الحكم لم تهدأ الأحوال السياسية والعسكرية، ولا تزال أفغانستان تعاني من الانقسامات الداخلية.

---

(١) انظر: محمود شاكر: أفغانستان، ص ١٠٣.

## العلاقات الأفغانية - البريطانية

إن الأطماع البريطانية التاريخية بشبه القارة الهندية وبمناطق أخرى في العالم، وبسبب المنازعات والعصبيات المستمرة في أفغانستان، وبسبب موقعها الاستراتيجي المميز؛ كل ذلك دعت أنظار الإنجليز تتجه نحو أفغانستان من خلال الهند. وكانت أفغانستان قد شكلت في بعض مراحل تاريخها تهديداً لملوك الهند، فقد حدث أن حاول حاكم أفغانستان «زمان شاه» (١٧٩٣ - ١٨٠١) غزو الهند، وتظاهر بمظهر المدافع عن الإسلام ضد السيخ، مما أدى إلى مواجهة الإنجليز لمطامعه، وهم الذين كان نفوذهم يقوى باستمرار في الهند، حتى باتوا القوة الفاعلة في شمال البلاد. وقام الإنجليز في الوقت نفسه بتحريض شاه فارس لمناوأة أفغانستان لتوقف تهديدها ضد الهند. وبالفعل فقد عاد «زمان شاه» من الهند ليواجه القوات الفارسية. كما أن بريطانيا كانت تتدخل أحياناً في شؤون أفغانستان بطلب من زعمائها للوقوف مع زعيم ضد آخر، على غرار ما فعل «شجاع الملك» الذي طلب المساعدة البريطانية ضد منافسة أسرة جديدة تزعمها «محمد زائي» وهي المعروفة باسم «البيت الباركزائي».

والحقيقة فقد شعر الإنجليز بتزايد القوة الأفغانية في عهد الأسرة الباركزائية، ورأوا أن ذلك يشكل خطراً على وجودهم في الهند، فبدأت إنجلترا باتباع كافة الأساليب لإضعاف أفغانستان بتدبير الفتن والحروب الداخلية، ففي كانون الأول (ديسمبر) ١٨٣٨ قام جيش إنجليزي بغزو أفغانستان، وتمكن من

احتلال «قندهار» و«كابل» و«غزنة» وعمد الإنجليز إلى تنصيب «الشاه شجاع» في كابل. غير أن الشعب الأفغاني رفض هذا التدخل الإنجليزي، وبدأ يقاوم وشاركه في المقاومة «الشاه دوست محمد». وحدثت معركة أخرى بين الأفغان والإنجليز في «براون» عام ١٨٤٠، وقد انتصر فيها الأفغان، واضطر الإنجليز إلى الإنسحاب من أفغانستان عام ١٨٤١.

إن المعارك التي خاضها الإنجليز ضد الأفغان، أدت إلى خسائر كبيرة بالإنجليز لا سيما في الفترة الممتدة بين أعوام ١٨٣٨ - ١٨٤٢. وقد خسرت بريطانيا جيشاً كاملاً عندما انقض محمد زائي على الجيش البريطاني المنسحب عند حدود البلاد. وبالرغم من عقد الصلح بين بريطانيا والأفغان، غير أن بريطانيا نقضت الصلح، ودخلت مدينة قندهار عام (١٢٧٢هـ - ١٨٥٥م) ومدينة هراة عام (١٢٨٠هـ - ١٨٦٣م). وفي الوقت نفسه كانت روسيا قد نالت جزءاً من خراسان عام (١٢٩٠هـ - ١٨٧٣م)، وعقدت إتفاقية مع الإنجليز لجعل نهر جيحون حداً للتوسع الروسي. وهذا ما جعل بدوره النفوذ الإنجليزي يتوسع مما حدا بالسيد «شير علي بن محمد زائي» إلى طلب المساعدة الروسية، غير أن الروس كانوا بدورهم قد أحكموا سيطرتهم على تركستان الغربية كلها. ونتيجة للصراع الإنجليزي - الروسي على أفغانستان، فقد اندلعت حرب بين (١٢٩٥ - ١٢٩٦هـ، ١٨٧٨ - ١٨٧٩م) بين الأفغان والإنجليز، الذين تمكنت قواتهم من احتلال كابل وجلال أباد وقندهار وبعض الأماكن الاستراتيجية.

إن سياسة القضم والهضم التي كانت تتبعها بريطانيا في أفغانستان، قد نجحت في توطيد نفوذها السياسي والعسكري على السواء في المنطقة، بدليل أنه عندما تولى الحكم يعقوب خان (١٨٧٩ - ١٨٨٠) بادر على الفور إلى التوقيع على معاهدة مع بريطانيا في ٢٦ أيار (مايو) ١٨٧٩، تنازل بموجبها عن بعض الأراضي بالقرب من ممر «بولان» و«وادي كرم» كما وافق على إشراف بريطانيا على السياسة الخارجية لأفغانستان، واستقبال بعثة دبلوماسية دائمة في كابل. ولكن بعد أشهر قليلة قام الأفغانيون بقتل أعضاء البعثة البريطانية، فأرسلت إنجلترا على الفور قوات أخرى احتلت كابل وأجبرت يعقوب خان على التنازل عن العرش في العام نفسه، ونفته إلى الهند.

بقي الإنجليز في كابل حتى ظهر في أفغانستان الأمير عبد الرحمن خان (١٨٨٠ - ١٩٠١) حفيد دوست محمد، فاعترفت بريطانيا بإمارته على كابل ووعدته على ألا تطلب إدخال بعثات بريطانية إلى أية منطقة في أفغانستان ولما بدأت الحامية البريطانية بالإنسحاب من كابل، وصلت الأخبار من أن «أيوب خان» شقيق «يعقوب خان» قد أباد حامية بريطانية قرب قندهار، مما دعا الإنجليز للتوجه نحو قندهار، فهزموا أيوب خان وبعد تحقيقهم هذا النصر إنسحبوا من أفغانستان.

لقد حاول الأمير عبد الرحمن خان إقامة حكم مركزي قوي، ولكن تداخل السياسات المحلية والإقليمية والدولية، كان يمنعه من تحقيق أهدافه. ففي عام ١٨٨٧ وقعت بريطانيا مع روسيا بروتوكولاً

تحدد فيها الحدود الفاصلة بين روسيا وأفغانستان. وفي عام ١٨٨٨ تم الإتفاق على الحدود بين إيران وأفغانستان. وفي عام ١٨٩٣ إجتمع الإنجليز مع الأمير عبد الرحمن لتحديد الحدود الشرقية والجنوبية التي تفصل بين أفغانستان والهند.

وفي عهد الأمير حبيب الله خان (١٩٠١ - ١٩١٩) عقدت معاهدة بين الروس والبريطانيين تضمنت على ألا تعمل أية دولة منهما على ضم أراضي أفغانستان أو تتدخل في شؤونها الداخلية. والأمر الملاحظ أن حبيب الله خان إتخذ موقف الحياد في فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) في الصراع الدائر بين دول الحلفاء ودول المحور. وإن كانت أفغانستان تتعاطف دينياً مع الدولة العثمانية.

ولما تولى الحكم في أفغانستان «أمان الله خان» (١٩١٩ - ١٩٢٩) بعد مقتل أبيه حبيب الله خان، تباحث مع الإنجليز وأرسل إلى نائب الملك في الهند يبلغه بالإستقلال التام لأفغانستان. وقد أجابت حكومة الهند البريطانية بضرورة استمرار العلاقات والصلات بين الحكومتين، وقد فسر هذا الرد بأنه رفض بريطاني لاستقلال أفغانستان، الأمر الذي أسفر عن حدوث نزاع مسلح بين الإنجليز والأفغان في ٦ أيار (مايو) ١٩١٩، وتمكنت القوات الأفغانية بقيادة السردار محمد نادر خان من إلحاق الهزيمة بالقوات الإنجليزية، واضطرت إنجلترا للدخول في مفاوضات مع أفغانستان، واعترفت في إتفاقية «روالبندي» في باكستان باستقلال أفغانستان التام. وبذلك حقق أمان الله خان للشعب الأفغاني حلمه

بالاستقلال الناجز. غير أن نهاية أمان الله خان لم تكن مشرفة بسبب ممارساته الشخصية ومحاولاته تغريب وأوربة أفغانستان وسلخها عن محيطها الإسلامي. وكانت إنجلترا تعمل جاهدة للإنتقام منه، فنشرت صوره وصور نسائه وهن سافرات مما أثار ضده رجال الدين والعلماء وحتى بعض السياسيين.

واستمرت العلاقات البريطانية ـ الأفغانية بين مد وجزر إلى بداية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) حيث رفضت أفغانستان الإنحياز إلى أي من المعسكرين المتحاربين (الحلفاء أو المحور)، وهذا وبعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ النفوذ البريطاني يتلاشى ويتضاءل في المنطقة حيث نالت الهند استقلالها وانقسمت عنها باكستان فنالت استقلالها عام ١٩٤٧. كما أن أفغانستان المستقلة منذ عام ١٩١٩ إنضمت إلى هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٦.

## العلاقات الأفغانية ـ الروسية

إن العلاقات الأفغانية ـ الروسية هي علاقات قديمة، وهي جزء من العلاقات الفارسية ـ الروسية ومن العلاقات البريطانية ـ الروسية، فالتداخل في السياسة المحلية والإقليمية والدولية، جعلت تلك العلاقات الأفغانية ـ الروسية علاقات قديمة، وهي كانت مرات علاقات مباشرة ومرات أخرى علاقات غير مباشرة، وتبعاً لتبعية بعض المناطق الأفغانية لفارس، أو لاستقلالها عن أي من الدول.

ففي التاريخ الحديث كانت مدينة «قندهار» الأفغانية في فترة من الفترات تابعة لإيران، غير أنهم أسندوا حكمها إلى أمير جورجيا «جوركين» الذي كان بدوره تابعاً للشاه، فعامل المدينة معاملة قاسية ودمر قسماً منها واضطهد أهلها. فما كان من الأهالي إلا أن بدأوا بالتصدي لأمير جورجيا بقيادة قائد من «قندهار» هو «ميرويس» الذي تميز بالذكاء والدهاء والجرأة، فاجتمع ببعثة أرسلها القيصر الروسي بطرس الأكبر، واستطاع من خلال ذلك إقامة علاقات ودية مع أعضاء البعثة، واستطاع بمهارته إبعاد جوركين عن حكم قندهار، وأن يحل محله وذلك عام (١١٢٠هـ - ١٧٠٨م).

وبسبب الصراع الأفغاني - الإنجليزي، كان الروس يحاولون في بعض الأحيان التقرب من الأفغان لمناوئة الإنجليز، ففي عهد الأمير شير علي (١٨٦٣ - ١٨٧٩) جرت إتصالات بين الروس والأفغان، ووصلت في عهده بعثة روسية إلى كابل للتشاور في كيفية تنسيق المواقف ضد الإنجليز، الذين ردوا على ذلك باحتلال كابل وجلال أباد وقندهار وسواها.

وفي عام ١٨٨٧ وقعت بريطانيا وروسيا بروتوكولاً يختص بأفغانستان، تم بموجبه تحديد الحدود الفاصلة بين روسيا القيصرية وأفغانستان. وفي عهد الأمير حبيب الله خان (١٩٠١ - ١٩١٩) عقدت معاهدة بين روسيا وبريطانيا اتفقتا فيها على ألا تعمل أية دولة منهما على ضم أراضي أفغانستان أو أن تتدخل في شؤونها الداخلية.

وبعد قيام الثورة البلشفية الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧،

عمل الروس على توطيد علاقاتهم بأفغانستان لضمان سلامة الحدود بين الجانبين. ثم وقّع الطرفان عام ١٩٢١ معاهدة صداقة، كان من بنودها إعتراف روسيا باستقلال «بخارى» غير أن الروس عادوا عام ١٩٢٣ وأعادوا احتلالها.

ولما اندلعت الثورة أواخر عام ١٩٢٨ في أفغانستان ضد أمان الله خان، تولى الحكم مكانه «باتشه سقا» (١٩٢٩) ولقب نفسه بالملك «حبيب الله غازي» وكان وصوله للحكم بمعاونة الإتحاد السوفيتي في عهد ستالين. وقد وقعت أفغانستان مع الإتحاد السوفيتي معاهدة أخرى عام ١٩٣١، هي معاهدة تعاون وصداقة. وفي عهد محمد ظاهر شاه (١٩٣٣ ـ ١٩٧٣) دخلت أفغانستان في مفاوضات مع الإتحاد السوفيتي، وعقدت معه إتفاقية تجارية في عام ١٩٣٦. وبعد استقرار الأوضاع في الإتحاد السوفيتي بعد أحداث الثورة، تبيّن له أنه هو القادر على منافسة الوجود البريطاني في أفغانستان والمنطقة.

وبدأت بوادر الشيوعية تظهر في أفغانستان بشكل منظم، فسعت إلى تأسيس حزب شيوعي في البلاد، حمل إسم «الحزب الديمقراطي في أفغانستان» وذلك في عام ١٩٣٢، غير أن نفوذه والمنضوين تحت لوائه كانوا أقلية تبعاً لواقع البلاد الإسلامي. ولما نشبت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) حرصت أفغانستان على الوقوف موقف الحياد، ومما ساعدها على ذلك أن الإتحاد السوفيتي وبريطانيا كانتا معاً في عداد دول الحلفاء ضد ألمانيا ودول المحور الأخرى إيطاليا واليابان.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، لجأت حكومة أفغانستان إلى الإتحاد السوفيتي لمساعدتها في مختلف المجالات لا سيما المجالات الاقتصادية والتنموية والعسكرية. وفي عام ١٩٥٠ وقعت أفغانستان إتفاقية تجارية مع الإتحاد السوفيتي، وكانت كلما مرت الأعوام ازداد اعتماد الأفغان على السوفيت، بما فيه الخبراء، فقد أخذ السوفيت على عاتقهم مسؤولية التنقيب عن النفط في شمال أفغانستان.

وفي أيلول (سبتمبر) عام ١٩٥٣ عندما وصل الجنرال محمد داوود إلى السلطة بانقلاب ضد رئيس الحكومة، طالب الإتحاد السوفيتي بمساعدات اقتصادية وعسكرية كبيرة. وتوالت الإتفاقيات مع السوفيت، ووقعت حكومة أفغانستان عام ١٩٥٦ إتفاقاً تشتري أفغانستان بموجبه معدات عسكرية من الروس بنحو ٢٥ مليون دولاراً. ومنذ أن آل الوضع في الإتحاد السوفيتي إلى الزعيم «خروتشوف» بدأ نوع من التعاون الودي بين الدولتين، وقدمت المساعدات الروسية والصينية على السواء لأفغانستان في الميادين الاقتصادية والإعمارية والعسكرية. وفي عام ١٩٥٨ تم التوقيع على إتفاقية جديدة للحدود بين أفغانستان والإتحاد السوفيتي. وقد ساعد السوفيت أفغانستان في بناء وتوسيع المؤسسة العسكرية وتدريب أفراد الجيش الأفغاني على أساليب القتال وعلى كيفية استخدام الأسلحة الروسية.

وفي الوقت الذي كانت فيه أفغانستان تقوى عسكرياً بواسطة السلاح والعتاد السوفيتي، كانت السياسة السوفيتية تقوى بالمقابل

في داخل أفغانستان نتيجة لمساعداتها ولوجوها العملي على الأرض. فبدأت القوى الشيوعية تظهر وتقوى في أفغانستان وكثرت الأحزاب الشيوعية واليسارية، وباتت قوة سياسية واضحة ليست على مستوى الفئات الشعبية، ولكن على مستوى الفئات العسكرية وبعض الفئات المثقفة. وقد صدرت أول صحيفة يسارية في أفغانستان في ١١ نيسان (أبريل) ١٩٦٦، أصدرها «نور محمد تراقي» رئيس منظمة خلق «الشعب» غير أنها ما لبثت أن أوقفت بسرعة في ٢٣ أيار (مايو) ١٩٦٦.

وكانت المساعدات السوفيتية لأفغانستان قد هيأت تربة خصبة لتزايد النفوذ السوفيتي فيها، ففي الخطة الخمسية ١٩٦٢ - ١٩٦٧ تلقت أفغانستان من الإتحاد السوفيتي (٦٣٢) مليون دولاراً، وهذا المبلغ يشكل ٦٥٪ من مجموع المساعدات التي تدفقت على البلاد، بينما شكلت المساعدات الأميركية ٢٣٪ فحسب من تلك المساعدات. فوجود النفوذ السوفيتي وتزايد قوته بات أمراً واضحاً ومنطقياً أمام هذه المقارنة السريعة. وفي عام ١٩٦٥ وقّعت أفغانستان مع الصين إتفاقية مدتها عشرة أعوام نالت بموجبها (٢٨٠) مليون دولاراً والحقيقة فإن المساعدات والديون السوفيتية لأفغانستان كانت تزداد تباعاً حتى بلغت عام ١٩٧٨ نحو (١٣٠٠) مليون دولاراً. وازداد النفوذ السوفيتي في أفغانستان بعد انقلاب وقع ضد حكومة محمد داوود في ٢٧ نيسان (أبريل) ١٩٧٨. وقد قامت بالإنقلاب جماعتان سياسيتان ماركسيتان هما: «جماعة خلق» (الشعب) بقيادة نور محمد تراقي وحفيظ الله أمين، وجماعة «بارتشام» (الراية) بقيادة بابراك كارمل. وتزعم الدولة نور محمد تراقي واتخذ حفيظ الله أمين رئيساً للحكومة.

وفي عهد الرئيس نور محمد تراقي ازداد النفوذ السوفيتي في أفغانستان، بسبب كثرة القروض والمساعدات الروسية، وأخذ عدد المستشارين العسكريين السوفيت في أفغانستان يتضاعف، وساعد هؤلاء المستشارون والخبراء على إدارة وزارة الدفاع وتدريب قوات الجيش الأفغاني. غير أن ذلك لم يمنع من الإنقسامات بين الشيوعيين الأفغان أنفسهم لا سيما أركان السلطة، فقد بدأت المنازعات بين جماعة «خلق» وجماعة «بارتشام» ووصل الأمر إلى إقصاء بابراك كارمل وإبعاده وتعيينه سفيراً لأفغانستان في تشيكوسلوفاكيا، ولكن كارمل استمر من بعيد يعمل ضد نور محمد تراقي لإعداد العدة لخلعه عن سدة الرئاسة. وأمام هذه الأخطار والإنقسامات وتخوفاً من الحركة الإسلامية المتصاعدة، قرر «نظام خلق» الإنحياز إلى السوفيت بشكل واضح وأوثق، ففي ٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨ وقّعت معاهدة صداقة في موسكو بين الجانبين، وقد وقّع عن الإتحاد السوفيتي ليونيد بريجينيف ووقع عن أفغانستان محمد تراقي، ومما جاء في بعض حيثياتها وبنودها «إن اتحاد الجمهوريات السوفيتية الإشتراكية وجمهورية أفغانستان الديمقراطية، إذ يعيدان تأكيد التزامهما بمقاصد ومبادىء المعاهدتين السوفياتيين - الأفغانيين لعامي ١٩٢١ و١٩٣١ اللتين وضعتا الأساس لعلاقات صداقة وحسن جوار بين الشعبين السوفيتي والأفغاني، واللتين تلبيان مصالحهما الوطنية الأساسية. وإذ يرغبان... سيعزز الفريقان المتعاقدان الساميان تنمية التعاون وتبادل الخبرة في حقول: العلم، والثقافة والفن، والأدب، والتعليم، والخدمات الصحية، والصحافة، والراديو، والتلفزيون،

والسينما، والسياحة والرياضة والحقول الأخرى. وسيسهل الجانبان توسيع التعاون بين أجهزة سلطة الدولة والمنظمات العامة، والهيئات التجارية والمؤسسات الثقافية والعلمية، بغية التعرف بصورة أعمق على حياة شعبي البلدين وخبرتهما في العمل وإنجازاتهما... ويتشاور الفريقان المتعاقدان الساميان مع بعضهما حول جميع القضايا الدولية الكبرى التي تؤثر على مصالح البلدين...».

في هذه الأثناء كانت الأوضاع الداخلية في أفغانستان غير مستقرة، وبدت ملامح حركة المعارضة الإسلامية، ثم حدثت خلافات بين محمد نور تراقي وحفيظ الله أمين. وفي أيلول (سبتمبر) ١٩٧٩ قام تراقي بزيارة موسكو وذكر بأنه تباحث مع الروس بتطعيم الحكومة بعناصر جديدة أو استبدال رئيس الوزراء، ولكن أمين رفض هذه التوجهات، وقاد في ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٩ حركة إنقلاب ضد تراقي الذي قتل في قصر الشعب، ثم عيّن أمين نفسه رئيساً للدولة، ولم يعلن عن مصرع تراقي إلا في ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٩، غير أن حفيظ الله أمين نفسه قتل نتيجة لحركة إنقلابية قامت ضده في ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ بقيادة بابراك كارمل.

ولا بد من ربط الأحداث الإقليمية والدولية بعضها بالبعض الآخر، إذ أن التطورات السياسية التي كانت قائمة في إيران وتحركات الثورة الإسلامية بقيادة الإمام آية الله الخميني وانتصارها، أعطى دفعاً للحركة الإسلامية في أفغانستان، وأثار ذلك مخاوف القوى الدولية وفي مقدمتها الإتحاد السوفيتي من أن يمتد أثر تلك

الثورة إلى أفغانستان مما يؤثر على أوضاع السوفيت في المنطقة، لذا سارع السوفيت إلى إرسال فرق كثيرة من الجيش السوفيتي إبتداء من عام ١٩٧٩ إلى أفغانستان واستمرت هذه السياسة لسنين طويلة امتدت لعشر سنوات (١٩٧٩ - ١٩٨٩). ونقل السوفيت في ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ طلائع القوات السوفيتية إلى أفغانستان وإقامة جسر جوي سوفيتي ضخم، وتم نقل آلاف من الجنود وتم توزيعها في «كابل» وفي قاعدة «باجرام» الجوية القريبة من كابل.

في ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ قامت فرق أفغانية مدعومة من السوفيت بانقلاب ضد حفيظ الله أمين الذي قتل أثناء المعارك التي دارت حول القصر الجمهوري. وقد اتهم بأنه عميل أميركي. في الوقت نفسه استدعي بابراك كارمل من تشكوسلوفاكيا وتم تعيينه رئيساً للدولة. وفي ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٩ سيطرت القوات السوفيتية المنقولة جواً سيطرة تامة على كابل. وصرحت حكومة «بابراك كارمل» بأن أفغانستان قدمت طلباً مستعجلاً لموسكو بشأن المعونة العسكرية العاجلة بمقتضى معاهدة الصداقة الموقعة في ٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٨، وإن هذه المساعدة ستتوقف تلقائياً منذ اللحظة التي تتوقف فيها التدخلات الأميركية.

وكان للتدخل السوفيتي السريع في أفغانستان ردود فعل محلية وإقليمية ودولية، وانتقلت المسألة الأفغانية من مرحلة إلى مرحلة، وباتت قضية دولية، واتخذت وجوهاً من الصراع الأميركي - السوفيتي، ومن الصراع الهندي - الباكستاني، مع تداخل إيراني في هذه المعضلة، ومع تداخل عربي أيضاً.

## الحركة الإسلامية وحركة المعارضة في أفغانستان(1)

تعتبر أفغانستان من البلدان الإسلامية المحافظة إلى حد كبير على تراثها وعراقتها وتقاليدها. ولدى الشعب الأفغاني في الوقت نفسه استعداد للتطور والرقي والنماء. فالجذور التاريخية للحركة الإسلامية قديمة جداً في أفغانستان، أما فيما يختص بتنظيمها ووضع هيكلية سياسية لها فإنها تبدأ مع مطلع القرن العشرين عندما قامت مجموعة من الشباب بالدعوة لتنظيم أوضاع المسلمين السياسية في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية. وبدأت تنشط هذه المجموعات مع تزايد نفوذ الحركات غير الإسلامية والحركات المتأوربة والغربية.

في عام ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧ تعاون الشباب المسلم الأفغاني مع العلماء المسلمين الأفغان، وشكّلوا حركة إسلامية أساسها الدين الإسلامي وقواعدها التربية والتعليم الإسلاميين، ومكافحة القوى الأجنبية في الشرق والغرب. وكان من قادة هذه الحركة العلماء: محمد يونس خالص، الملا بن وزير، عبد الرزاق باريس، وخدايا نورا، وكان هؤلاء يتعاونون مع منهاج الدين جاهز مدير تحرير صحيفة «الفجر» الأسبوعية التي تصدر في كابل. وكثيراً ما جرت مواجهات بين الحركة الإسلامية وبين الحركات اليسارية على غرار ما وقع من مواجهة عنيفة في عام ١٣٩٠هـ ـ ٣٠ حزيران (يونيه) ١٩٧٠، وعلى غرار حادث اغتيال منهاج الدين جاهز وابنه

(١) أنظر: جمال الدين الأفغاني: تتمة البيان في تاريخ الأفغان، فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، محمود شاكر: أفغانستان، د. عبد الله عزام: آيات الرحمن في جهاد الأفغان.

في عام ١٣٩٢هـ ـ ٨ اب (أغسطس) ١٩٧٢. وفي عام ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م جرت انتخابات مجلس طلبة الجامعة في كابل، فاستطاع المسلمون الحصول على (٤٤) مقعداً من أصل (٥٤) مقعداً. وهذه النتيجة أثارت الحساسيات بين مختلف التيارات الطلابية في الجامعة، كما أسفر عن توحيد الطلبة المسلمين لجهودهم مع بقية الحركات الإسلامية الممثلة بالجمعيات والتجمعات التالية:

- جمعية العلماء المحمدية.
- جمعية خدام الفرقان.
- تجمع الشباب المسلم في جامعة كابل.

واستمرت المواجهات الإسلامية ـ اليسارية بأسلوب أو بآخر، ومرة عن طريق الحكومات ومرات عن طريق الحركات، ففي ١٥ جمادي الأولى ١٣٧٨هـ ـ ٢٦ نيسان (أبريل) ١٩٧٨ قُتل أحد زعماء حزب برشام الشيوعي وهو «مير أكبر»، كما قُتِل وزير المشروعات أمام باب وزارته، وقُتِل في الوقت نفسه ضابط طيار أفغاني. وتبيّن بأن هذه الأحداث نتيجة خلافات يسارية ـ يسارية، وبالذات بين حزب «خلق» وحزب «برشام» فما كان من الحكومة إلا أن اعتقلت قياداتهم ومنها: محمد تراقي وحفيظ الله أمين وبابراك كارمل وأودعتهم السجن.

لم تنتظر القيادات المعارضة للحكومة كثيراً، إذ قام الجنرال الشيوعي عبد القادر بانقلاب ضد رئيس الجمهورية محمد داوود خان، وسلم السلطة إلى زعيم حزب «خلق» محمد تراقي الذي قام

بدوره بإبعاد العناصر الشيوعية المعارضة له وفي مقدمتهم زعيم حزب برشام بابراك كارمل - كما سبق وفصلنا -.

وأمام هذه التطورات الداخلية قامت الثورة في شرقي البلاد في مقاطعة «نورستان»، ونشطت المعارضة الإسلامية ضد حكومة حفيظ الله أمين، وبرز «الحزب الإسلامي» برئاسة غلب الله حكمتيار مع أحزاب وجمعيات إسلامية أخرى. ولما تولى رئاسة الجمهورية حفيظ الله أمين إستمرت المعارضة الإسلامية لحكمه وهكذا كان موقفها عندما تولى الحكم بابراك كارمل، وكانت الحركة الإسلامية بدأت تنشط منذ سنوات وتزداد في جمعياتها وحركاتها وقد تجمعت في اتحادين يحملان الإسم نفسه هو «الإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان» أحدهما يحمل الفكرة القومية والآخر يحمل الفكرة الإسلامية.

أما الإتجاه القومي فهو يضم ثلاث حركات هي[1]:

١ - حركة الثورة الإسلامية، ويتزعمها محمد بني محمدي.
٢ - الجبهة القومية الإسلامية أو (مجاهدي الثورة الإسلامية) ويتزعمها سيد أحمد جيلاني.
٣ - جبهة الإنقاذ القومي، ويتزعمها صبغة الله مجددي.

أما الإتجاه الإسلامي فيضم سبع جمعيات وحركات وهي:

١ - الجمعية الإسلامية الأفغانية (جمعية إسلامي أفغانستان)، ويتزعمها برهان الدين الرباني (ورد في بعض المصادر على أنه عبد اللطيف رباني) وهو أستاذ الشريعة في جامعة كابل.

---

(١) انظر: محمود شاكر: أفغانستان، ص ١٠٤.

٢ ـ الحزب الإسلامي، ورئيسه المهندس غلب الدين حكمتيار.
٣ ـ الحزب الإسلامي (حزب إسلامي)، ورئيسه محمد يونس خالص، وهو منشق عن حركة الثورة الإسلامية بزعامة محمد بني محمدي.
٤ ـ الحركة الإنقلابية الإسلامية الأفغانية (حركة إنقلابي إسلامي أفغانستان)، ورئيسها نصر الله منصور.
٥ ـ الحركة الإنقلابية (حركة إنقلابي)، ويتزعمها رفيع الله مؤذن.
٦ ـ حركة محمد مير.
٧ ـ منظمة محمد رسول السيّاف.

وهذا الإتجاه الإسلامي قد اتفق على زعامة محمد رسول السيّاف، غير أن الخلاف لا يزال قائماً بين أعضاء الإتحاد، وتقع معارك تصل إلى مرحلة الإقتتال أحياناً بين الحركات الداخلة فيه.

وأشارت بعض المصادر إلى وجود حركة هي «الجبهة الوطنية لتحرير أفغانستان»، برزت قيادات إسلامية كثيرة في ميدان الحركة الإسلامية تتمثل في:

* أحمد مسعود في وادي بنجير.
* ذبيح الله في مزار شريف.
* رحمة الله صافي وكان قائد القوات الخاصة في الجيش الأفغاني في أيام محمد ظاهر شاه، وسجن في أيام محمد داوود شاه، وهو من أمهر العسكريين الجنرالات في أفغانستان.

أما فيما يختص بمؤسس الحركة الإسلامية الأفغانية فهو البروفسور غلام محمد نيازي عميد كلية الشريعة، علماً أن البعض

يرى أن عبد الرحيم نيازي هو أحد مؤسسي الحركة الإسلامية الأفغانية وكان في بداية حياته طالباً في كلية الشريعة عند البروفسور غلام، وإنهما تعاونا معاً في السر والعلن[1].

ومهما يكن من أمر فقد وصلت القوات السوفيتية في أفغانستان في فترة من الفترات إلى أكثر من مائة وعشرين ألفاً من الجنود. والأمر الملاحظ أن القضية الأفغانية لم تعد قضية محلية بقدر ما باتت قضية دولية وإقليمية وإسلامية وعربية أيضاً.

ففي ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ طرحت القضية على مجلس الأمن الدولي واتخذ قراره المتضمن «يؤكد أن سيادة أفغانستان وسلامة أراضيها واستقلالها السياسي، ووضعها كدولة غير منحازة يجب أن تحترم احتراماً كاملاً. ويدعو إلى الانسحاب العاجل لجميع القوات الأجنبية من أفغانستان لتمكين شعبها من تقرير شكل الحكم الخاص به، واختيار أنظمته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وهو متحرر من التدخل أو الإكراه أو التقييدات الخارجية من أي نوع كان. . .» وقد وافق أعضاء مجلس الأمن على هذا القرار باستثناء الاتحاد السوفيتي الذي استخدم حق النقض (الفيتو).

وفي ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً أبدت فيه قلقها حيال التطورات في أفغانستان لما ترتبه على السلم والأمن الدوليين، كما أبدت قلقها على تزايد المهاجرين الأفغان خارج البلاد نتيجة الحرب، وشجبت الجمعية

(١) انظر: د. عبد الله عزام: آيات الرحمن في جهاد الأفغان، ص ٣٧، ٣٨.

العامة «التدخل المسلح الذي حدث مؤخراً في أفغانستان» وناشدت «جميع الدول أن تحترم سيادة أفغانستان وسلامتها الإقليمية واستقلالها السياسي، وطابع عدم الانحياز الذي تتصف به. . .» ودعت «إلى الانسحاب الفوري غير المشروط والكامل للقوات الأجنبية من أفغانستان من أجل تمكين شعبها من تقرير شكل حكمه. . .»[1].

والأمر الملاحظ أن صدور هذا القرار عبّر عن مدى الانقسام الدولي والعربي والإسلامي من قضية الوجود السوفيتي في أفغانستان. فقد صوّت إلى جانب القرار (١٠٤) دولة، وعارضته (١٨) دولة، وامتنعت عن التصويت (١٨) دولة، وتغيب عن الحضور (١٢) دولة. أما الدول العربية التي أيدته فهي (١٤) دولة فقط وهي: مصر، العراق، الأردن، الكويت، لبنان، المغرب، عمان، المملكة العربية السعودية، الصومال، البحرين، جيبوتي، قطر، تونس، ودولة الإمارات المتحدة.

وبين ٢٧ ـ ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ عقد المؤتمر الإسلامي لوزراء خارجية الدول الإسلامية مؤتمره في «إسلام أباد» في باكستان وأصدر قراره حول أفغانستان ومما جاء فيه «تمشياً مع مبادىء وأهداف منظمة المؤتمر الإسلامي وأحكام القرارات التي اتخذها مؤتمر القمة الإسلامي، وتأكيداً للأهداف المشتركة لشعوب الأمة الإسلامية ومصيرها المشترك. . . وإذ يشعر بقلق شديد من جراء التدخل السوفيتي المسلح في أفغانستان، وتأثير هذا التدخل على إرادة شعب أفغانستان المسلم في ممارسة حقه في تقرير

(١) انظر: فاروق حامد بدر: تاريخ أفغانستان، ص ١١٦ ـ ١١٩.

مستقبله السياسي . . . وإذ يعيد تأكيد تصميم الدول الإسلامية على اتباع سياسة غير منحازة بالنسبة إلى الدولتين العظيمتين، وحماية الشعب المسلم من التأثير السيء للحرب الباردة بين هاتين الدولتين . . . يطالب بالانسحاب العاجل وغير المشروط لجميع القوات السوڤيتية المتمركزة فوق أراض أفغانية . . . ».

ويبدو أن الوفاق الدولي لم يكن قد تم بعد بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوڤيتي في تلك الفترة التي كانت تشهد آخر أيام الرئيس الأميركي جيمي كارتر. كما أن السياسة السوڤيتية في عهد ليونيد بريجينيف لم تكن بدورها قد قررت الانسحاب من أفغانستان لأسباب إقليمية ودولية. لذلك استمر التوتر في أفغانستان والحرب الداخلية واستمرت عمليات المقاومة الإسلامية، وأعلن «ضياء خان ناصري» رئيس المجلس الثوري الإسلامي في أفغانستان عن قيام جمهورية إسلامية في ثلاث محافظات شرقي أفغانستان وهي: «باكتيا»، «غازي لوجاد»، و «باكثبتاني». وفي باكستان أعلن في «إسلام أباد» عن تشكيل تحالف إسلامي من ست حركات للثوار الأفغان برئاسة برهان الدين رباني من أجل تحرير البلاد، ودعا إلى الاعتراف بهذا التحالف بوصفه الممثل الشرعي الوحيد لشعب أفغانستان.

والحقيقة فإن الصراع داخل أفغانستان اتخذ طابع الصراع الأفغاني ـ الأفغاني، ثم طابع الصراع الأفغاني ـ السوڤيتي، ودخل الجنود السوڤيت كطرف أساسي في مواجهة المقاومة الأفغانية التي انتشرت في الهضاب والجبال والوديان. وقامت حركات فدائية أفغانية للانتقام من الموالين للسوڤيت، ففي ١٤ أيلول (سبتمبر)

١٩٨٠ أعلنت «الجبهة الوطنية الإسلامية لأفغانستان» عن مصرع «فايز محمد» وزير شؤون الحدود الأفغاني واثنين من كبار المسؤولين الأفغان، وذلك خلال هجوم شنه الثوار أثناء إلقائه خطاباً في اجتماع عام في «زدران» بإقليم «باكتيا».

وقد استمرت الثورة الأفغانية تعارض الحكم الأفغاني وتعارض الوجود العسكري السوڤيتي في أفغانستان إلى أن تم انسحاب الجيش السوڤيتي من أفغانستان ابتداءً من شباط ـ آذار (فبراير ـ مارس) ١٩٨٩ بتوجهيات من الرئيس السوڤيتي غورباتشيف في إطار توافق دولي أميركي ـ سوڤيتي على إنهاء بؤر التوتر في أفغانستان ومناطق عديدة في العالم. غير أن الأمر اللافت للنظر أنه في الوقت الذي خرج فيه الجيش السوڤيتي من أفغانستان، فإذا بقوى الثورة تستمر بخلافاتها وتناقضاتها، ولا تزال الأوضاع في البلاد غير مستقرة حتى اليوم.

وفي تطور جديد تبين بأن المجاهدين الأفغان قرروا المضي في العمل للإطاحة بالرئيس نجيب الله. وبالفعل ففي ١٦ نيسان (أبريل) ١٩٩٢ إضطر نجيب الله للاستقالة من الحكم ومن الحزب الحاكم «الوطن»، محاولاً في الوقت ذاته الفرار من كابول إلى خارج البلاد. وأفادت الأنباء عن انتحار وزير الداخلية الجنرال غلام فاروق يعقوبي الموالي للرئيس الأفغاني.

وكان المجاهدون الأفغان قد تقدموا نحو العاصمة كابول بقيادة الرائد الطاجيقي أحمد شاه مسعود. كما أكد ذلك محمد أيوب رئيس اللجنة العسكرية في حزب الجماعة الإسلامية. والتسوية المقترحة المستقبلية تكوين مجلس انتقالي يضم (١٥) عضواً من مختلف الأطراف لحكم أفغانستان إلى أن تتم تسوية الأمور السياسية في البلاد

مُدن
وشعوب اسلامية

# سلاسل سوفنير

شركة مشروعات

دار الراتب الجامعية - سوفنير

سجل تجاري ١٧٦٨١ : بيروت

الإدارة : بناية اسكندراني رقم (٣) الطابق (٢) مقابل مسجد الجامعة

المكتبة : بيروت - شارع سعيد حمد - تجاه جامعة بيروت العربية

ص. ب : ١٩٥٢٢٩ بيروت / لبنان

تلفون : ٣١٦٨٤٤ - ٣٢٢١٩١ - ٣١٥٩٤٣ - ص. ب - ١٩٥٢٢٩

تلكس RATEB 49957 LE

# مُدن وشعوب اسلامية

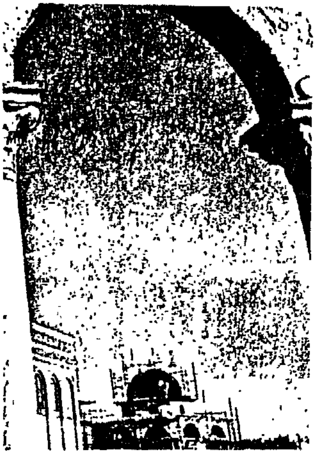
ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية

ـ التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري ـ

الدكتور حسّان حلاق

**3: الكتاب الثالث**

دار الراتب الجامعية ـ سوفنير



# زاهدان

زاهَدان عاصمة بلوشستان الإيرانية. ذلك أن بلاد بلوشستان مقسمة بين إيـران وباكستـان وأفغانستان. عدد سكانها حوالى (٥٠٠) ألف نسمة من أهل السنة. يحدها من الشمال الشرقي زابول عاصمة سجستان، ومن الجنوب خاش ومن الشمال كرمان ومن الشرق باكستان.

وتقدر مساحة بلوشستان الإيرانية بـ(١٥٥) ألف كيلو متر مربع. وتختلف بالتأكيد مساحة بلوشستان الباكستانية عن بلوشستان الأفغانية، كما يختلف عدد السكان في كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة.

وبشكل عام فإن مناخ بلوشستان أو (بلوجستان) قاس شديد الحرارة قارس البرد. وتسود الأقاليم في موسم البرودة عواصف ثلجية وبخاصة في الهضاب التي حول: كويته، قلات، مَكُران، وخاران. والمنطقة الصحراوية المتاخمة لسجستان معرضة لرياح الشمال الشديدة. أما الأمطار فقليلة في جميع الجهات. أما أنهار بلوشستان فهي صغيرة قليلة المياه لندرة سقوط الأمطار، منها: نهر كندر، زهوب، وهما فرعان من نهر كومل الذي يصب في السند. ومنها أنهار: ناري، بولان، ملاّ، هبّ، برالي، هنكل، دشت

مَكُران، ونهري ريش وايمني في بلوشستان الإيرانية.

والجزء الأكبر من سلاسل جبال بلوشستان عبارة عن صخور جرداء لا غابات فيها، غير أن بلوشستان الباكستانية يوجد فيها بعض الغابات القليلة الصغيرة، التي فيها أشجار الصنوبر والسنديان والزيتون البري والبطم والعرعر والدوح والصمغ العربي. ويكثر النخيل في مَكُران وسواها.

والحقيقة فإن بلوشستان الإيرانية هو إسم لإقليم واقع في شرقي إيران. يحده من الشمال إقليم سجستان، ومن الجنوب البحر العُماني، ومن الشرق باكستان، ومن الغرب مناطق جيرفت وبندر عباس. وتتكوّن بلوشستان الإيرانية من زاهدان، وسروان، وإيران شهر، وخاش، وجاه بهار. ولا يزيد سكان بلوشستان الإيرانية على مليونين وأكثرهم من قبائل البلوش.

وقبائل البلوش قبائل عربية الأصل، اعتنقت الإسلام منذ الفتوحات الإسلامية الأولى. ويذكر بأن البلوش عرب قحطانيون من أحفاد تلك القبائل العربية التي سكنت مَكُران وما جاورها وتدفقت عليها بهجرات متتابعة إلى كرمان ومَكُران والبنجاب، وتتخذ من هذه الأرض قواعد للجهاد والفتح. فمنذ بدأ الفتح الإسلامي للمنطقة وإلى أن حدث الهجوم المغولي وجموع العرب يتلو بعضها بعضاً تجول في مَكُران وتقيم وتجاهد وتنتشر من هناك في البنجاب والملتان وغيرهما. وبعد تفرق العرب في خراسان وفي أرض فارس استمرت الهجرات العربية إلى مكران من فارس وخراسان، وعن طريق الجوادر عبوراً من الساحل العُماني أيضاً.

وكانت مَكُران قد فتحت منذ خلافة الخليفة عمر بن الخطاب، وكان ذلك بعد فتح همدان، ودماوند، وفارس وخراسان. وعندما تمت هذه الانتصارات لم يبق يومذاك إلا الزحف على كرمان وسيستان ومكُران، لنشر الدعوة الإسلامية وبناء قواعد الجهاد والفتوح للوثوب على السند ورفع الراية الإسلامية في الهند. وكان عام ٢٣ للهجرة هو عِام الزحف على كرمان ومكران بقيادة الربيع بن زياد. ولما سقطت بقية المدن البلوشية، أصبحت قواعد إسلامية لنشر الإسلام وأسلمة المنطقة. وهذه الزحوف العربية الإسلامية التي استمرت في كل قرون الإسلام الأولى قد نشرت ألوف البطون ومئات القبائل العربية في مكران والسند. ويكفي الإشارة إلى القائد محمد بن القاسم الثقفي والقائد المهلّب بن أبي صفرة وجيوشهما الجرارة التي استوطن أكثرها في مكران والملتان. فلقد فتح ابن القاسم السند وقتل داهراً ملك السند وقتل دوهراً ملك الكرج. في بلوشستان أربع وأربعين قبيلة بلوشية اندمجت كلها في قبائل خمس وهي قبائل: الرند، اللاشاري، الكورائي، الهوت، الجتوئي. وقد سميت بأسمائها وتوزعت عليها. وقد حدث ذلك بعد وفاة الزعيم البلوشي جلال خان في العقد الأول من القرن الثامن الهجري. وهناك قبائل بلوشية أخرى نذكر منها على سبيل المثال: أولاد محمد، البليدي، بربلوچ، البلوص، بلوط، البراهـوئي، الجماليين، الديناري، الذكـري، الأحمدزائي، البكلزائي، الكهيري، الكَلَمتي، المِرّي، النمري، النمرود(*)

هذا وتعتبر مدينة زاهدان مدينة إسلامية حديثة نسبية، وهي

(*) للمـزيد من التفصيـلات عن القبائـل العربيـة البلوشية، انـظر: معن العجلي الحكّامي: بلوجستان ديار العرب.

بلوشية بعناصرها إسلامية بدينها. ويحافظ سكانها على لهجاتهم المحلية وعلى اللغة العربية. كما يحافظ سكانها البلوش على الإسلام بشكل واضح وجيد. وهم على مذهب الحنفية. وعلماؤهم من خريجي «معهد الديوبند» الإسلامي القائم في الهند. وهو يماثل الأزهر الشريف في مصر. وكان هذا المعهد. الفضل في إثارة المسلمين ضد الإنجليز وقبل عشر سنين(*) احتفل في الهند بذكرى مرور مائة عام على ولادة هذه المعهد والمناهج التعليمية في هذا المعهد الديني، تتبع مناهج المعاهد الدينية في باكستان وبلوشستان.

ويحتفل المسلمون البلوش في زاهدان بعيدين إسلاميين فحسب، هما عيد الفطر السعيد وعيد الأضحى المبارك. وعادتهم في الأعياد لبسهم الألبسة البيضاء الجديدة. ويؤدون صلواتهم خارج المدينة في الفضاء حسب السنّة النبوية. ومن عاداتهم أن يكبّروا في ذهابهم وإيابهم.

أما عن الزواج في زاهدان. فإن البلوش يحتفلون ثلاث ليال. وفي الليلة الثالثة تنشد الأشعار الدينية، ويدعى أهل المنطقة حيث يقدم لهم العشاء وهم جالسون على الأرض. ومن عادتهم أن يكون عقد القران وقراءة الفاتحة في الليلة الثالثة وقبيل الدخول إلى المنزل الزوجي، وغالباً يكون الإحتفال يوم الجمعة. ومن عاداتهم أن يقدم المدعوون هدايا هي بمثابة مساعدات مالية للعريس، حيث يؤمن في هذه الليلة كلفة الزواج برمتها. وهذه المساعدات والهدايا تكون عادةً مبادلات بين أهل المنطقة. أما المهر فعادةً يكون أرضاً ونقداً.

(*) أي عام ١٩٨١ م.

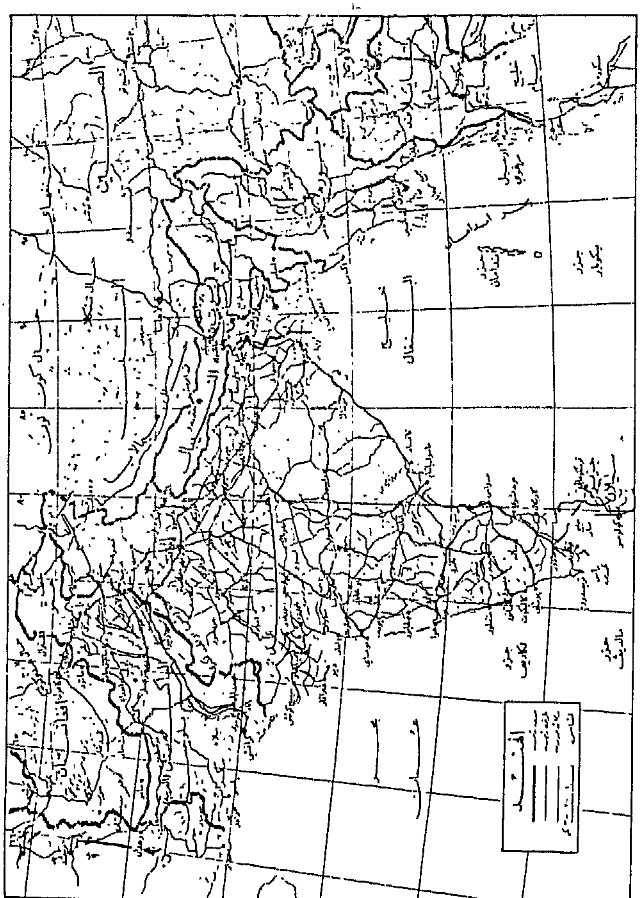
وفي زاهدان حوالى (٣٠٠) مسجداً أهمها: مسجد مكي، المسجد المدني، مسجد النور. ولم يكن في زاهدان هذا العدد الضخم من المساجد، غير أن الفضل يعود إلى تكاتف المسلمين وفي مقدمتهم الشيخ مولوي عبد العزيز بن مولوي عبد الله الذي شجع على بناء المساجد. وكان مولوي عبد العزيز نائب أهل السنة في البرلمان الإيراني عند كتابة الدستور منذ سنوات.

وفي زاهدان معاهد ومدارس دينية لتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والفقه والعقيدة الإسلامية. كما يوجد في زاهدان جامعة بلوشستان وهي المعروفة اليوم باسم جامعة سجستان وبلوشستان.

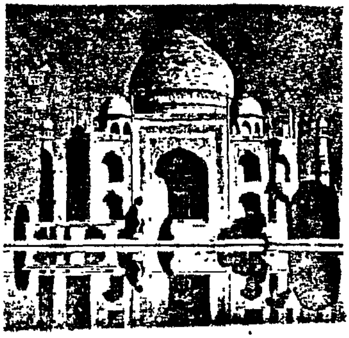
وفي زاهدان خاصة وبلوشستان عامة لا توجد طرق أو فرق صوفية لأن الناس هناك يتمسكون بمذهب أهل السنة. غير أن بلوشستان شهدت في فترة من فتراتها ولادة الفرقة الذكرية وهي فرقة تعتبر مرتدة لها عقائدها الخاصة، بل أنهم يحجون حجاً خاصاً إلى جبال بلوشستان. ولكن المسلمين في المنطقة استطاعوا إخراجها من بلوشستان الإيرانية في عهد رضاشاه بواسطة علماء المنطقة لا سيما مولوي عبد الله أحد كبار علماء بلوشستان الذي أفتى بالجهاد ضد هذه الفرقة وضد الإنجليز لتعاونهما معاً ضد المسلمين.

إن بلوشستان بشكل عام غنية بالذهب والفضة والحديد، وفيها نسج للألبسة والصوف وصناعة الجلود والأدوات النحاسية والمنزلية. ولكن المنطقة مؤهلة لأن تكون أكثر تطوراً وتقدماً. غير أن أكثر ما يميز البلوش حفاظهم الشديد على دينهم وعلى عقيدتهم الإسلامية واعتزازهم بجذورهم العربية.

# دلهي



# دلهي



دلهي عاصمة الهند السابقة في الفترة من عام ١٩١١ حتى بناء العاصمة الجديدة نيودلهي بالقرب منها عام ١٩٣٠. وهي اليوم قاعدة مقاطعة دلهي. عدد سكان دلهي أكثر من أربعة ملايين نسمة. بينما عدد سكان المسلمين في الهند يقارب ٧٥ مليون نسمة. وعدد سكانها الإجمالي حوالي ٥٥٠ مليون نسمة. مساحة الهند ٢٦٨,٨٣٩ كلم٢. يحدها من الغرب باكستان، ومن الشمال الصين ونيبال وبوتان، ومن الشرق بورما وبنغلادش.

والعلاقة بين المسلمين والهند علاقة قديمة تعود إلى عهد الرسول محمد ﷺ. غير أن التفكير في فتح الهند بدأ في عهد الخلفاء الراشدين، فوصلت طلائع المسلمين إلى مناطق «تانه» و«بروش» على الساحل الغربي في الهند. وظل القادة المسلمون في محاولاتهم العسكرية، حتى تولد القائد محمد بن القاسم الثقفي قيادة حملة في عام ٩٢ هـ - ٧٧١ م، أعدها له عمه الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي في زمن الوليد بن عبد الملك. فوصلت الحملة إلى ملتان، وبعد استقرارها أرسى القائد محمد قواعد أول دولة إسلامية عربية في الهند. وتوالت حملات المسلمين في العهد

العباسي حتى تم افتتاح السند وكشمير، بينما يعتبر الفاتح الحقيقي للهند هو القائد المجاهد محمود الغزنوي الذي أمضى ربع قرن من حكمه في حرب وجهاد حتى ضم شمال غرب الهند والبنجاب لامبراطوريته في وسط آسيا، وأصبحت دلهي عاصمة ثانية له. ثم خضعت البلاد لحكم المماليك، وتوالى الحكم الإسلامي عليها. وكان أن دخل المغول للهند ودمروا دلهي بقيادة تيمورلنك عام ١٣٩٨ م، فأعاد بناءها شاهجهان عام ١٦٣٩ وجعل منها عاصمة امبراطوريته. احتلها الإيرانيون عام ١٧٣٩، ثم الأفغان عام ١٧٥٦. ثم أصبحت الهند كلها جزءاً من الامبراطورية البريطانية عام ١٨٥٧.

ودلهي كانت تعرف عبر التاريخ باسم «دهلي» أي التربة اللينة كما أسماها الرحالة ابن بطوطة، والذي بدل اسمها هم الانجليز بعد سيطرتهم على البلاد. ودلهي مدينة قديمة امتزجت فيها على مر الزمن سبع مدن قديمة، بنيت أولها عام ٩١٨م.

والحقيقة فإن الهند التي حُكمت حكماً إسلامياً ما يقارب ثمانية قرون ونصف متواصلة، تأسست خلالها امبراطورية إسلامية ضخمة، ترك هذا الحكم بصماته الحضارية في مختلف المجالات، وتتبين هذه الملامح والمعالم الحضارية من خلال دراستنا لمعالم دلهي.

من بين معالم دلهي:

قبر همايون والمسجد الجامع أكبر مساجد الهند، ومن أعظم مساجد الدنيا وأجملها، فهو الذي أمر ببنائه شاهجهان عام ١٦٦٠ م. وهو قائم في الطرف الآخر من الساحة أمام القلعة

الحمراء فوق قاعدة عالية تصعد إليه على درجات عريضة يبلغ عددها الأربعين، وله سور عال وثلاث بوابات كبيرة. ويتوسط الصحن حوض كبير مملوء بالمياه للوضوء. ويوجد بناءان صغيران في الصحن أحدهما مصلى خاص لنساء القصر، وأما الآخر فهو غرفة صغيرة بيضاء معبقة برائحة البخور تضم خزائن يعتقد بأن فيها شعرة من لحية النبي محمد ﷺ . كما تضم صفحات من القرآن الكريم بالخط الكوفي بيد الإمام علي (كرم الله وجهه). كما توجد صفحات أخرى بخط ابنه الحسين بن علي.

والواقع فإن قباب هذا المسجد ومآذنه وأواوينه وأعمدته وجدرانه المكسوة بالمرمر تمثل آية في الإبداع والجمال في فن العمارة الإسلامية المتأثرة بالبيئة الهندية.

هذا وأمام المسجد الجامع ساحة كبيرة تعرف باسم ساحة ندوة العلماء، وفيها حديقة شاسعة مليئة بأحواض الماء والنافورات. من معالم هذه الحديقة ضريح الزعيم الهندي المسلم «مولانا أبو الكلام ازاد» وقد اختار زعيم الهند «نهرو» هذا المكان مدفناً لصديقه ورفيق كفاحه من أجل الحرية والاستقلال، لأن الزعيم المسلم كان يخطب في هذا المكان.

والحقيقة فقد كان لهذا المسجد الجامع دور ريادي ديني وسياسي في مواجهة البريطانيين على غرار ما قام به الأزهر الشريف في مصر.

ومن مساجد دلهي المميزة «مسجد قوة الإسلام» حيث تظهر فيه براعة العمارة الإسلامية، وفيه بوابة رائعة تعرف باسم «بوابة علاء» وهي إحدى البوابات التي بنيت لمسجد «قوة الإسلام».

وبالقرب من هذا المسجد ضريح شمس الدين التمش، وقد نقشت على جدرانه بحروف بارزة بالخطين الثلث والكوفي آيات كريمة. ويبدو من خلال هذه النقوش الارتباط والتناسق والتكامل بين الخط العربي والزخرفة الإسلامية التي ظهرت على هذا الضريح الذي يعتبر من أقدم الآثار الإسلامية في الهند.

ومما يلفت النظر في دلهي قبتان شامختان، أولاهما قبة القصر الجمهوري حيث يقيم رئيس جمهورية الهند، والقبة الثانية قبة ناصعة البياض هي قبة المسجد الجامع. بينما الساحة الخضراء الشاسعة تتوسط الجامع والقلعة الحمراء في دلهي القديمة. والقلعة الحمراء قلعة شامخة ببوابتيها العاليتين وقببها السبع الصغيرة بناها شاه جهان ابتداء من عام ١٦٣٩لغاية عام ١٦٤٨. واتخذها مقراً لسكنه وحكمه وحاشيته وجنوده، وبها الديوان العام والديوان الخاص والقصر الخاص.

والواقع فإن شاه جهان خامس الأباطرة المغول(*)، لم يكن امبراطوراً فحسب، وإنما كان فناناً ومهندساً. وتمثل القلعة الحمراء بعض اتجاهاته الفنية والهندسية، بل تمثل آية في الإبداع وفن الهندسة المعمارية عند المسلمين. وللقلعة بوابتان رئيسيتان بالطراز والتصميم ذاته. وكانت بوابة دلهي مواجهة للمدينة، ينتصب عند مدخلها تماثيل الفيلة. أما بوابة لاهور فعلى جانبيها برجان مثمنان يعلو كل منهما جوسق صغير بينهما سبع قباب من المرمر الأبيض. وكانت بوابة لاهور هي البوابة التي يتوجه منها الامبراطور لأداء

(*) شاه جهان (١٥٩٣ ـ ١٦٦٦) حكم بين (١٦٢٧ ـ ١٦٥٨ م) خلع عن الحكم بواسطة ابنه أورنك (أورنج) زيب.

الصلاة في المسجد الجامع القريب من القلعة. ويمتد إلى الغرب من هذه البوابة الطريق الرئيسي المشهور باسم «سوق ضوء القمر» (Chandi Chauk) ويلي البوابة من الداخل سوق مسقوف تباع فيه اليوم الهدايا والتحف الهندية التذكارية.

وكان يوجد في الديوان الخاص في القلعة الحمراء عرش الطاووس الذي سلبه نادرشاه ونقله معه إلى فارس، وقد استمر فيها وحفظ في السنوات الأخيرة في خزانة البنك المركزي بطهران لقيمته التي تقدر بملايين الدولارات. ومن معالم القلعة الحمراء حدائقها الغناء الرائعة التي ضمت ما يقارب ثلاثمائة نافورة وعدد من الشلالات والقنوات والبحيرات الاصطناعية، مع مجموعة ضخمة من الورود والأزهار متنوعة الأجناس. وبكلمة مختصرة فإن القلعة الحمراء بما تحويه من عمارة وهندسة وفن وزخارف هي آية معمارية من آيات العمارة الإسلامية.

ومن معالم دلهي الأخرى الواقعة بالقرب من القلعة الحمراء «مسجد اللؤلؤة» الذي بناه خليفة شاه جهان الامبراطور المتدين «أورنجزيب». وهو مسجد صغير، لكنه تحفة فنية من المرمر الأبيض اللامع، وله ثلاث قباب بصلية الشكل مرمرية، وكسيت أعمدته بالمرمر المزخرف بالزهور والمطعم بالذهب والأحجار الكريمة.

ومن المعالم الهندسية الملفتة للنظر في دلهي منارة قطب، وهي ذات طراز فريد وصفها الرحالة ابن بطوطة بأنها إحدى عجائب الدنيا التي ليس لها نظير في بلاد المسلمين. وقد بدىء البناء فيها في عهد قطب الدين لتخليد انتصاره وفتح مدينة دلهي. واكتمل بناؤها في عهد خلفائه، وهي تعتبر أعلى برج في دلهي حيث يبلغ ارتفاعها (٧٢,٥٥) متراً. وقد زينت جدرانها الخارجية بخطوط

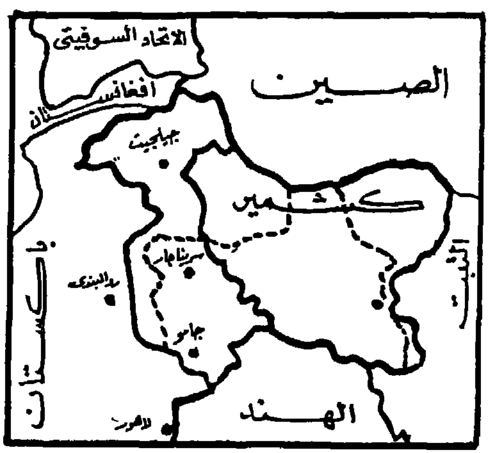
عربية وآيات قرآنية والشهادتين بحروف نافرة من نوع الحجر نفسه للمنارة.

والتكامل المعماري الإسلامي الرائع في دلهي لا يتكامل إلا مع رؤية الفن المعماري الإسلامي في مدينة «اجرا» حيث بنى شاه جهان تاج محل إحدى عجائب الدنيا السبع، وهو يعتبر أجمل وأروع ما شيد الإنسان من عمارة على وجه الأرض. حيث ضم قبر شاه جهان وزوجته ممتاز محل، وحيث تظهر براعة الفنان والمهندس المسلم بشكل مثير للانتباه. كما يتم التكامل مع دلهي من خلال رؤية الآثار الإسلامية في مدينة «لكنو» وفي مدينة «فتح بور سيكري» وفي مدينة «اكبر» وفي مدينة «أحمد أباد» وفي سواها من المدن والمناطق الإسلامية في الهند حيث تجسد الحضارة الإسلامية في أرقى أدوارها ومراحلها.

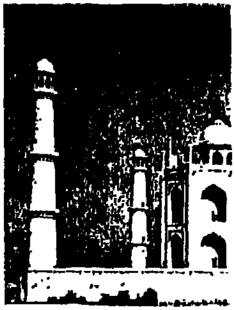
وبالرغم من أن المسلمين في دلهي والمدن الهندية الأخرى يستخدمون اللغة الأردية، غير أنهم يحرصون على تعلم اللغة العربية والتحدث بها، فدار العلوم التي تأسست عام ١٨٩٨ في مدينة «لكنو» تحولت إلى جامعة إسلامية لدراسة اللغة العربية وآدابها. كما يوجد في دلهي الجامعة الملية التي تهتم أيضاً بالحضارة الإسلامية. علماً إن «ندوة العلماء» التي تأسست عام ١٨٩٢ بواسطة الشيخ محمد علي المونكيري في «لكنو» إنما تركز اهتمامها بشكل أساسي على العلم والعلماء ونشر الإسلام والتراث الإسلامي وكل ما يمت بصلة إلى الإسلام والمسلمين. وأنشأت الندوة مكتبة منذ خمسين سنة تضم أكثر من مئة ألف كتاب وعدد

كبيـر من المخطوطـات الإسـلاميـة النـادرة. وفي دلهي والمنـاطق الإسلامية الأخرى صحف ومجلات إسـلامية وعـربية تعنى شؤون الإسلام والمسلمين، مع الإشارة إلى أن الهند أنجبت عبر التاريخ مجموعة كبرى من العلماء المسلمين في مختلف المجالات. ولقد أشار أحد قادة حركة التحرير ورئيس حزب المؤتمر الوطني الهندي سابقاً «رامـايا» عن أثـر الإسلام والمسلمين في الهنـد بقولـه: «إن المسلمين أثروا ثقافتنا وقووا إدارتنـا، وقربـوا أجزاء البـلاد البعيدة بعضها إلى بعض. لقد كان تأثيرهم عميقاً في آداب البلاد وحياتها الاجتماعية».

# كشمير


الاتحاد السوفيتي
الصين
افغانستان
كشمير
جامو
الهند
باكستان

# كشمير



كشمير: إمارة ومنطقة إسلامية تقع في الشمال الشرقي من باكستان التي تحيط بها من جزء في شمالها الغربي ومن غربها وفي جزء من جنوبها الغربي. وتحدها الصين في جزء كبير من شمالها ومن شرقها ومن جنوبها الشرقي، وتحدها جنوباً هندوستان. تبلغ مساحة كشمير نحو ٨٤,٤٧١ ميلاً مربعاً، ويزيد عدد سكانها على أربعة ملايين ونصف مليون نسمة، أكثر من ٨٠٪ منهم مسلمون.

تقع كشمير بين خطي ٣٢ و٣٨ من خطوط العرض وبين خطي ٧٢ و٨٠ من خطوط الطول، وهي بلاد جبلية فيها سهلان أو واديان هما وادي جمو ووادي كشمير، وهي طيبة المناخ، كثيرة الأنهار والغابات وأنهارها الكبيرة هي: السند وجَيْلم وجْناب، وهي الأنهار التي تنحدر إلى باكستان وترويها. وبلاد كشمير من أجمل بلاد العالم من حيث مناظرها الطبيعية، بل كانت تسمى «عروس البلاد».

وكانت إمارة كشمير تنقسم زمن السيطرة البريطانية إلى ثلاث مناطق إدارية هي: جمو وكشمير ومنطقة الحدود. أما فيما بعد فقد

أصبحت تقسم إلى قسمين هما كشمير الحرة وهو القسم الذي أعلن فيه أهل البلاد استقلالهم وانفصالهم عن الإمارة وهو يلي باكستان، والقسم الآخر هو الذي استولت عليه هندوستان واستعمرته.

الإسلام في شبه القارة الهندية عموماً متجذر منذ فجر الإسلام، فقد سبق للمسلمين أن فتحوا القسم الأكبر من فارس زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ووقفوا عند حدود مكران، أي جنوب غرب باكستان حالياً. وفي زمن معاوية بن أبي سفيان تقدموا حتى استولوا على الجزء الغربي من بلوشستان وعلى إمارة قلات التي كانت تابعة للسند، وضموها إلى مكران، ثم تقدموا شمالاً حتى استولوا على قندهار وكابل في أفغانستان اليوم. ثم هيأت السبل للمسلمين لا سيما في العهد الأموي من السيطرة على بلاد الهند، وقد عهد الحجاج والي العراق بمهمة الفتح إلى محمد بن القاسم الثقفي الذي استولى على بلاد السند، وسار متقدماً حتى بلغ كشمير، ومنذ ذاك التاريخ بدأت كشمير تتحول تدريجياً إلى الإسلام.

بعد سيطرة الإنجليز على الهند، ثم تقسيمها عام ١٩٤٧ إلى دولتين هما: الهند وباكستان، بقيت كشمير منطقة مستقلة ولكن تحت السيطرة الهندية، الأمر الذي أثار المسلمين الذين طالبوا بالاستقلال التام أو الإنضمام إلى باكستان. ومن زعماء كشمير المسلمين البارزين الشيخ محمد عبد الله خير الملقب «أسد كشمير» الذي أسس «حزب مؤتمر جمو وكشمير الإسلامي» وذلك للنضال من أجل حرية واستقلال كشمير.

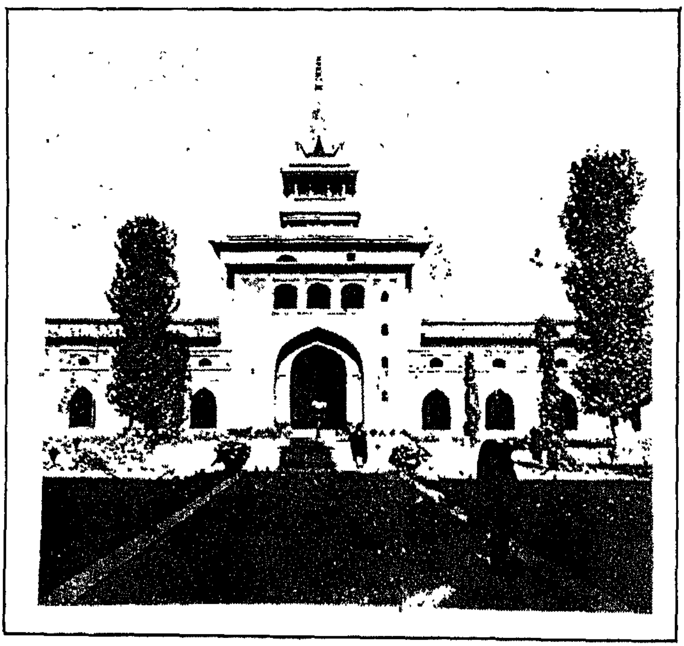
عاشت كشمير عبر تاريخها بلاداً إسلامية يحكمها أمراء

مسلمون تارةً حكماً مستقلاً وتارةً مرتبطة بأباطرة المغول المسلمين. فمن أمرائها الأمير زين العابدين الذي حكم البلاد اثنتين وخمسين سنة كانت بأجماع المؤرخين العصر الذهبي لكشمير، فقد عرف هذا الأمير بالصلاح والتقوى والورع والعدل الذي أقامه بين جميع رعاياه من مسلمين وغير مسلمين، وهو الذي أحيا الصناعة في البلاد لا سيما صناعة الحرير، ولا تزال تتمتع كشمير بالنسيج والقماش الذي يحمل إسمها القماش الكشميري. وأبدى المغول عناية فائقة بكشمير، فبنوا فيها المباني الفاخرة وأنشأوا الحدائق والمرافق العامة فزادوا في جمالها جمالاً وفي حياتها روعة.

وبالرغم من أن لكشمير عاصمة هي «سرينكر» غير أنها لم تنل شهرة كافية، فكشمير أصبحت المدينة والإمارة. ومن ملامحها الدينية مساجدها المميزة ومنها مسجد «حضرت بال» الذي قيل إنه كان يضم شعرة شريفة من شعرات النبي محمد ﷺ كانت محفوظة في أسطوانة فضية موضوعة في صندوق خشبي صغير في مقصورة داخل المحراب. وقد وصلت هذه الشعرة إلى المنطقة بواسطة رجل إسمه السيد عبد الله أحد القيمين على قبر النبي ﷺ في المدينة المنورة. فبعد وصوله إلى الهند عام ١٦٣٤ علم حاكم بيجاپور بهذه الشعرة الكريمة فأقطعه الحاكم أرضاً ليعيش فيها مكرماً، فلما توفي انتقلت الشعرة إلى ابنه حميد، ثم بالتواتر وبالانتقال نقلت أخيراً إلى كشمير، وأقام لها الأمبراطور «أورنج زيب» مسجداً عرف باسم مسجد «حضرت بال» ومنذ ذاك التاريخ والمسجد المذكور محجة للناس.

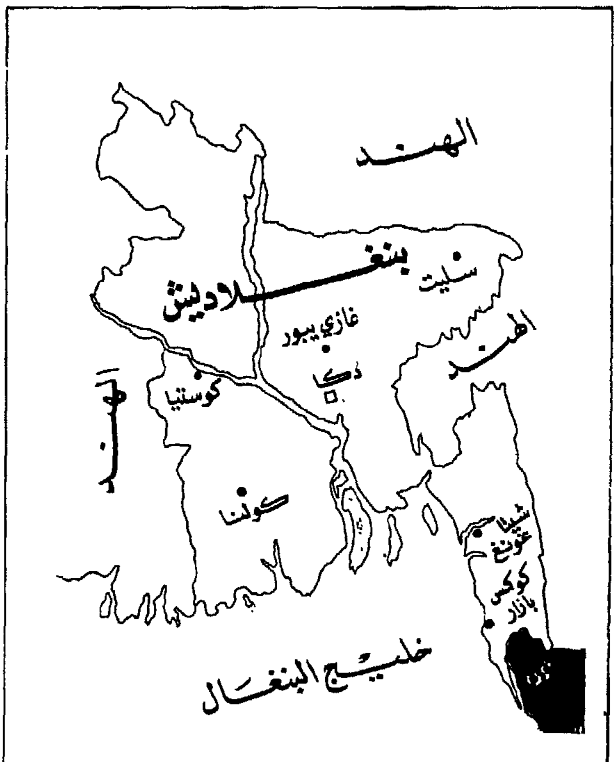
وكشمير على وجه الإجمال منطقة تتسم بالتدين الإسلامي، كما أن أهلها يعملون في الزراعة والصناعة وتربية المواشي، وتكثر فيها مناجم الفحم والحديد والرصاص ممّا جعلها مركز تجمع صناعي وهي شهيرة عموماً بجودة أقمشتها.

كشمير تلك المقاطعة الآسيوية تحمل بين ثناياها الحضارة الإسلامية والعربية ممزوجة بالتراث الباكستاني والبنجابي والأفغاني. إمارة تاريخية لا تزل في عمق وجذور التاريخ.

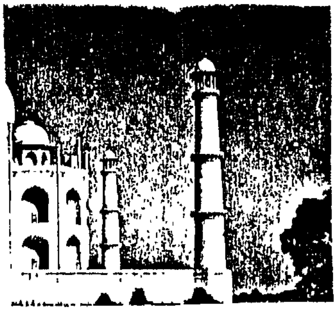


مسجد في كشمير

# داكا


الهند
بنغلاديش
سليت
غازي بيور
دكا
الهند
الهند
كوستيا
كولنا
شيتا غونغ
كوكس بازار
خليج البنغال

# داكا



داكا عاصمة بنغلادش أو دولة البنغال الحر. وكانت بنغلادش أو باكستان الشرقية جزءاً من دولة باكستان. إنفصلت عنها عام ١٩٧١ برئاسة الشيخ مجيب الرحمن زعيم «رابطة عوامي». مساحة بنغلادش (١٥٠) كلم²، عدد سكانها حوالى (٨٢) مليون نسمة. علماً أن باكستان كلها كانت جزءاً من الهند إلى أن انفصلت عنها عام ١٩٤٧.

أما تاريخ دخول الإسلام إلى المنطقة، فهو التاريخ نفسه لدخول المسلمين إلى الهند وبلاد ما وراء النهر. وذلك عندما باشرت الدولة الأموية في آواخر القرن الثاني الهجري ـ أوائل القرن التاسع الميلادي بفتوحاتها في تلك المناطق، وفي عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، خلال فترة حكم والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي. غير أن الفتوحات الإسلامية الحقيقية لشبه القارة الهندية إنما ابتدأت في عهد الدولة الغزنوية. وكان أول ملك لشبه القارة الهندية هو قطب الدين أيبك عام ١٢٠٦ ميلادية. وظل الحكم الإسلامي قائماً في الهند إلى أن سيطرت بريطانيا على البلاد في القرن الثامن عشر.

وفي داكا العاصمة وفي بنغلادش عامةً أكثرية ساحقة من المسلمين، ولكن بالرغم من ذلك، فإن فيها أيضاً بعض القبائل

المسيحية والبوذية والوثنية. وهي موزعة على (١٣) قبيلة تمتد بجذورها إلى التبت وبورما، وتتزعمها قبائل شاكما ومارما البوذية، ولوشاي المسيحية. وعدد أفراد هذه القبائل مليونا نسمة. كما يوجد في البلاد عشرة ملايين هندوكي ولاؤهم مرتبط بالهند. ولهذه المجموعات البشرية لغاتها وتقاليدها الخاصة.

أما اللغة الأكثر انتشاراً في داكا وبنغلادش عامة فهي اللغة البنغالية، كما تستخدم اللغة الإنجليزية. أما اللغة العربية فمقتصرة على الموضوعات الدينية على غرار ما هو حاصل في باكستان.

تتميز داكا العاصمة بالعديد من المعالم والملامح التي تميزها عن سواها من المدن والعواصم. فمن ملامح العاصمة ميدان داكا الشهير الذي تتوسطه مجسم لزهرة الشابلا الأرجوانية اللون. وقد اتخذت شعاراً نظراً لكثرتها وانتشارها في مختلف المناطق. ويتفرع من هذا الميدان المباني الحديثة المرتفعة بعكس المباني الوضيعة البعيدة قليلاً عن ميدان العاصمة.

والبنغاليون من الشعوب المتمسكة بالدين الإسلامي وتقاليده. ففي داكا وحدها حوالى ألف مسجد أهمها المسجد الكبير الذي يسميه أهل داكا باسم مسجد «بيت المكرم» الذي سبق أن شيد في عهد الرئيس الباكستاني أيوب خان. وفيه مقر المؤسسة الإسلامية.

ومن معالم وملامح داكا تلك الأنهار المتعددة، بل يتراءى للناظر بأن هذه المدينة تتحوّل إلى منطقة سابحة فوق بحيرة من الماء نصف العام على الأقل. ويزيد في جمال هذه المياه أن زهرة الشابلا المميزة تسبح فوق كل مجرى ماء في طول البلاد وعرضها.

تعتمد داكا بشكل أساسي في مواصلاتها على وسيلة «الريكشا» وهي وسيلة نقل منتشرة بكثرة، عبارة عن عجلة يقودها رجل وبواسطتها يجر عربة مظللة، ينقل بواسطتها السكان والسياح من منطقة إلى أخرى. ففي داكا وحدها أكثر من ثلاثين ألف «ريكشا» تنطلق كأسراب الجراد طوال النهار. وهم بذلك لا يستخدمون الدواب لغلاء أسعارها ولقلتها، ولكلفتها نظراً لما تتطلبه من عناية وغذاء غير متوفر.

أما وسيلة الانتقال في الأنهار، فهي القوارب الشراعية ذات المجاذيف العديدة، التي يقودها عادةً ثمانية أو عشرة أشخاص. وفي هذه القوارب ينقل البنغلادشيون كل شيء من الخضراوات والفواكه والحيوانات والإنسان، ومنتجات الجوت والأخشاب والبامبو. ويكفي القول أن عدد الذين ينتقلون عبر الأنهار سنوياً أكثر من عشرين مليون نسمة، وأن عدد القوارب أكثر من مليون، وأن عدد الموانىء حوالى (١٥٠٠) ميناء. وبذلك يتبين بأن القوارب هي الوسيلة الرئيسية للإنتقال بين المدن والقرى، على غرار الريكشا كوسيلة أساسية في البر.

أما مطار داكا فبالرغم أنه من ملامح المدينة، غير أنه من المطارات غير الدولية، ويسيطر عليه التواضع، بدليل أن الأجراس لا تزال تستخدم كوسيلة لتنبيه المسافرين أو المستقبلين إيذاناً بوصول أو إقلاع الطائرات.

ومن سمات داكا وعاداتها وتقاليدها انتشار قارىء المنديل أو قارىء الكف على قارعة الطريق. كما يكون أمامه مجموعة من المظاريف المغلقة في كل مظروف قراءة مختلفة للحظ. فتختار

النسوة عادةً أحد المظاريف، وكل امرأة حسب حظها ونصيبها، وأصبح هذا المنظر من الأمور المألوفة في شوارع داكا، لأن هذا التقليد بات جزءاً من حياة وتراث البنغاليين.

وفي داكا جامعة عريقة وأكاديمية للثقافة ومعاهد ومدارس عديدة، ويتم التدريس فيها باللغة البنغالية. وقد قامت الأكاديمية بجمع أكثر من مائة ألف قصة من التراث الأدبي والشعري البنغالي. وفي داكا متحف وطني يضم في قاعاته مختلف مراحل التاريخ البنغالي من البوذية إلى الهندوسية إلى الإسلام، بما فيه تاريخ العثمانيين والأفغان والمغول والبريطانيين، ونماذج من تاريخ البنغال في ظل دولة باكستان الموحدة. .

وبالرغم من الوضع الاقتصادي السيء لبنغلادش فإن المسؤولين في داكا يدعون كل أجنبي إلى جولة مجانية حول معالم بنغلادش السياحية. وتنظم الدولة هذه الرحلات التي يشترك فيها سنوياً أكثر من ستين ألف سائح، ينطلقون بهم إلى شورناجان عاصمة البنغال القديمة التي تبلغ من العمر أكثر من أربعمائة عام، ومبانيها وملامحها ومعالمها باقية كما هي. ثم ينتقلون بالسياح إلى مناطق الغابات الكثيفة في الجنوب، حيث تسكن القبائل البدائية والبوذية والوثنية. كما ينتقلون إلى مناطق أثرية وتاريخية متعددة داخل داكا وخارجها.

وفي داكا تقاليد واضحة في الفنون والموسيقى والغناء، فالرقص الشعبي يحتل المرتبة الأولى، يليه الغناء الذي يبرز فيه الأثر والتوجه الإسلامي، ويعتمد على الإنشاد الجماعي الأقرب إلى الموشحات الأندلسية، كما يعتمد شاعر بنغلادش الشهير «نظر

الإسلام» الذي نظم ما يقارب ثلاثين ألف قصيدة وأغنية، تتردد على كل لسان، وهي قصائد في الإسلاميات والحب الصوفي وفي السياسة.

ومن معالم داكا لا سيما مناطقها البعيدة عن وسط البلد وجود منازل للفقراء وللفلاحين مصنوعة من أخشاب «البامبو» تقام فوق أعمدة مغروسة في الأوحال. وتتوسط القرية عادةً بحيرة يحفرونها بأيديهم للإستحمام وغسل الثياب. الأوضاع الاقتصادية في بنغلادش، غير مستقرة بسبب زيادة عدد السكان غير الطبيعية. فالجوت هو من أهم المنتجات في البلاد. ونظراً لأهميته فقد أقيمت له وزارة خاصة باسمه. ويصدَّر منه سنوياً بما قيمته مليار ونصف مليار دولار، وذلك إلى (١٠٤) من دول العالم. ومصنع «آدام جي» للجوت هو أكبر مصنع من نوعه في العالم. وحوالى ثلث السكان ترتبط حياتهم بزراعة هذا المحصول. وأهل بنغلادش يصنعون من الجوت الكثير من الصناعات الكيمائية تمكنوا من أن يصنعوا منه الأدوات الصحية وهياكل السيارات.

ومن المنتجات الهامة في البلاد الأرز، بمتوسط ١١ مليون طن سنوياً للإستهلاك المحلي. ومن الزراعات الأخرى القمح وهو ينتج بكميات محدودة حوالى (٢٥٠) ألف طن سنوياً. كما يزرع الشاي بنسبة (٨٠) ألف طن ويصدر إلى الخارج. أما السكر فيبلغ إنتاجه السنوي (٦) ملايين طن سنويا. ومن الأمور المرتبطة بإنتاج الأرز انتشار باعة الأرز المطبوخ في قدور من الفخار، ويقدمون الوجبة في إناء هو عبارة عن ورقة شجر سميكة لعدم توفر الصحون.

ومن الزراعات المعروفة في البلاد نبات «الباتل» الذي يتلذذ

الناس بمضغها، وهو إنتاج يستخدم للاستهلاك المحلي.

وفي شمال البلاد ستة حقول للغاز الطبيعي، والتقديرات عن احتياطي الغاز حوالى (٢٠) بليون قدم مكعب. ومن المحتمل وجود حقول للنفط يمكن أن يكشف عنها في المستقبل. وإلى جانب ذلك فهناك الثروة السمكية المقدرة بحوالى مليون طن سنوياً. بالإضافة إلى كميات وفيرة من الفاكهة والخضار.

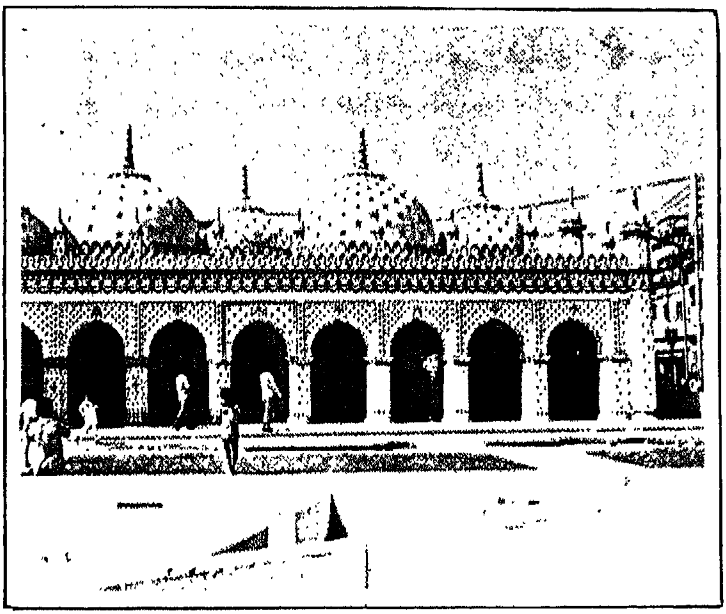
ومن الصناعات القائمة في داكا صناعة الأدوية والإطارات وقطع الغيار. بالإضافة إلى وجود مصنع للهاتف ينتج أكثر من أربعين ألف جهاز سنوياً. ويمكن بعد تطويره زيادة الإنتاج ليصبح قادراً على التصدير إلى الخارج، وهناك بعض الصناعات الخشبية والنحاسية المرتبطة بالسياح وبالتصدير إلى دول الخليج.

ولا تزال داكا عاصمة بنغلادش خاصة وبقية المناطق البنغالية عامة تعاني من مشاكل اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية. ومشكلة زيادة عدد السكان في مقدمة المشكلات المطروحة، لأن التقديرات تشير إلى أن العام (٢٠٠٠) قد يكون عدد سكان بنغلادش (٢٠٠) مليون نسمة. ومعنى ذلك أن زيادة الإنتاج تُهدر أمام زيادة العدد الهائل من السكان. ومن المشاكل الأخرى التي تعاني منها مناطق بنغلادش حدوث الفيضانات والأعاصير بين فترة وأخرى قد تكون دورية كل خمس سنوات، وكأنها باتت معلماً من معالم البلاد.

إن مقاطعات بنغلادش الـ (١٩) لا تضم في أرجائها أكثر من (١٣١) مستشفى. وهذا العدد رغم تزايده غير أنه لم يفِ حتى الآن باحتياجات السكان الصحية والاستشفائية.

من جهة ثانية فإن الناظر في شوارع داكا يلاحظ انتشار اليافطات التي كتبت عليها الآيات القرآنية الكريمة باللغتين العربية والبنغالية. كما يلاحظ تمسك البنغاليين بالصيام في شهر رمضان المبارك، وبالاحتفال بالأعياد والمناسبات الإسلامية.

كلمة أخيرة، حول داكا عاصمة بنغلادش، فهي بلد التناقضات والأعاجيب، ففيها ملامح القرون السحيقة والقرون الحديثة، فيها الأغنياء والفقراء، وفيها العلماء والجهلاء، وفيها مختلف الديانات والعقائد، ومختلف العادات والتقاليد.

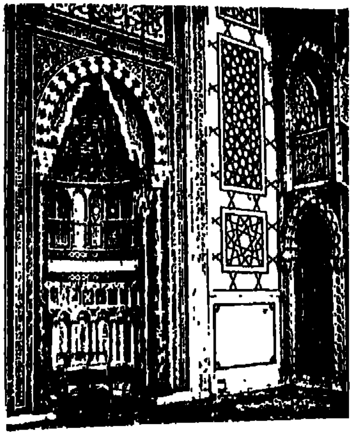


مسجد في بنغلادش

# لاهور



# لاهور



لاهور إحدى أهم المدن الباكستانية. وإذا كانت روالبندي هي العاصمة السياسية لباكستان، وكراتشي هي العاصمة الاقتصادية، فإن لاهور هي العاصمة الثقافية والعاصمة التاريخية للمنطقة. ولاهور مدينة في دولة في جنوب آسيا، وتعتبر أكبر دولة إسلامية في العالم حيث يبلغ عدد سكانها أكثر من ١٣٠ مليون نسمة، ومساحتها (٩٤٥) ألف كليومتر مربع. وانقسمت باكستان إلى دولتين هما: باكستان (الغربية) وباكستان (الشرقية) التي عرفت باسم بنغلادش. وكانت باكستان كلها جزءاً من الهند إلى أن نالت استقلالها في ١٥ آب (أغسطس) ١٩٤٧ بقيادة محمد علي جناح.

عدد سكان لاهور أربعة ملايين نسمة. وموقعها على مساحة شاسعة من الأرض الزراعية. يشقها في جانب نهر «رافي» أحد أنهار البنجاب الخمسة، الذي يسميه البعض نهر «الراوي». وعلى الجانب الآخر من لاهور مجرى مائي صغير هو «القنال». وبين النهر والمجرى تنقسم لاهور المغولية التاريخية ولاهور الحديثة، لاهور الجامعات والمستشفيات والمصالح الحكومية.

وتاريخ لاهور تاريخ قديم يسبر عمق التاريخ. وقد أشار الرحالة ابن بطوطة في كتابه الموسوم «تحفة النظار في غرائب الأمصار» إلى لاهور في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي عندما كان يتحدث عن فتح الهند ومدينة دلهي فقال: «حدثني الفقيه الإمام العلامة قاضي القضاة بالهند كمال الدين محمد بن البرهان الغزنوي. . . ان مدينة دهلي افتتحت من أيدي الكفار في سنة أربع وثمانين وخمسمائة. وقد قرأت أنا ذلك مكتوباً على محراب الجامع الأعظم بها. وأخبرني أيضاً أنها افتتحت على يد الأمير قطب الدين ايبك. . . وهو أحد مماليك السلطان المعظم شهاب الدين محمد بن سام الغوري، ملك غزنة وخراسان. . . وكان السلطان شهاب الدين المذكور بعث الأمير قطب الدين بعسكر عظيم، ففتح الله عليه مدينة لاهور وسكنها وعظم شأنه. . .».

وتشير بعض الآراء الهندية إلى أن اسم مدينة لاهور مشتق من «راجالوه» إبن راجالام. وإن راجالوه هو الذي أسسها، وأطلق عليها اسمه فأصبحت لاهور. وإن كان هناك رأي آخر يرى أن «راجالوه» كان حاكماً لكشمير وليس للبنجاب. وذكرت كتب التاريخ إلى أن أول من أشار إلى مدينة لاهور هو الرحالة الصيني «هسين تسانج» في القرن السابع قبل الميلاد، وأن الهندوس كانوا حكامها حتى جاء الفتح الإسلامي في القرن الثامن الميلادي. وخلال هذه العهود تتابعت على لاهور وسورها عمليات هدم وبناء عديدة. وكان التغيير يطرأ على اسم المدينة أيضاً، من تاهورا إلى لوهور إلى لوهكوت. ويبدو أن أبا الريحان البيروني هو أول مسلم يذكر إسم «لهاور» في القرن الحادي عشر الميلادي في كتابه «كتاب الهند». كما أن

ياقوت الحموي أشار إلى أن إسمها «لهاور» ووصفها بأنها «مدينة عظيمة مشهورة في بلاد الهند».

وكان الإسلام قد وصل إلى لاهور وبلاد الهند، عندما ابتدأ الأمويون فتوحاتهم في أواخر القرن الثاني الهجري ـ أوائل القرن التاسع الميلادي في هذه المناطق حتى حدود الصين. وكان الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق قد باشر الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر، على عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. وأوفد العجاج ابن أخيه محمد بن القاسم ليحاول فتح الهند، ووصل فعلاً إلى السند، وأقام ولاية صغيرة عرفت باسم ملتان، وهي اليوم في باكستان، وقد أشار إليها ووصفها إبن بطوطة في رحلته في أكثر من موضع. غير أن الفتح الإسلامي الحقيقي لشبه القارة الهندية بدأ بعهد الغزنويين، عندما دخل لاهور السلطان محمود الغزنوي في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي، قادماً من غزنة في بلاد الأفغان. حتى أن بعض المؤرخين من يرى أن محمود الغزنوي هو المؤسس الحقيقي للاهور، وأنها في عهده كانت تحمل إسم «محمود بور». ذلك أنها في عهده ارتسمت ملامحها الإسلامية وطابعها المميز.

وكانت لاهور في عهد الغزنويين هي القاعدة الإسلامية التي انطلق الإسلام منها إلى شبه القارة الهندية. فقد تحالف راجاوات الهندوس لإسقاط لاهور بعد عشرين عاماً من دخول السلطان محمود الغزنوي إليها. وصمدت لاهور ببسالة وقاوم المسلمون الهندوس وحصارهم الذي استمر سبعة أشهر، وانتهى الأمر بانتصار المسلمين. ثم بعد ذلك استمر منها زحف الإسلام إلى دلهي بعد

ذلك بقرنين من الزمن، في عهد الدولة الغورية، على يد شهاب الدين الغوري. ومن يطلع على كتاب البيهقي «تاريخ البيهقي» يدرك أهمية لاهور وتاريخها ودورها في العهد الغزنوي. وباتت لاهور في مركز قوة أكبر عندما نصب فيها وفي شبه القارة الهندية أول ملك مسلم هو قطب الدين ايبك في عام ١٢٠٦ ميلادية.

واستمر الهندوس والقوى المعادية للإسلام والمسلمين يتربصون بلاهور. وكان ذلك مدعاة لتحصينها وتحصين سورها الشهير.

وفي التاريخ العلمي للاهور، فإن المدينة لم تكن قاعدة عسكرية فحسب، بل كانت قاعدة علمية أيضاً، فقد وفدت إليها من بلاد الأفغان والفرس منذ عهود الغزنويين، أعداد كبيرة من الفقهاء وحفظة القرآن الكريم. أشهرهم شيخ المتصوفين في تلك الفترة علي الهجويري صاحب كتاب «كشف المحجوب» وهو أقدم ما كتب عن التصوف بالفارسية. وهذا الفقيه معروف في لاهور باسم «داتا جانج بخشى» ويعتبرونه من أشهر أولياء الله. وقائمة هؤلاء الأولياء طويلة في لاهور، إذ يصل عددهم إلى مائة.

وفي ظل الدولة الغزنوية، عرفت لاهور أعظم شعراء الفارسية في شبه القارة الهندية وهو سعود سعد سلمان. وأشعاره المليئة بالحنين إلى لاهور، كانت في مقدمة الأشعار الوطنية التي راجت في باكستان بعد ذلك. وأورد ياقوت الحموي في مؤلفه «معجم البلدان» في أوائل القرن الثالث الهجري قائمة كبيرة بفقهاء لاهور ومحدثيها المشهورين على زمانه، وفي مقدمتهم: عمر بن سعيد

اللهواري، ومحمد بن المأمون هبة الله المطوعي اللهواري، ومحمود بن خلف أبو القاسم اللهواري وسواهم الكثير.

وفي أوائل القرن السادس عشر لمع اسم الإمام أحمد الفاروقي السرهندي، وهو المجدد، وقد ظهر أثناء حكم الأمبراطور أكبر، وبدأ يؤدي رسالته كداعية عظيم للسنة، وقد أعلن الحرب على البدع، أبان حكم إبنه الأمبراطور جهانجير. واختلف الإمام السرهندي مع الأمبراطور لبعض الوقت، غير أنه عاد وقربه إليه، وعاش آخر سنوات عمره في البلاط الأمبراطوري بلاهور واعظاً ومرشداً ومدرساً لجهانجير. وعندما تولى الحكم الأمبراطور شاه جهان، بايع الإمام السرهندي على التمسك بالكتاب والسنة واجتناب المعاصي. ومن علماء لاهور وشبه القارة الهندية الشيخ عبد الحق الدهلوي الذي يعد أهم من دعا إلى نشر علوم الحديث والسنة.

التراث العلمي والثقافي في لاهور لا يزال ماثلاً في مختلف المؤسسات فالتيار الفكري المؤثر في لاهور وفي باكستان عامةً هو تيار الجماعة الإسلامية التي كان يقيم مؤسسها أبو الأعلى المودودي في قلب لاهور. وفي لاهور جامعة لاهور وجامعة البنجاب التي يعود تأسيسها إلى عام ١٨٨٢م. بالإضافة إلى حوالى (٧٠) كلية. وقد أخذت الكليات والمعاهد الإسلامية على عاتقها تخريج الفقهاء والخطباء. ولهذه المعاهد ثلاثة اتجاهات إسلامية هي، أولاً: أهل السنة والجماعة، وهم من أتباع المذهب الحنفي. ومن أشهر معاهدهم إثنان هما: «جامع اشرفية» والثاني «جامع نعيمية». ثانياً: أهل الحديث وهم أقرب إلى الفكر الوهابي الرافض للبدع،

ومعهدهم هو معهد «جامع تقوية الإسلام». ثالثاً: أتباع المذهب الجعفري ومعهدهم هو معهد «جامع المنتظر» للإمام الغائب الاثني عشر.

ولهذه الإتجاهات الثلاثة أنصار وفقهاء ومساجد مستقلة، حيث يـؤدي المصلون خلف الإمام الخاص بكل تيار إسلامي على حدة.

ولاهور تعتبر أيضاً بأنها مركز الطباعة والنشر في باكستان. فالغالبية العظمى من الصحف والكتب الإسلامية والمنتشرة في مكتبات باكستان وأوروبا وأميركا، مصدرها واحد هو لاهور. وتشير الإحصائيات إلى أن في المدينة حوالى ألف مطبعة، ومئتي ناشر للكتب باللغات الأردية والفارسية والعربية والانجليزية، وخمسمائة مكتبة لبيع الكتب وكل ما يتصل بالثقافة والفكر والقراءة. وتتركز الطباعة في لاهور في حي خاص يعرف باسم «اوردوبازار».

والأمر الملاحظ أن أكثر الكتب المطبوعة في لاهور، تدور حول الإسلام والمسلمين. حتى أن الكتب الشعرية والتاريخية والقصصية والتراثية، إنما كلها مرتبطة بالفكر الإسلامي بشكل أو بآخر. ولعل الخطر الهندوكي على المسلمين عبر التاريخ، هو الذي شكّل الخلفية الثقافية للمسلمين للتشبث بدينهم ومعتقداتهم ونشر تراثهم الإسلامي بأية وسيلة للحفاظ على وجودهم.

ومن مميزات تشبث مسلمي لاهور وشبه القارة الهندية بالإسلام، هو تمسكهم اللافت للنظر بالخلافة العثمانية. وكان ولاؤهم الحقيقي للخليفة في الآستانة. وفي الحرب العالمية الأولى تمرد المسلمون على أوامر الانجليز، ورفضوا المشاركة في الحرب ضد الدولة العثمانية في الشرق لأنها دولة إسلامية، ولأن الإسلام

يحرم حرب المسلمين على المسلمين. وقد ظهر عام ١٩٢٠ في الهند «حركة الخلافة» بزعامة مولانا محمد علي. غير أن قرار مصطفى كمال (أتاتورك) بإلغاء الخلافة الإسلامية في استانبول عام ١٩٢٤ شكل صدمة عندهم. وظل حلم الخلافة يراودهم حتى نادى اتحاد الطلاب المسلمين بإقامة الخلافة الباكستانية حيث لم تعد لهم خلافة. ولما أعلن قيام دولة باكستان عام ١٩٤٧ حرص المسلمون فيها على أن يتوسط علم الدولة الجديدة الهلال والنجمة وهما رمز الدولة العثمانية.

أما فيما يختص باللغة السائدة في لاهور فهي لغة الأردو المكتوبة بالحروف العربية، وهي تعتبر مزيج من العربية والتركية والفارسية والهندية والانجليزية أيضاً. غير أن الباكستانيين عامة يقدرون اللغة العربية ويهتمون بها في جامعاتهم وكلياتهم لارتباطها بالإسلام والعالم الإسلامي والعربي.

ولأهل لاهور عادات وتقاليد خاصة في الزواج وفي الطعام وفي العمل وفي الأعياد. ومن عاداتهم اللافتة للنظر أن المرأة هي التي تتكفل بكلفة الزواج، بل تعطي الرجل مالاً، وتعطي أهله ثمن ثيابهم ليحضروا حفل الزفاف. أما فيما يختص بطعامهم، فلا شيء إلا ويمزج بالفلفل والتوابل الحارة. أما الإحتفال بعيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك فهو يعتبر احتفال خاص، يرتبط بصلاة الجماعة في الساحات العامة وبالتكبير في الطرقات العامة وفي المساجد.

أما أهم معالم لاهور فيأتي في مقدمتها، مسجد باد شاهي، أعظم آثار المغول في لاهور، وهو يشبه في تصميمه مسجد الوليد في دمشق. وتتميز واجهة المسجد بارتفاعها الشاهق ولون حجارتها الحمراء. ويقال بأن المسجد يضم بعض الآثار المقدسة بينها عباءة

للنبي محمد ﷺ وعمامة له خضراء. وبينها منديل مطرز للسيدة فاطمة بنت النبي، ومصحف بخط سيدنا علي بن أبي طالب، وأشياء أخرى مما يخص الحسن والحسين. وفي المسجد من المرمر والنقوش والخزف والآيات القرآنية الكريمة والفن المعماري الإسلامي ما يدهش الناظر. ويعتبر مسجد بادشاهي واحداً من أكبر مساجد الدنيا، إذ يقدر عدد المصلين الذي يمكن أن تستوعبهم ساحته بحوالى خمسين ألف شخص، يملأون الباحة في المناسبات الكبرى، لا سيما في صلاة العيدين. وفي هذا المسجد ضريح الشاعر الباكستاني محمد اقبال أبرز العاملين لإقامة باكستان.

ومن مساجد لاهو القيمة مسجد وزيرخان الذي أنشىء عام ١٦٣٤م، وبناه وزيرخان واسمه الحقيقي علم الدين أنصاري. ويعد هذا المسجد إحدى التحف المعمارية في لاهور. وفي هذا المسجد يوجد ضريح «داتاجانج بخشى» شيخ المتصوفين المعروف باسم الهجويري.

ومن معالم لاهور السور الذي يتخلله (١٣) باباً، وقلعتها الشهيرة التي تضم أبراج عسكرية وملامح معمارية مميزة. وهذه القلعة أقيمت واستكملت في عهود عدة أباطرة مغول أهمهم أربعة: أولهم أكبر الذي اختار لاهور عاصمة لأمبراطورية المغول عام ١٥٨٤. وبعد أكبر جاء ابنه الفنان جهانجير عام ١٦٠٥ الذي أضاف إلى القلعة الكثير من لمسات الإنشاء والجمال. ثم خلف جهانجير ابنه شاه جهان باني «تاج محل». وفي عهده عام ١٦٢٧ كانت القلعة في أجمل معالمها وملامحها. ورابع هؤلاء الأباطرة أورانجزيب إبن شاه جهان الذي اهتم بتحصينات القلعة والقصر بشكل مميز.

ومن معالم لاهور أيضاً حديقة «شاليمار» أي «دار البهجة». وهي ليست حديقة واحدة، بل هي عدة حدائق تنتشر فوق ثمانين فداناً تقريباً. وفيها مبان واستراحات ونافورات مياه وقاعات للاستقبال وشرفات ملاصقة للبحيرة. وبشكل عام فإن «شاليمار» تعتبر من أهم معالم لاهور وباكستان.

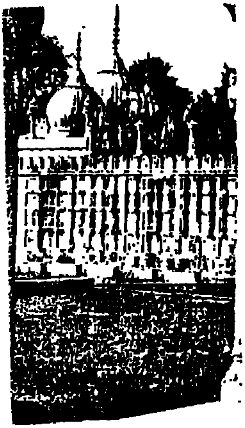
ومن معالم لاهور ضريح الأمبراطور جهانجير، وموقعه يبعد قليلاً عن لاهور وهو نموذج آخر من فن العمارة الإسلامية المغولية. وبالقرب منه ضريح زوجته «نورجهان» أي نور العالم. وفي لاهور أكثر من (٢٦) مسجداً أثرياً لها قيمتها التاريخية المميزة. ومن معالم المدينة أيضاً أسواقها القديمة المميزة وأسواقها الجديدة التي تجد فيها كل ما تطلبه.

لاهور إلى كونها مدينة ثقافية وأثرية وتاريخية، فهي مدينة صناعية وزراعية، فهي تصدر القطن والأرز والقمح والسكر، وتصنع السجاد الباكستاني المميز، والأخشاب والنحاس ومشغولات اليد من ذهب وفضة وفخار وأقمشة. وفي لاهور يوجد (٥٠) مصنعاً جنباً إلى جنب مع المزارع الشاسعة وعمالها يقارب مائة ألف عامل. وإنتاج تلك المصانع الكيماويات والآلات والنسيج وعربات السكك الحديدية والدراجات والأجهزة الكهربائية وسواها. بالإضافة إلى أن لاهور فيها من الحرف العدد الكبير التي تنتشر في مختلف مناطق وشوارع المدينة.

لاهور محطة تاريخية يطل المرء من خلالها على تراث الإسلام والمسلمين. ولا يزال يرى فيها أمجاد الماضي وآفاق المستقبل.

# كابول





# كابول

كابول عاصمة أفغانستان، وهي عاصمة لدولة تقع في قلب آسية الغربية بين إيران والهند. تحيط بها اليابسة من جميع الجهات. يحدها من الشمال الجمهوريات الإسلامية التابعة للاتحاد السوفيتي (سابقاً)، ومن الجنوب والشرق باكستان ومناطق بشتونستان، ومن الغرب إيران. ولها حدود مشتركة مع جمهورية الصين تبلغ مائة ميل من الجهة الشمالية الشرقية.

تبلغ مساحة أفغانستان (٦٥٠,٠٠٠) كلم٢، ويبلغ عدد سكانها حوالى (١٩) مليون نسمة. وتتميز أفغانستان بقلة الأمطار بسبب ضحالة مياه الأنهار، غير أن ذوبان الثلوج من على بعض قممها يغطي بعض النقص في المياه. من أهم أنهارها: نهر جيحون، نهر كابل، نهر هلمند، نهر هاروت، نهر خاش وسواه من الأنهار.

تقع العاصمة كابول تحت أقدام جبل سليمان. وتشير الروايات التاريخية إلى أن سيدنا سليمان عليه السلام صعد فوقه، وألقى نظرة على الهند، ثم قفل عائداً ولم يدخلها، فسمي الجبل باسمه. ومن على قممه تستمر الثلوج طوال العام تمد حوالى نصف مليون نسمة

هم سكان العاصمة بالمياه، التي تنتظم في قنوات رفيعة موزعة إلى داخل المدينة.

أما فيما يختص بتسمية هذه البلاد أفغانستان. فيعتقد البعض أن إسم أفغان نسبة إلى «أفغانا» وهو حفيد بنيامين بن يعقوب عليه السلام. ويعتقد البعض بأن «أفغان» إسم لحفيد شاؤول جد الأفغانيين. ويرى البعض الآخر بأن لفظ «أفغان» مأخوذ من «باشتان» وهي قرية من قرى نيسابور. وقد تعني كلمة «أفغان» أنين. والأنين بالفارسية تعني أفغان. ويمكن أن ينسب الأفغان إلى مدينة «أفكان» الواقعة بين تلمسان وتنس.

ولا بد من الإشارة إلى أن اسم أفغانستان لم يرد إلا منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي أي في عام ١٧٤٧م في عهد «أحمد شاه» وذلك بعد أن توطدت السيادة والقوة للشعب الأفغاني. في حين أن كلمة «أفغان» وردت في أوائل القرن السادس الميلادي.

هذا وقد أشار بعض الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين إلى مناطق أفغانية قاموا بزيارتها، ومنهم على سبيل المثال البيهقي في كتابه «تاريخ البيهقي»، وابن بطوطة في كتابه «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» وكان قد زار بلاد الأفغان وأورد لنا شيئاً من تاريخهم وأحوالهم، وذلك في أوائل القرن الثامن الهجري - الرابع عشر الميلادي. وبعد أن وصف بعض المدن الأفغانية تحدث عن كابل ووصفها قائلاً: «ثم سافرنا إلى كابل، وكانت فيما سلف مدينة عظيمة، وبها الآن قرية يسكنها طائفة من الأعاجم يقال لهم الأفغان. ولهم جبال وشعاب وشوكة قوية...

وجبلهم الكبير يسمى «كوه سليمان». . . وفيه يسكن ملك الأفغان. وبكابل زاوية الشيخ إسماعيل الأفغاني تلميذ الشيخ عباس من الأولياء».

دخل الإسلام إلى أفغانستان، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما أمر القائد النعمان بن مُقرِّن بمحاربة الفرس، وكان أن انتصر المسلمون في معركة نهاوند (فتح الفتوح) عام ٢١هـ. وبعد هذا الانتصار زحفت القوات الإسلامية إلى جميع أنحاء بلاد فارس. وكان من بين هذه الجيوش جيشان اتجها نحو المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم أفغانستان، الأول سار نحو منطقة سجستان وعلى رأسه عاصم بن عمرو التميمي (المتوفى عام ٢٤هـ). أما الجيش الثاني فافتتح هراة وبلْخ ووصل إلى طخارستان بقيادة الأحنف بن قيس.

أما مدينة كابل، فقد توجه إليها عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي عام ٨٠هـ، زمن خلافة عبد الملك بن مروان. ثم أعاد قتيبة بن مسلم الباهلي (٤٩ ـ ٩٦هـ) فتح مدينة بلْخ. وشهدت أفغانستان في العهد الأموي غزوات إسلامية حتى بلغت آسيا الوسطى، وتخطت حدود الهند بفضل القائد الحجاج بن يوسف الثقفي. وبفضل هذه الفتوحات استقرت الكثير من القبائل العربية في البلاد المفتوحة، مما أدى إلى انتشار الإسلام بين سكانها، كما ظهر من أبناء هذه البلاد فئة أجادت اللغة العربية، واشتغلت بعلوم القرآن الكريم واللغة والحديث الشريف. وقد أشار الرحالة «بزرك بن شهريار» في كتابه «عجايب الهند» إلى كيفية انتشار الإسلام في تلك المناطق.

وفي العهد العباسي توالت الفتوحات الإسلامية في مناطق أفغانستان. ولم يأت منتصف القرن الثاني للهجرة إلا وأصبحت المنطة إسلامية. وبدأت اللغة العربية لغة القرآن الكريم بالإنتشار على حساب اللغة الفارسية، ولهجة البشتو الأفغانية.

أما أهم القبائل المنتشرة في كابول، وفي الوقت نفسه منتشرة في المناطق الأفغانية فهي:

- قبيلة الدوراني: وهي تتمركز في الأجزاء الشرقية من أفغانستان، وهي التي أطلق عليها فيما بعد إسم العبدلي. وهي تتكوّن بدورها من بطون وأفخاذ باركزائي.
- قبيلة غيلزاي: وتتمركز في الأجزاء الجنوبية من أفغانستان. وكانت من أقوى قبائل قندهار.
- قبيلة الأوزبك: وهي قبائل المناطق الواقعة إلى الشمال من الهند.
- قبائل المغول: وهي قبائل تسكن في كابول وفي داخل أفغانستان وأهمها قبائل: هازار، تيماني، شهر أيماك.
- قبيلة الطاجيق: وهي قبيلة آرية تسكن منطقة هراة في الأصل. بالإضافة إلى قبائل آرية أخرى تسكن إلى الشرق من كابول منها: قبائل غلجائي، يوسف زائي، نيكش، سليمان خيل وسواها.

هذه القبائل المنتشرة في أنحاء أفغانستان، يمكن تمييزها من ألبستها وعاداتها حيث تنتشر في الوقت نفسه في العاصمة كابول التي تضم مختلف هذه النماذج القبلية. إضافةً إلى ذلك فإن هذه القبائل نتاج عناصر بشرية متعددة قدمت إلى أفغانستان. ويعتبر

الجنس القوقازي من أقدم العناصر البشرية التي قدمت إلى البلاد. كما يوجد عناصر بشرية أخرى مثل العناصر: العربية، التركية، المغولية، التترية، الإيرانية، الطاجيق، ومجموعات قليلة من الهنود والصينيين. ومن القبائل المنتشرة في كابول ومناطق أفغانستان قبيلة البوشتن وقبيلة هازارا وقبائل البلوش وقبائل القوزاق التركية وسواها.

أما اللغات السائدة في كابول وأفغانستان، فتصل إلى حوالى عشرين لغة محلية، أشهرها لغة «البشتو» التي هي خليط من الأردية والعربية والانجليزية. ولغة «الداري» وهي خليط من الفارسية والعربية علماً أن الصحف الأفغانية تصدر باللغتين، كما أن الأخبار المذاعة والمتلفزة تقرأ أيضاً باللغتين المعتمدتين، كما تنتشر اللغة التركية والفارسية في البلاد.

أما اللغة العربية فهي تعتبر عندهم لغة شريفة يحرص المتعلمون منهم على اتقانها وتعلمها. ومعاهدهم ومدارسهم الدينية تحرص على تعليمها لارتباطها بالقرآن الكريم وبالإسلام، حتى أن لفظ المدرسة لا يزال هو نفسه في أفغانستان فيطلق على معاهد التعليم الديني. والعلماء عندهم درجتان:

- المولوي: وهي الرتبة الدينية الأولى بين العلماء، لا يحصل عليها إلا من كان عالماً متمرساً في شؤون الإسلام وعقائده، وإلا من كان حاصلاً على شهادات عليا من الجامعات والكليات والمعاهد الإسلامية من مصر والسعودية أو كلية الشريعة من جامعة كابول.

- الملا: وهو الشاب الذي تلقى تعليماً دينياً متوسطاً، ولم يحصل على درجات علمية عالية.

يتميز الأفغاني بالحفاظ على الإسلام وشعائره، وبالاحتفال بالمناسبات الإسلامية وبعيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك ورمضان الكريم، والقيام بشعائر الحج في الأراضي المقدسة في المملكة السعودية. والأفغاني يعتبر أن الكتب الإسلامية الدينية والفقهية هي كتب مقدسة. وتجتمع الأسرة عادةً تحت كنف الجد، حيث يؤم الصلاة في أولاده وأحفاده. وبعد صلاة الفجر يجلس الجد وحوله أفراد الأسرة يلقنها الأسلوب الإسلامي الصحيح، ثم يبدأ الجميع بتلاوة القرآن الكريم استناداً إلى الآية الكريمة «إن قرآن الفجر كان مشهوداً». غير أن بعض الفئات الأفغانية تعاني من مشكلات تخلف التفكير الديني، والإلتصاق المباشر والمتعصب للملا أو للمولوي.

أما فيما يختص بالحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد، فان للأفغاني شخصية مميزة تتصف بالصلابة واحترام النفس وتقديس الدين وشظف العيش، والقتال من أجل كرامته ودينه. ومنازلهم تفرش بالسجاد الأفغاني والبسط والحصيرة. أما لباس الأفغان، فإنه يكون عادةً من القماش الخشن أو اللباد، ويلبسون السروال الفضفاض القطني والصدرية فوق لباسه الداخلي أو القميص الطويل، وعلى الرأس توضع العمامة التي تتدلى أطرافها على جانب رأس صاحبها. وتتميز الألبسة بكثرة ألوانها وأشكالها.

أما النساء، فإنهن يلبسن ألبسة طويلة وحجاب يغطي كامل الوجه، يسمى «الشودري». أما الزواج عند الأفغانيين فإنه مرتبط

ارتباطاً وثيقاً بالدين. فثياب العروس لونهـا أخضر، مثـل ثياب أهـل الجنة كما يعتقـدون. وتخضب كفها الأيمن وكف العـريس الأيمن باللون الأخضر والحناء ليكونا من أهل اليمين. ويوضع فوق رأسها ورأسـه نسخة من القـرآن الكريم، ويقـرآن معاً آيـة كـريمـة رمـزاً للإرتباط أمام الله. وفي نهاية المراسيم يبدأ الغناء والمدائح النبوية والقصائد الـدينية. ولا بـد من الإشارة إلى أن المهـر عند الأفغـان مرتفع جداً لا يستطيع تحمله إلا ذوي الثراء.

أمـا الوضـع الثقافي في كـابول والمنـاطق الأفغـانيـة، فهـو مـرتبط بالوضع العام في البلاد. فهناك بعض المدارس تقوم بتدريس اللغة العـربية فحسب مثـل: دار العلوم في كابـل، وفخر المـدارس في هُراة، ونجم المدارس في جـلال آباد، ومـدرسة لمخـارستان في فيض آباد. بالإضـافة إلى ذلـك، فقد أنشـأت الحكومـة الأفغانيـة «مدرسة العلوم الشرعية» في منطقة نعمان على مقربـة من كابـل، وهذه المدرسة تعتمد تدريس اللغة العربية فحسب، وبالإضافة إلى المدارس الدينيـة لدى الأفغـان مدارس ابتـدائية وتكميليـة وثانـوية وجـامعة كـابول. وبـالرغم من ذلـك فإن نسبـة المتعلمين لا تزال متدنية، إذ لا تزيد على ٢٠٪ بين الذكور، وهي أقـل من ذلك بين الاناث. ولذلك فقد أخذت المؤسسة الخيرية النسـائية في كـابول على عاتقها القيام بدور مكافحة الأمية. ويوجد في كابـول مدرسـة عليا للتمريض ومدرسة طبية، كما يوجد في أفغانستان حوالى (٦٠) مستشفى يعمل فيها (٣٠٠) طبيب.

ونظراً لأهمية الجذور الثقافية الأفغانية، ونظراً لأهمية ما أفرزته أفغانستان عبر التاريخ من علماء وفقهاء وفلاسفة وأئمة فـإننا نـذكر

بعضهم على سبيل المثال: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت وهو صاحب أحد المذاهب الفقهية الأربعة، وهو أفغاني الأصل من ضواحي كابول. والفيلسوف والطبيب إبن سينا، والبيروني، أبو سليمان الجوزجاني، أبو علي الجوزجاني، أبو سليمان محمد بن معشر، البلخي، التميمي، الأنصاري، الأزهري، الجامي وسواهم الكثير من العلماء والفقهاء والفلاسفة والأطباء.

أما أهم المعالم التاريخية والأثرية التي تميز كابول عن سواها فأهمها: المطار الدولي في كابول، ثم جبل سليمان والبيوت المتناثرة على سفوحه وقممه، حيث تطل على المناطق الزراعية. ومضيق كابول، ثم مسجد بلوخشتي أكبر مساجد كابول، وضريح الأمير عبد الرحمن وهو من أبرز معالم العاصمة، ثم جامعة كابول. بالإضافة إلى الأسواق المتخصصة في العاصمة منها: سوق الدباغين، سوق النجارين، سوق النحاسين، سوق الحدادين، وأسواق العطارين والصباغين والخبازين واللحامين... وهناك شارع خاص ببيع السجاد الأفغاني. ومن معالم كابول «حي الأصمعي» فوق سفوح جبل سليمان. كما أن منظر «السقا» من المناظر المألوفة حتى في العاصمة ذاتها. كما أن رياضة «البوزكاشي» التي تمارس على الحصان تعد معلماً من معالم المدينة. وفي وسط العاصمة العمود التذكاري الذي أقيم بمناسبة الإنتصار على الجيوش البريطانية في ٢٨ أيار (مايو) ١٩١٩م - ١٣٣٨هـ. وبالقرب من هذا العمود شيد ضريح محمد نادرخان الذي اغتيل عام ١٣٥٢هـ. بالإضافة إلى ذلك ففي العاصمة متحف كبير يضم ملامح آثار من التاريخ الأفغاني منذ عهد

الغزنويين والعرب. ويقال بـأن في المتحف نسخ نـادرة من القرآن الكريم تعود إلى أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومن مساجد العاصمة مسجد سنكي، وهو من أعظم آثار «شاه جيهان» من ذرية «بابر». ويوجد بالقرب من المسجد مقبرة «ظهيـر الـدين بابـر». وهناك مسجـد عروس الفلك الـذي أسسه السلطان محمود الغزنوي، ومدرسة جوهر شاه الأثرية.

وبالنسبة للأوضاع الاقتصادية في البلاد، فإن أفغانستان تعتبـر بلاداً زراعية، إذ أن حوالى ٥٣٪ من السكان يشتغلون بـالزراعـة، و١٨٪ يعملون بالأعمال اليـدوية و٢٠٪ لا يـزالون في عـداد البدو الرحل. وأفغانستان من أوفر البلاد في الماشية، إذ تقدر ثروتها من الأبقار بأكثر من ثلاثة ملايين رأس، ومن الماعز عدداً مماثلاً، ومن الأغنـام حوالى مليـون رأس. وهذا يؤدي بـدوره إلى وفـرة الجلود والفراء وتنشيط الصناعات الجلدية. ومن الزراعات المـزروعة في البلاد وفي وادي كابـل ومناطق أخـرى: القمح، الـذرة، الشعير، القـطن، الـزيتـون، العنب، العـدس، الفـول، والتبـغ والتنبــاك والفواكه.

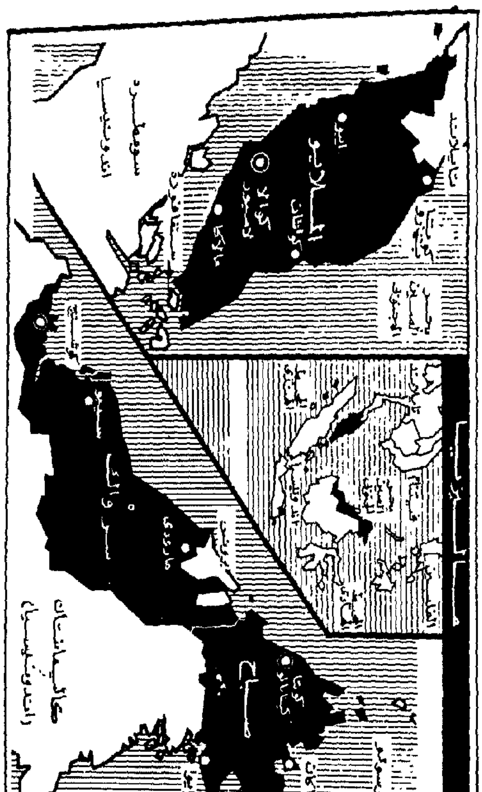
ومن الصناعات المعروفة في كابول ومدن أفغانستان الأخرى، صناعة السجاد والنسيج والأقمشة الحريـرية والقـطنية والكشميـر، والصناعات الجلدية من الفراء وجلود الحيوانات والماشية، ومصانع للسكر والصابون والعطور والزيوت والاسمنت والزجاج والكبـريت والقرميد وصناعة تجفيف الفواكه.

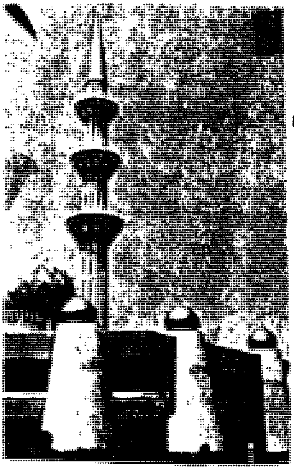
كما يوجد في البلاد ثروة معدنية تساهم في الصناعات المعدنية منها: الذهب، الفضة، الفيروز، اللازورد، الكبريت، الملح، النحاس والرصاص والمنغنيز والقصدير والفحم والمرمر. كما يوجد البترول والغاز الطبيعي.

والتجارة في أفغانستان محدودة على وجه الإجمال تبعاً لقلة المنتجات الصناعية، وهي تستورد أكثر مما تصدر في مختلف المجالات. وهي تتعامل عادةً مع الدول المحيطة بها أو القريبة منها مثل: الهند، باكستان، إيران. بخارى والاتحاد السوفيتي (سابقاً).

ولا شك بأن الأوضاع الداخلية والاقليمية والدولية أثرت على أوضاع أفغانستان عامة. وبالرغم من أن الحضارة امتدت إلى العاصمة كابول، وبالرغم من أن فيها ملامح من الحضارة الحديثة، غير أنه في الوقت ذاته تتميز بأنها موغلة في القدم وموغلة في التاريخ إلى حد كبير.

# كوشنج سرواك





# كوشنج سرواك

كوشنج عاصمة دولة سَرَواك، وهي مدينة نهرية ذات وجهين متناقضين. قديم موغل في القدم، وجديد بالغ الحداثة لا سيما في الجانب الأيسر من نهر سَرَواك. عدد سكان العاصمة كوشنج حوالي ١٣٥ ألف نسمة. وتشغل مساحة تصل إلى (١٢٥) ألف كيلومتر مربع. وهي تقع في الثلث الشمالي الغربي من جزيرة بورنيو، القابعة في قلب بحر الصين الجنوبي إلى الشرق من شبه جزيرة الملايو. وهي تشكل مع دولة صباح المحاذية ـ بعد أن تحولتا إلى ولايتين في نطاق الاتحاد الفيدرالي الماليزي ـ ما يسمى بماليزيا الشرقية.

هذا ويعتبر الإسلام الدين الرسمي للدولة. وقد دخل الإسلام منذ قرون إلى سَرَواك والمناطق المتاخمة بواسطة التجارة والتجار من المسلمين العرب والأندونيسيين وليس عن طريق التوسع السياسي أو العسكري. واستطاع التجار أن يقوموا بدور الدعاة حيث استطاعوا إدخال الكثير من أفراد القبائل إلى الإسلام.. وبدأ الإسلام ينتشر في كوشنج ومختلف مناطق سرواك في خضم الصتراع مع البعثات التبشيرية المنظمة. واستمر الأمر يسير

بخطوات بطيئة حتى نالت سرواك استقلالها وأعلن الإسلام ديناً رسمياً في اتحاد ماليزيا كله.

وفيما يتعلق بالتاريخ الحديث، فقد سبق للبحار الانجليزي «جيمس بروك» أن وصل إلى سواحل سرواك عام ١٨٣٩. وكانت المنطقة كلها في ذلك الوقت أحد أقاليم سلطنة بروناي العظمى التي كانت تحكم كل جزيرة بورنيو. وبسبب الخلافات الداخلية القبلية بين الحاكم شهبندر محمد صالح وبين قبائل الداياك، استطاع البحار الانجليزي بروك التدخل، بل أصبح حاكماً على اقليم سرواك بدلاً من شهبندر محمد صالح. وبالتتابع بدأ النفوذ البريطاني يظهر بوضوح في المنطقة. وفي عام ١٨٨٠ وضعت سرواك تحت الحماية البريطانية. ولم تتخلص من هذه الحماية إلا بعد انضمامها إلى اتحاد ماليزيا الفيدرالي عام ١٩٦٣ خلال فترة حكم رئيس الوزراء الاتحادي تنكو عبد الرحمن.

وتتميز سَرَواك وعاصمتها كوشنج بوجود قبائل متعددة ومتناثرة في مختلف الأطراف منها:

- قبائل الايبان الداياك البحريين ويشكلون ٣٠,٣٪ من السكان.
- الصينيون ويمثلون ٢٩,٥٪ من السكان.
- قبائل البيدايو أي الداياك البريون ويمثلون ٨,٢٪.
- قبائل الميلانو ٥,٧٪.
- جماعات بدائية أخرى ٥,٣٪.
- قبائل وأعراق أخرى تمثل ١,٣٪.

ويدين السكان بـديانـات وعقائـد متباينـة. فالإسـلام هو دين الـدولة الـرسمي يدين بـه الملاويـون والكيديـاك والميـلانـو. أمـا المسيحيـة فيدين بهـا أغلب الدايـاك أما الصينيـون فيعتنق أكثرهم البـوذية. أمـا الباقـون فهم بـدائيـون أو لادينيـون يعبـدون الأوثـان ويقدسون الأرواح والأجداد. بالإضافة إلى هذه القبائـل والأجناس توجد قبائل بدائية قديمة هي قبائل البونان الذين يعيشون في أقاصي أدغال سرواك.

والنـظام القبلي في البلاد يقـوم على أسس بسيطة، فـالأفـراد ينتخبـون رئيس القبيلة الذي يعـرف باسم «تـوان رومـا». كمـا أن مجمـوعات الأسـر تنتخب رئيسهـا ويسمى «بنجـولـو». كمـا أنهم يختارون حكامهم أو أطباءهم بالانتخاب. ولا يوجد النظام الطبقي، فكل فرد حر في الزواج من الفتاة التي يقع عليها اختياره.

ومن المشكـلات التي تعـاني منهـا كـوشنـج وسَرَواكَ عـامـة في ميدان الدعوة الإسلامية قلة الدعـاة المسلمين الذين يتقنـون لغات القبائل، ومنافسة البعثـات التنصيرية التي تمتلك إمكانيـات ماديـة مرتفعة وإمكانيات أخرى اقتصادية متطورة. لهـذا حرصت سَـرَواك على إرسال بعثات دينية إلى الأزهر الشريف في القاهرة وإلى معاهد ماليزيا الغربية وإلى جامعة الملايـو في كوالالمبـور وإلى الجامعـة الإسـلامية الـدولية، وذلـك بالتعـاون مع رابـطة العالم الإسـلامي وبعض الـدول الإسلاميـة والعربيـة، بهـدف أعـداد دعـاة للدعـوة الإسلامية في سـرواك من أبناء المنـطقة، لأنهم أجـدى وأفعل من الدعاة الذين يأتون من الخارج، وغالباً يكونون لا يتقنون لغة البلاد ولا يعرفون تقاليدها وعاداتها.

ويوجد في كوشنج الكثير من المساجد في مقدمتها المسجد الكبير المعروف باسم مسجد الدولة. ويوجد أيضاً مسجد بيسار في قلب العاصمة وهو مميز بقبابه المطلية بالذهب بالإضافة إلى مساجد أخرى في كوشنج، والمركز الإسلامي ومركز الدعاة والرابطة الإسلامية ودار الافتاء وبعض المدارس والمعاهد الإسلامية. كما أقيمت العديد من المدارس المدنية للبنين والبنات لمختلف مراحل التعليم. وفي مختلف المدارس من رياض الأطفال حتى المرحلة الثانوية يتم تعريف الطلاب بالإسلام وعقائده. ومن مشكلات التعليم العام والتعليم الإسلامي في المدارس تعدد لغات القبائل، لذا تسعى الدولة جاهدة للتدريس باللغة القومية الموحدة بالإضافة إلى اللغة الانجليزية. علماً أن للغة العربية موقعاً مميزاً بالنسبة للمسلمين في سرواك لأنها لغة القرآن الكريم. لهذا أقبل الكثير من المسلمين في كوشنج على تعلمها واتقانها.

على صعيد العادات والتقاليد، فإن النظام القبلي حتّم إقامة عائلات عديدة في أكواخ وبيوت متصلة تضم حوالي ثمانين عائلة تقوم إلى جانب نهر راجانج أو نهر سرواك أو بجوار المستنقعات. وهذه الأكواخ تقام من خشب الأشجار وقصب البامبو. وترتفع الأكواخ عن الأرض على أعمدة لا يقل ارتفاعها عن خمسة أمتار تاركة أسفلها مساحات لمرور مياه الأنهار أو المستنقعات أو الفيضانات. ويقتني السكان في داخل هذه البيوت عادة الجماجم البشرية لارتباطها بمعتقدات قديمة تقوم على اصطياد رؤوس البشر.

وكان الايبان قديماً من المحاربين المتمرسين. وكان من

عاداتهم صيد الرؤوس البشرية من النساء أو العجزة أو الأطفال، لتقديمها قرابين إلى الآلهة، أو للإشارة إلى أن الفتى صار قوياً وشجاعاً. غير أن هذه العادة أبطلت في عام ١٩٤٠ بواسطة الانجليز.

كما تتميز بعض قبائل سَرَواك باللطف والكرم والشجاعة، وحياتهم مليئة بالبهجة والفرح والرقص الشعبي. وفي المعبد الصيني في كوشنج يقام احتفال سنوي في اليوم الثاني والعشرين من الشهر القمري الثاني حيث يوضع تمثال الإله على مقعد يحملونه ويطوفون به بين الأغاني والأهازيج في شوارع المدينة. وتبدو كوشنج في الأعياد الإسلامية بأحلى وأبهى مظاهرها لا سيما في عيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك، كما يحتفل المسلمون بقدوم شهر رمضان المبارك بشكل رسمي وشعبي. ويعتبر الحج إلى الأراضي المقدسة أمنية كل المسلمين في كوشنج وسرواك.

من معالم البلاد كثرة الكهوف وملايين من الخفافيش والطيور، كما تتميز البلاد بكثرة أشجار البامبو الطويلة. ومنذ عام ١٩٤٧ بدأ المتحف الوطني في كوشنج يجري حفرياته الأثرية في الكهوف التي وجد فيها آثار عديدة تعود إلى آلاف السنين. وأشارت الدراسات إلى عثور على جمجمة لإنسان عاش في الكهوف منذ (٣٥) ألف سنة. ويوجد في المتحف الوطني في كوشنج الكثير من الآثار والمعدات القديمة التي استخدمها الإنسان القديم.

وتتميز البلاد بوجود أنواع عديدة من الطيور الاستوائية بديعة الألوان والثعابين والقرود وبعض الحيوانات المتوحشة.

وكوشنج العاصمة تتميز بملامح متقدمة بعد أن أصبح عدد

سكانها حوالى (١٣٥) ألف نسمة، في حين لم يكن يتجاوز عددهم بضع مئات عام ١٨٤٠. وعلى الجانب الشمالي من النهر الذي يفصل العاصمة إلى قسمين يربطهما جسر معلق طويل، يوجد مقر الحكام البيض ـ الذي بني عام ١٨٧٠ ـ الذين سبق أن حكموا البلاد، وهو اليوم بمثابة المقر الرسمي للحاكم.

وفي كوشنج توجد قلعة «مارجريتا» زوجة شارلز بروك. وهي من أبرز معالم المدينة. وأنشئت هذه القلعة عام ١٨٧٩ واختير موقعها الاستراتيجي بحيث تسيطر على الضفاف الطويلة لمداخل نهر سرواك منذ اقترابه من العاصمة. وفي عام ١٩٧٩ كانت سرواك قد بدأت تمر بفترة من الهدوء والاستقرار حتى أن القلعة لم تستخدم أبداً للهدف الذي أقيمت من أجله. وكانت القلعة قد استخدمت بعد الحرب العالمية الثانية كمركز تدريب للشرطة. كما استخدمت كمقر لقيادة قوات الدفاع المدني. وانتهى الأمر بالقلعة في عام ١٩٨١ لتصبح متحفاً للشرطة.

ومن معالم كوشنج أيضاً المتحف الوطني، وهو أحد المعالم البارزة في العاصمة، وهو يضم من بين مجموعاته الآثار الإسلامية القديمة إلى جانب الآثار الصينية وجماجم الرؤوس وأدوات من التاريخ القديم.

وبالإضافة إلى المساجد المتعددة والمراكز الإسلامية القائمة في كوشنج، فإنها تزخر بمجموعة من المعابد الصينية المميزة بعمارتها وألوانها. ومن معالمها أيضاً الأسواق الشعبية والغابات الاستوائية وأشجارها وبعض المجمعات السكنية الموحدة. كما تتميز بأمطارها الموسمية.

أما النشاط الاقتصادي في البلاد فإنه ينقسم إلى نشاطات زراعية وصناعية وصيد الأسماك والطيور. فمنطقة «بنتالو» تعتبر القلعة الصناعية والبترولية الجديدة، وفيها مصفاة للنفط، وأبرز المراكز الصناعية. ويمكن أن يطلق عليها اسم مدينة النفط والغاز الطبيعي. كما أن المنطقة غنية بالمواد الأولية الصناعية مثل الأخشاب والسليكون والفحم. ومنذ عام ١٩٧٩ شهدت تطوراً مع إنشاء أو مصنع لتسييل الغاز الطبيعي في ماليزيا، وبدىء بتصديره منذ عام ١٩٨٣. ومنذ ذلك التاريخ تحولت المنطقة من قرية صغيرة إلى أكبر مركز صناعي حديث في البلاد. وكل ذلك ساعد على تعميق مينائها لاستقبال السفن العملاقة الناقلة للغاز والبترول. كما اتسعت حركة الطيران التي تربط بنتولو بكوشنج وكوتاكينا بالو كحلقة اتصال مع سنغافورة وكوالالمبور وهونج كونج.

هذا وتملك بنتولو (٥٠٠) مليون متر مكعب من احتياطات الغاز الطبيعي. كما تتميز بوجود كميات كبرى من النفط الخام منها ٢٠ مليون طن من فحم الكوك و٤٠٠ مليون طن من فحم الليجنايت.

أما الأخشاب فإن منطقة بنتولو وحدها تحيط بها غابات على مدى (٣,٥) مليون هكتار من مجموع الغابات في سرواك التي تبلغ (١٢,٥) مليون هكتار.

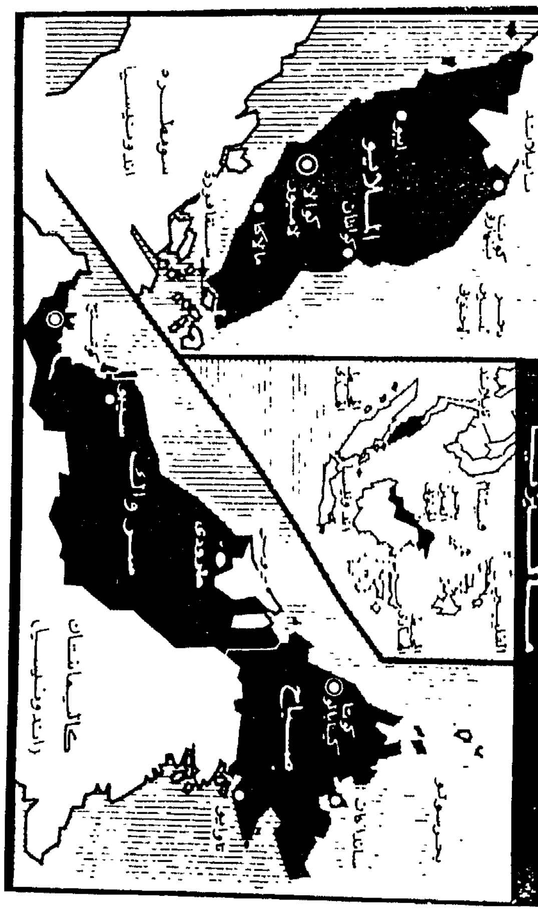
أما فيما يختص بالزراعة فإنها في طور التقدم. ويوجد حوالى (٢٠) ألف هكتار مزروعة بأشجار زيت النخيل، وحوالى (٩٠٠) هكتار مزروعة بالكاكاو. كما تم استصلاح ما يقارب (٥٠٠) ألف

هكتار من أجل عدة حاصلات زراعية في مقدمتها زراعة الأرز التي حلت محل الغابات الاستوائية. كما تتميز البلاد بزراعة أشجار جوز الهند.

وتتميز البلاد أيضاً بوجود وحوش الغابات وتربية الماعز والأبقار والدواجن واصطياد السمك.

وهكذا تسعى كوشنج وسَرَواك وماليزيا عامة من أجل حياتها الإسلامية ونشاطاتها الاقتصادية، وسكانها في سعي دؤوب ونشاط مستمر بين الدين وملامح ونشاطات الدنيا.

# سومطرة





# سومطرة

سومطرة من أكبر الجزر الأندونيسية، بل هي خامس الجزر في العالم. تبلغ مساحتها ٤٧٣,٦٠٠ كلم². وتبلغ المسافة بين حديها الشمالي والجنوبي نحو (١٧٧٥) كلم. وأكبر اتساع لها (٤٠٠) كلم تقريباً. ويمر خط الاستواء في منتصف جزيرة سومطرة التي تقع بين خطي عرض ٣٩° شمالاً و٥٧° جنوباً. أما عدد سكانها فهو حوالى ١٥,٨٠٠,٠٠٠ نسمة. وتشتهر سومطرة بخصوبة تربتها، وبانتاجها الزراعي لا سيما البُن والأرز والتوابل. وقاعدتها مرفأ «بادنغ» من مدنها الأخرى، ميدان وپالمبانغ.

والحقيقة فإن سومطرة تتبع جمهورية أندونيسيا الواقعة عند شواطىء آسية الجنوبية الشرقية. وهي جزيرة من أصل ألفي جزيرة منتشرة بين مياه المحيط الهندي وبحر الصين الجنوبي والمحيط الهادىء. وعاصمة أندونيسيا جاكرتا ومعظم سكانها من المسلمين. وكانت البلاد مستعمرة هولندية إلى أن احتلتها اليابان ١٩٤٢ ـ ١٩٤٥ في فترة سنوات الحرب العالمية الثانية. وبعد جهاد طويل ضد الهولنديين نالت البلاد استقلالها بقيادة أحمد سوكارنو عام ١٩٤٩. وفي عام ١٩٦٣ انضمت إليها غينيا الجديدة.

وقد زار الرحالة ابن بطوطة (المولود عام ١٣٠٤ م) بلاد أندونيسيا التي كانت تسمى بلاد الجاو. وزار جزيرة سومطرة ومما ذكره عن رحلته إليها قوله: «ودخلنا إلى حضرة السلطان وهي مدينة سُمَطْرة، مدينة حسنة كبيرة، عليها سور خشب وأبراج خشب. وسلطان الجاوه هو السلطان الملك الظاهر... شافعي المذهب محب للفقهاء... وهو كثير الجهاد والغزو ومتواضع، يأتي إلى صلاة الجمعة ماشياً على قدميه. وأهل بلاده شافعية محبون في الجهاد، يخرجون معه تطوعاً». وأشار ابن بطوطة إلى إكرام القوم له وحسن ضيافتهم ومقابلته للسلطان والصلاة به يوم الجمعة في مسجد المدينة. ووصف عادات وتقاليد خروج السلطان من المسجد، وأساليب الترحيب به. كما تحدث ابن بطوطة عن عادة الزواج في سومطرة والأمور المتعلقة بها.

ومن الأهمية بمكان القول، إن الإسلام لم يدخل وينتشر في أندونيسيا وسومطرة بواسطة الأساليب العسكرية، إنما بواسطة الدعاة والتجار. وقد حمل تجار العرب معهم الإسلام إلى سومطرة في القرون الأولى للهجرة، لأن العرب وصلوا إلى تلك الديار، كما كانت التجارة مع سيلان في القرن الثاني الهجري تحت سيطرتهم. علماً أن بعض الفقهاء قد وصلوا إلى سومطرة من جنوبي الهند. ويستدل على ذلك من بعض خصائص العقيدة والتصوف السائدة في الأمور الإسلامية في سومطرة. ويدل الأصل الهندي الجنوبي على الصورة التي اتخذها الإسلام في أندونيسيا والشواهد الدينية والأدبية واللغوية وهي كثيرة. وهي كلها تشير إلى دلائل عن كيفية دخول الإسلام بأساليب سلمية أو اقتصادية.

وانتشار الدين الإسلامي في أندونيسيا كان بصورة تدريجية، ونتيجة لاستيطان التجار المسلمين وتزوجهم من نساء المنطقة، الأمر الذي أدى إلى تزايد المسلمين وتوسيع نطاق انتشار عقيدتهم. وكانت «آجيه» في أوج تقدمها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر وكانت أهم دولة إسلامية في سومطرة. وكان انتشار الإسلام في هذه المنطقة قد أثر على الوثنيين من أهل الجنوب، فاعتنقوا الإسلام على مراحل، علماً أنهم في البدء حاربوا انتشار الدين الجديد وجرت حروب بين المسلمين وبين «الباتاك» من القبائل الوثنية، الذين ظلوا يقاومون دخول الإسلام، إلى أن استجابوا ولو متأخرين لاعتناق الإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين. أما الدعاة الأوائل للدعوة الإسلامية فمنهم: الشيخ برهان الدين، الشيخ إسماعيل، مولانا الملك إبراهيم، ومولانا المغربي.

ويعد أهل «آجيه» و«مننغاكاباو» من أشد الناس تحمساً وتمسكاً بالدين الإسلامي. ونتيجة للجهود الإسلامية المستمرة انتشر الدين الإسلامي في «بالمبانغ» بعد أن حل مكان الهندوسية. كما دخل الإسلام إلى القسم الجنوبي من سومطرة أو «لامبونغ» بواسطة الوعاظ والدعاة من أهل بانتن غربي جاوة التي تعد من أشد الأقاليم غيرة على الدين الإسلامي.

وتذكر بعض المعلومات إلى أن الإسلام في سومطرة أشير إليه لأول مرة عام ١٢٩٢ م على لسان الرحالة «ماركو بولو» الذي تحدث عن انتشاره في «فرلاق» أي برلاق وآجيه. وقد تأكد ذلك منذ أن حُلّت رموز الكتابات الموجودة على شواهد القبور الإسلامية القديمة في آجيه. وتشير المعلومات التاريخية إلى أن مؤسس المملكة

الإسلامية في «سامودراباساي» على الشاطىء الشمالي الغربي لآجيه قد توفي عام ١٢٩٧ م. وقد أطلق الكتاب العرب في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين على شمال سومطرة اسم رمى، الرمنى، والرمى ولمري وفنسور. وبين عام ١٤١٦ ـ ١٤٣٦ وصف السفير الصيني «شنغ هو» في كتابه بلاد آرو وسمودره ولمبولي على أنها دول إسلامية، وأن حاكم بلاد «آرو» يدعى السلطان حسين.

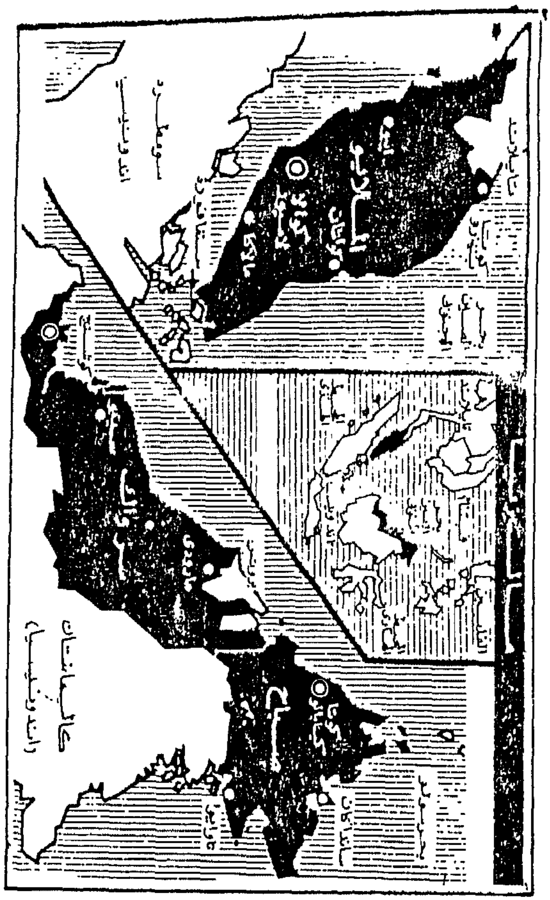
أما التسمية العربية لكل من جاوا وسومطرة في العهود المتأخرة فهي «ياوه» ومن ثم جاءت التسمية جاوه الكبرى وجاوه الصغرى في المصادر الأوروبية. هذا وقد فقدت سومطرة أهميتها التجارية بعد استيلاء البرتغال على ملقانة عام ١٥١١ وحلت محلها آجيه. وسرعان ما غزت البرتغال أهم البلاد في شمال سومطرة وسيطرت على مقدراتها، ودخل الدين المسيحي إلى البلاد مع الغزو البرتغالي والهولندي للبلاد.

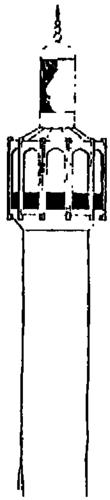
أما العادات الإسلامية في أندونيسيا عامة وسومطرة خاصة فهي عادات ارتبطت بالعقائد الإسلامية وأركان الإسلام. فسومطرة كغيرها من المدن الإسلامية تستقبل شهر رمضان باحتفالات دينية وتلاوات قرآنية ابتداء من شهر شعبان المعظم حيث يبدأ الإعداد للأطعمة الشعبية المرتبطة بهذه المناسبة. وما أن يعلن رؤية هلال رمضان المبارك حتى يتوافد المسلمون إلى المساجد تقرباً إلى الله عز وجل. وتبدأ حلقات الذكر والتلاوة والمدائح النبوية حتى الساعات الأولى من الفجر. كما تحتفل المدارس والجامعات بهذه المناسبة. ويكثر الذكر والتلاوات في المنازل حيث يجتمع أفراد العائلة.

أما ليلة القدر فالاحتفال بقدومها لا يقل عن الاحتفال بقدوم شهر رمضان المبارك، فيكثرون من الأعمال الخيرية وتوزيع الطعام، ويحرص كل فرد على وضع الشموع في إناء من الفخار أمام منزله ليشعلها ابتداء من عشرين رمضان وحتى نهاية الشهر. وتعرف سومطرة وباقي المدن الأندونيسية المسحراتي على غرار بلدان العالم الإسلامي. وتبقى الاحتفالات مستمرة إلى موعد عيد الفطر السعيد حيث يتم الاحتفال به بشكل لافت للنظر على الصعيد الحكومي والشعبي. ويحرص أبناء سومطرة على تأدية فريضة الحج مع بقية الأندونيسيين، علماً أن وضعهم المادي لا يسمح لهم كثيراً بمثل هذه التأدية، ولكن يحرصون على أدائها مهما كلفهم ذلك.

هذا وتنتشر في سومطرة الآلاف من المساجد والزوايا والعديد من المدارس والجامعات والمعالم الأثرية والصحف والمجلات والإذاعات والتلفزيون. ولغة البلاد هي اللغة الأندونيسية وبعضهم يتكلم اللغة العربية، علماً أن في أندونيسيا ٣٠٠ قومية تتميز بلغاتها وعاداتها وتقاليدها، كما توجد في البلاد (٢٥٠) لغة محكية، ولغة رسمية واحد تسمى «بهاسا».

# كوالا لمبور





# كوالالمبور

كوالالمبور عاصمة ماليزيا، وماليزيا دولة اتحادية عضو في الكومنولث البريطاني.. تقع في جنوب شرقي آسيا وبين بحر الصين الجنوبي من الشرق وخليج ملقا من الغرب. وهي شبه جزيرة. مساحتها ٣٣٣,٦٧٦ كلم٢، عدد سكانها حوالى (١١) مليون نسمة. أما عدد سكان العاصمة كوالالمبور فيقارب ٦٠٠ ألف نسمة.

أما فيما يختص بكيفية دخول الإسلام إلى هذه المنطقة ومناطق جنوب شرقي آسيا، فإنه لم يتم عن طريق الفتح أو الغزو، بل دخل الإسلام مع دخول التجار المسلمين إلى هذه المناطق. وكان هؤلاء التجار دعاة للإسلام في الوقت ذاته وكانت سفن التجار العرب تبحر من جنوب الجزيرة العربية ومن الخليج العربي، وتمر بجزر «لكديف»، ثم تواصل سيرها إلى ساحل ملبار على شاطىء الهند الغربي، حيث تستريح في «كمباية وقاليقوت» ثم تتزود وتمضي في رحلتها حول شبه جزيرة الهند مارة بجزيرة سرنديب أي سيلان. ثم يواصلون السير حول سواحل الهند الشرقية حتى يبلغوا ساحل شبه جزيرة الملايو، ويستأنف بعض التجار رحلتهم إلى سومطرة، ومنهم من واصل رحلته إلى كانتون على ساحل الصين الشرقي.

وهكذا يلاحظ بأن هذه الرحلات التجارية واتساع دوراتها كانت العامل الأول في انتشار الإسلام في ماليزيا وجنوب شرقي آسيا. ومما ساهم أيضاً في انتشار الإسلام حُسن إسلام التجار المسلمين، وحُسن أخلاقهم، وبفضل أخلاقهم وصدقهم وأمانتهم وتجارتهم القائمة على الإخلاص والصفاء والابتعاد عن الغش. أحب أهل البلاد هذه الفضائل، فاعتنقوا الإسلام وأصبحوا هم أنفسهم دعاة له فساهموا في نشره ونشر مبادئه.

والحقيقة فقد تأسست عدة دول إسلامية في المنطقة مثل «ترنجانو» التي عثر فيها على كتابات بالحروف العربية يرجع تاريخها إلى عام ١٣٠٣ هـ ومثل ولاية «كلنتان» ودولة «ملقا» التي أسسها أحد أمراء سومطرة الذي اعتنق الإسلام وسمى نفسه محمد اسكندر شاه. وأصبحت هذه الدولة من أكبر السلطنات الإسلامية في القرن الرابع عشر الميلادي إلى أن سقطت بيد البرتغاليين عام ١٥١١ م. ثم خضعت البلاد للهولنديين ثم للإنجليز عام ١٨٠٠، ولم تنل البلاد الاستقلال عن الإنجليز إلا في عام ١٩٥٧.

- بالرغم من أن كوالالمبور مدينة عصرية، غير أن ملامحها ومعالمها تشير إلى سماتها العربية والإسلامية في مبانيها وعمارتها ومساجدها وعاداتها وتقاليدها، لا سيما وأن ماليزيا هي الدولة الوحيدة في شرق آسيا ينص دستورها على أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي، مع الاعتراف بحرية الأديان الأخرى.

من معالم كوالالمبور الأولى التي تواجه زائرها مطار «سوبانج» الدولي، وهو مطار العاصمة الحديث الذي يضاهي المطارات الأوروبية برحابته ونظافته وتتدفق الحركة فيه بسهولة وسرعة. وفي

مـداخل العـاصمة أبنيـة متشابهـة الطلاء والـطراز، فأكثـرها أبيض اللون، وبعضها بسقوف قرميدية.

وعلى ضفة النهر يظهر الجامع القديم بسماتـه العربيـة الثريـة بمظاهر الفن الإسلامي. كما يوجد في كوالالمبور الجامع الـوطني الكبيـر الذي أنشيء تخليـداً لذكـرى استقلال البـلاد، وهو يتسـع لحوالى عشرة آلاف مصلٍ. وبناؤه يعبر عن روح العمارة الإسلامية والزخارف العربية. وقد ألحق بالجامع قـاعات كبيـرة للاحتفـالات ومكتبة وغرفة استراحة وغرف لإيواء الغرباء عن البلاد. وأقيم بجوار المسجد ضريح لأبطال الاستقلال. كما أقيم على ضفـاف البحيرة النصب التذكاري للشهـداء الماليـزيين. وفي جنوب البحيـرة أقيم المتحف الوطني الذي يضم معالم من التاريخ الماليزي، كما يضم آثار إسلامية متنوعة، وعدة مخطوطات قديمة للقرآن الكريم.

ومن معـالم كـوالالمبـور أيضـاً مبنى استـاد نيجـارا (الاستـاد الوطني) وهو ملعب ضخم يتسع لعشرة آلاف مشاهد، وقد أنشيء في وسطه مسرح متحرك يتسع لأربعين ألف مشاهد، ومن معالمها دار البرلماني المؤلف من (١٨) طابقاً.

ومن معالم كوالالمبور الفنادق العالمية التي تزيد على (١٢٠) فنـدقاً، ممـا يشير إلى أن العـاصمة والبـلاد تستقبـل المـلايين من السياح سنوياً. كما تتميز العاصمة بوجود حدائق غنّـاء، وبالمنـاظر الخـلابـة السـاحـرة التي تجـذب السيـاح. كمـا حـولت الجبـال والمرتفعات والغابات إلى منتجعات سياحية، وأقيمت بالقرب منها بحيرات ونافورات صناعية

ومن ملامح ومميزات شوارع كـوالالمبور انتشـار ظاهـرة البط المشوي حيث يقوم الباعة ببيعه على الأرصفة. وفي الـوقت نفسه

يوجد في المدينة مطاعم مميزة وفاخرة تقع على ضفاف نهر خاكي. حيث تتعالى الموسيقى الشرقية والأغاني العربية لكبار المطربين والمطربات العرب. كما تشتهر البلاد بانتشار المياه المهضمة المصنوعة من الأعشاب الطبيعية.

أما العادات والتقاليد في البلاد، فكوالالمبور تعتبر مدينة المهرجانات والأعياد الدائمة نظراً لكثرتها وتعددها وتعدد مناسباتها. فالسكان يحرصون على ارتداء الأزياء الشعبية لا سيما في المناسبات والمهرجانات أما الأزياء الأفرنجية فتلبس إلى جانب الأزياء التقليدية. ويهتم المسلمون في البلاد بالاحتفال بالأعياد الإسلامية لا سيما عيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك. كما يحتفلون بذكرى المولد النبوي الشريف في استاد الحرية (استاد مرديكا) حيث تتلى الآيات القرآنية الكريمة تعقبها المحاضرات حول المناسبة، ثم الأناشيد الدينية المعروفة في البلاد العربية. بعد ذلك تبدأ مسيرة باللباس الوطني الشعبي يتقدمها الملك ورئيس الوزراء ورجال الدولة وسفراء الدول الإسلامية، باتجاه المسجد الوطني الكبير (مسجد نيجارا) حيث تؤدى الصلوات وتوزع الحلوى ويتم تبادل التهاني.

ويحرص المسلمون في البلاد على صوم شهر رمضان المبارك، حيث تتميز الاحتفالات بقدومه. كما يحرصون على أداء فريضة الحج، وقد أنشيء لذلك «مؤسسة الادخار لشؤون الحج» لمتوسطي الدخل للمساعدة في تأديتهم شعائر الحج.

تتكون الأمة الماليزية بالدرجة الأولى من العناصر الملايوية والصينية والهندية، بالإضافة إلى بعض العناصر الأوروبية. ونوجد

قبائل متخلفة تحيا في الغابات حياة بعيدة كل البعد عن الحضارة، وبواسطة الدعاة المسلمين بدأت ملامح المدنية تدخل إلى هذه المناطق، وبدأت بعض القبائل تدخل في الإسلام.

أما اللغة المستخدمة في البلاد فهي الماليزية والانجليزية والعربية والتاملية، غير أن اللغة الماليزية هي اللغة الرسمية لكل عناصر الأمة والهدف من ذلك توحيد عناصر الشعب في بوتقة واحدة، لا سيما وإن هناك لغات أخرى مستخدمة مثل الصينية والهندية. والأمر الملاحظ أن بعض المؤسسات أو الحوانيت تستخدم الحروف والأسماء العربية بالإضافة إلى الحروف واللغات الأخرى. وفي الإذاعة والتلفزيون يذاع القرآن الكريم والأذان باللغة العربية، غير أن تفسير القرآن الكريم يتم باللغة الماليزية.

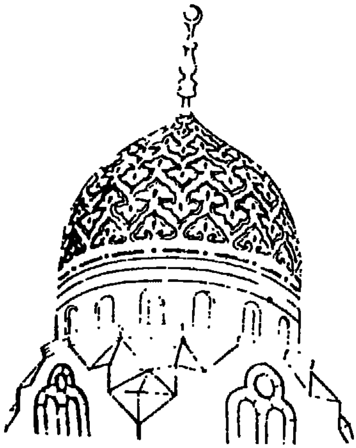
ومما يميز البلاد المناخ والنباتات الاستوائية فالسماء تمطر طوال العام كما أن الغابات تغطي ثلثي ماليزيا. ولكن الدولة استطاعت استثمار هذه الغابات لأهداف سياحية. أما الاقتصاد الماليزي فإنه يقوم بالدرجة الأولى على زراعة وإنتاج المطاط الذي نقل بذوره من البرازيل إلى ماليزيا بواسطة الانجليزي هنري ويكهام عام ١٨٧٣. ونظراً لتوفره في البلاد، فإن الشوارع رصفت به فأصبح السير عليها ناعماً بلا ضجيج، كما تهتم البلاد بزراعة أشجار نخيل الزيت، واستثمار القصدير وإنتاج الأرز وصيد الأسماك. وتعتبر «بتالنج جايا» في ضاحية كوالالمبور أكبر منطقة صناعية في جنوب شرق آسيا، تضم ما يزيد على مئة مصنع، تصنع كل المعدات والآليات الصناعية من إبرة الخياطة إلى الجرارات، والمعدات الكهربائية والمواد الغذائية والصابون والبسكويت والسجائر والمشروبات الهضمة والغازية.

وفي كوالامبور جامعات ومعاهد أحيطت بسكن للأساتذة وللطلاب منها: الجامعة الإسلامية. كما أنشأت الدولة مؤسسة الدعوة الإسلامية ومؤسسة الاقتصاد الإسلامي. كما أقامت معاهد تجارية ومعاهد وكليات اقتصادية وتجارية ومعاهد العلوم والتكنولوجيا. وساهمت الدولة في إرسال بعثات طلابية إلى جامعات العالم العربي والإسلامي لتلقي علوم الدين والدعوة. وقد أسس هؤلاء الطلاب بعد تخرجهم «اتحاد الشباب الملايوي» الذي ساهم بفعالية في استقلال البلاد عن الإنجليز. بالإضافة إلى ذلك فإن ماليزيا تهتم بالتعليم الابتدائي والتكميلي والثانوي.

هذه هي كوالالمبور تلك المدينة العصرية التي تحمل مزايا العصر الحديث وتراث الماضي والحاضر الإسلامي والعربي.

# القوقاز





# القوقاز

يحد القوقاز أو قفقاسيا شرقاً بحر الخزر وغرباً البحر الأسود وتمتد بينهما جبال القفقاس، وشمالاً نهر تَرَكْ وقوبان وجنوباً نهرا كُرْ وربيون. وتسمى قفقاسيا «القفقاس». وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً - سلسلة جبال قفقاسيا.

ثانياً - القسم الواقع شمال تلك السلسلة.

ثالثاً - القسم الواقع جنوبها.

واستناداً إلى تقسيم الجغرافيين ينقسم سكان القفقاس إلى قسمين:

أولاً - السكان الأصليون.

ثانياً - الأجانب.

أما السكان الأصليون فهم: الجراكسة، الكُرْج، الداغستانيون، الچچن، القوصحة (أستين) والأرمن.

وأما الأجانب فهم: التتار، الترك، الروس، العجم، الألمان، اليهود.

وكان عدد سكـان القوقـاز في أوائل القرن العشرين في العهد العثماني يقارب إثني عشر مليوناً من الأنفس. أما الأديان المنتشرة بين السكان فهي: الإسلام وهم الأكثرية، والنصرانية، واليهودية.

لقد تشكلت في قفقاسيـا في الأزمنة السـابقة عـدة حكومـات وهي:

- حكومة بلاد الچركس.
- حكومة بلاد الداغستان والچچن.
- حكومة بلاد الكُرج.
- حكومة الأرمن.
- حكومة البانيا.
- حكومة سوآنه تي.

ونظراً لأهمية ودور الجراكسة في تاريخ قفقاسيا، فإننا سنتناول تـاريخهم وأوضاعهم في مـدينتهم ومناطقهم. فكلمـة «أدغْـة» هـو الاسم القومي للجراكسة ومعناهـا «الإنسان الكـامل». وقـد أجمع علماء الأنساب والأنتروبولوجيا، على أن قفقاسيا كانت مهد الجنس الأبيض، ونسبوا إليها جميع البيض سكان آسيا وأوروبا وأسمـوهم بـالجنس القفقـاسي. وأشيـر كثيـراً لجبـال القفقـاس في الكتب المقدسة وذكرت فيها باسم جبل «قـاف». والجراكسـة أقدم الأمم الذين سكنوا قفقاسيا من آلاف السنين. وأول من كتب عن قفقاسيا والجراكسة هم اليونان والرومان لا سيما هيرودوت وسترابون وبلين (Pline). بل أشار الفراعنة في نقوشهم في مصر، والأشوريين في بلاد ما بين النهرين إلى بلاد القفقاس. كما كتب الطبري عن هذه البلاد وعن شعبها الجركسي.

أما فيما يختص بلغة الجراكسة في القوقاز، فإنها غير مدونة. وعلماء اللغة يقرون أن لا تشابه بين لغة الجراكسة وبين لغات العرب أو الروم أو سائر الأقوام القديمة. علماً أنها تأثرت فيما بعد باللغة العربية وألفاظها ومصطلحاتها.

ومرت القوقاز بأدوار سياسية عديدة. فمنذ أواخر القرن الأول الميلادي انتشرت المسيحية في جنوب البلاد ووصلت لبلاد أباظة. وفي القرن الثالث الميلادي دخلت البلاد تحت سيطرة البيزنطيين. كما استولت الصين في القرن الرابع للميلاد على جزء من جنوب القفقاس. ومرت قفقاسيا بدور سياسي هام ابتدأ من أوائل القرن السابع للميلاد لغاية القرن الثامن عشر الميلادي ومدته ألف سنة تقريباً، ويبتدىء بدخول العرب إلى جنوب قفقاسيا وانتشار الدين الإسلامي سنة ٢٢ هجرية، وتأسيس حكومة عربية في البلاد.

ولما أسس العثمانيون حكومتهم في الأناضول في القرن الثالث عشر. ثم فتحوا القسطنطينية وأسقطوا الامبراطورية البيزنطية في القرن الخامس عشر الميلادي دخل الجراكسة تحت نفوذ العثمانيين الاسمي. ثم احتل العثمانيون بعض المواقع على سواحل البحر الأسود. وفي عهد بطرس الأكبر تقدم الروس ووسعوا حدودهم في منطقة الداغستان واحتلوا مضيق قفقاسيا الشهير. وهذا أدى بدوره إلى تزايد الصراع الروسي ـ العثماني على المنطقة لا سيما في القرن الثامن عشر. ولما جاء المغول من آسيا، لم يستطع العثمانيون ولا الروس الوقوف في وجههم. وشهدت قفقاسيا دور الانقراض والزوال في أوائل القرن الثامن عشر عندما قررت روسيا ضمها إليها. وانتهى ذلك الدور باندحار القفقاسيين بما فيهم

الجراكسة وانكسارهم انكساراً تاماً أمـام قوات الـروسيا وهجـرتهم العامة من بـلادهم ابتداء من عـام ١٨٦٣، وابتدأت هجـرتهم إلى مختلف الأمصار والأقطار.

ومن زعمـائهم المشهورين في الجهـاد ضـد الـروس الـزعيم القوقازي الشهيـر «شامـل». أما أهم مـدنهم فهي: سيـواستپـول، وإنجرمان، ونارتسانا، وصوجي، وبسوهابه. أما «ته رَك قالـه» فهي عاصمة جمهورية شمال القوقاز.

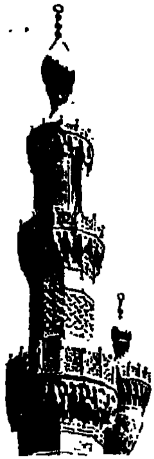
أما فيما يختص بنظام الحكم في قفقاسيا، فقد قضت التقاليد القومية بأن يتولى إمارة القبيلة أمير من العائلات النبيلة «بشي» وأن تنتقل إليه الإمارة بالوراثة. أمـا الدعـاوى والمنازعـات العاديـة بين أهالي قفقاسيـا فهي من اختصاص شخص يسمى «الـوَرْقْ» يحكم حسب نصوص الشريعة الإسلامية. وبلاد الجراكسة عمـوماً تـدين لقـانون واحـد عرف بـاسم «الأديغة خـابزه» المستمـد من التقاليـد والعادات القديمة.

وفي قفقاسيا تتسم الحياة الاجتماعية بملامـح خاصـة مميزة. فالزواج له قيود وشروط وعادات. والسيدات لهن احترامهن في نظر الرجال. والجراكسة يربون أطفـالهم وفق عاداتهم وتقـاليدهم. ولا تزال هذه العادات والتقاليد منتشرة في مجتمعـات الجراكسـة أينما وجدوا مثل روسيا والأردن وسوريا وسواهـا، حيث يحافـظون على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وملبوساتهم الشعبية.

أما فيما يختص بالملامح الأثرية في قفقاسيا، فلا تزال توجـد بعض الحصـون والقـلاع في جهــات «انجـرمــان» بـالقــرب من

«سيواستپول» في شبه جزيرة القرم من آثار القبرطاي. وتوجد بعض آثار لحصون قديمة بين نهري «چَجْم» و«باقسان»، ومعابد في جهات مجرى نهر كوبان الأعلى. وتوجد بعض الآثار في جهات «زلنجوق» و«چولات» وآثار شهيرة في «ملقا» و«برغوسانت». وفي برغوسانت عين مياه جارية كان لها مقام مقدس كانوا يسمونها «پسناج» أي العين المباركة.

والحقيقة فإن بلاد قفقاسيا بما تزخر من أمم وشعوب وعادات وتقاليد وآثار، تعتبر من البلاد الإسلامية التي نساها الزمن، ولعل الانتشار الشركسي في بعض البلدان العربية هو الذي يذكرنا بماضي هذه الأمة وتاريخها المجيد.



# باكو

مدينة باكو: هي عاصمة أذربيجان، وهي من المدن الإسلامية العريقة، وتقع اليوم في الاتحاد الروسي الجديد. وهي تقع في القسم الجنوبي من شبه جزيرة أبشيرون على الساحل الغربي لبحر قزوين، كما لو أنها كانت مدرجاً متعدد الطبقات يلتقي عند الخليج. وتتميز بمناخ معتدل مشمس صيفاً ومعتدل شتاء.

وتعتبر «باكو» من المدن الإسلامية التي كانت تابعة للخلافة الإسلامية عبر التاريخ. وشهدت فترات عديدة من الرقي والتطور الحضاري والثقافي والفني. ففي القرنين الثاني عشر والخامس عشر الميلاديين كانت «باكو» مركز دولة شيروان، وكانت خطوط التجارة البحرية في قزوين تمر عبرها. وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين كانت قلعة «باكو» تعتبر واحدة من أقوى القلاع فيما وراء القفقاس، وقد نشبت حولها العديد من المعارك الحربية. وفي أوائل القرن التاسع عشر كانت باكو، تضم ما يقارب خمسة آلاف، من المسلمين يعيشون داخل السور والقلعة.

وبسبب التطورات والصراعات الاقليمية والدولية، وبسبب

التنافس على مناطق أذربيجان، فقد ألحقت باكو في عام ١٨٠٦ بروسيا القيصرية.

والأمر الملاحظ أن سكان «باكو» يمتازون بجدية في العمل والمثابرة على الرقي والتقدم، وقد ساعدهم على ذلك أن منطقتهم تذخر بالثروات النفطية والمعدنية في بطون أبشيرون كما يعتبر مرفأ باكو أكبر ميناء في قزوين.

ثم ما لبثت أن تطورت حركة الملاحة والتجارة فيها. وفي مستهل القرن العشرين لم تكن توجد في روسيا القيصرية مدينة تضاهي باكو من حيث نطاق توسع الأراضي وسرعة تزايد السكان الذي يبلغ عددهم حالياً أكثر من مليونين ونصف المليون نسمة.

وتعتبر باكو من أكبر المراكز الصناعية والعلمية والثقافية ليس في أذربيجان فحسب، وإنما في الاتحاد السوفيتي (سابقاً). ويعتبر النفط عماد الصناعة في باكو، فمن المواد النفطية يستخرج الكاوتشوك الاصطناعي والمواد الطبية والروائح العطرية والألياف الكيمائية. كما تتميز باكو بأنها منطقة صناعية وعمالية، حيث تنتج الآلات الكهربائية والمعدات الزراعية والمنتجات الغذائية والأقمشة ومواد البناء، وصناعة تكرير البترول.

ومن مميزات وملامح «باكو» وجود المعاهد والمدارس والجامعات والكليات متعددة الاختصاصات الطبية والنفطية والكيمائية والمعهد البولوتكنيكي ومعهد الطب ومعهد التربية البدنية ومعهد الفنون ودار المعلمين والمعلمات والكونسرفتوار. وتعتبر جامعة باكو من أهم الجامعات في المنطقة، حيث تتميز بتطورها ورقيها العلمي. وتضم أكاديمية العلوم في جمهورية أذربيجان ما

يقارب ثلاثين معهداً علمياً في مختلف الاختصاصات. كما تضم «باكو» أكثر من مائة وخمسين مكتبة عامة وستة عشر متحفاً وستة مسارح ومحطة للاذاعة والتلفزيون. وتصدر في باكو ست وسبعين صحيفة ومجلة بثلاث لغات.

ومن ملامح باكو الإسلامية مساجدها الأثرية المتعددة المبنية على الطراز المعماري الإسلامي. ومن ملامحها أيضاً قلعتها الأثرية التاريخية التي بنيت ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي. ومن التحف الإسلامية المعمارية الأذربيجانية قصر الشيروانشاهيين الذي أقيم في القرن الخامس عشر الميلادي. كما يلاحظ وجود الكثير من المزارات والمقامات الدينية الإسلامية بقبابها ومقرنصاتها المشهورة التي تتشابه مع مقرنصات جامع قرطبة في الأندلس.

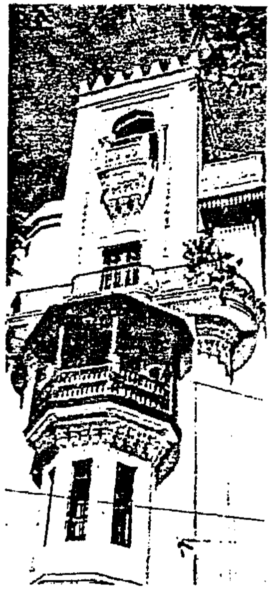
ولا تزال باكو تحتفظ بشوارعها الأثرية القديمة، حيث يلاحظ المُشاهد التراث المعماري الإسلامي لا سيما نظام المشربيات الخشبية التي تطل على الشوارع. ومن ملامح باكو أيضاً البرج الشهير المشهور «ببرج البنات».

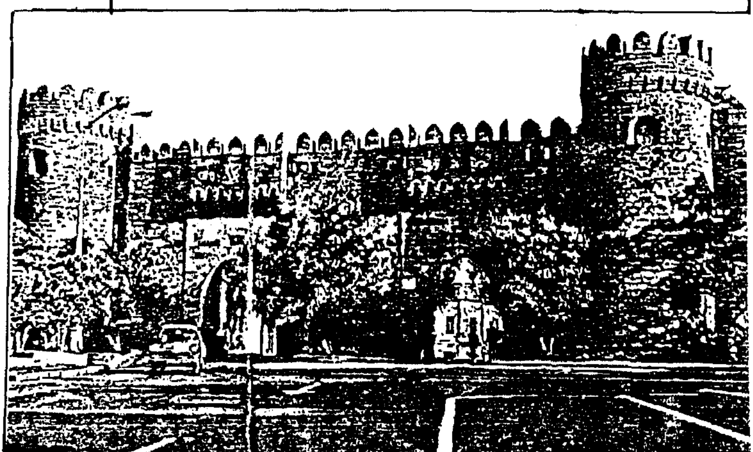
أما فيما يختص بالعادات والتقاليد، فلا يزال أهل باكو يتوارثون الكثير من العادات والتقاليد الإسلامية، بما في ذلك المأكولات الشرقية. وتضم البيوت الاذربيجانية ومتحف باكو آيات من التراث الفني والصناعي الإسلامي مثل السجاد والأواني النحاسية والفضية المنقوشة بنقوش على غاية من الجمال بالإضافة إلى منحوتات وتحف أخرى.

ومن ملامح باكو الأثرية تمثال الشاعر نظامي الذي عاش فيها في القرن الثاني عشر الميلادي وتمثال الشاعر فضولي الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي. وهذا يدل على ما أنجبته باكو من رواد في ميدان الشعر والأدب والعلم.

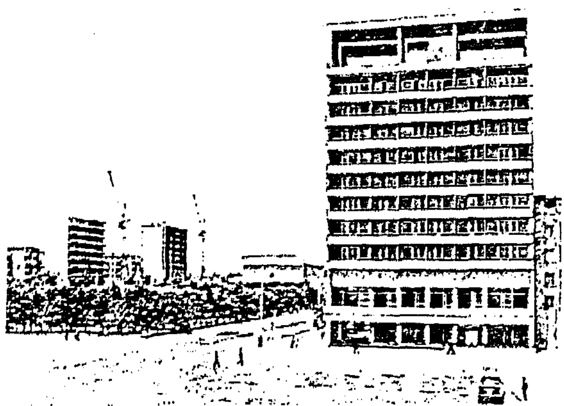
باكو مدينة من الماضي تحمل مآثره وحضارته وتطل على الحاضر والمستقبل.





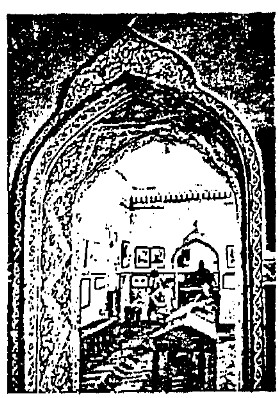


يبدأ تعرفنا على باكو من جدران القلعة القديمة، تلك الجدران التي أنشئت في القرون الثاني عشر ـ الخامس عشر.

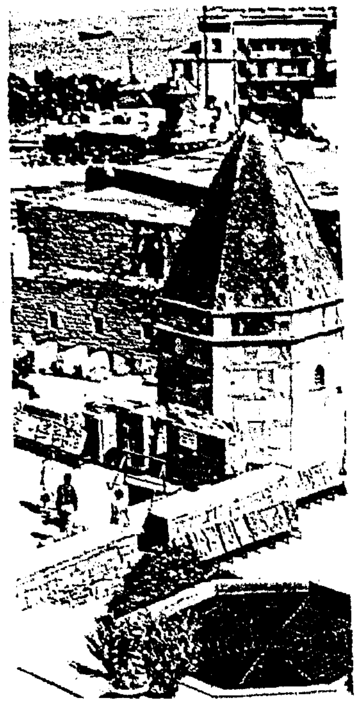


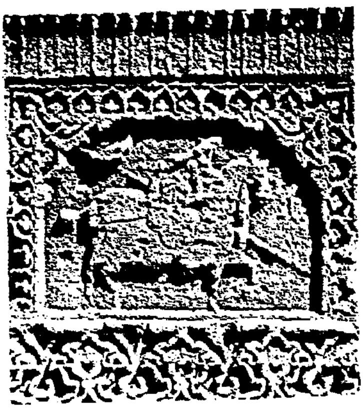
ارتسمت ملامح المدينة ومعالمها طوال القرون.





تمثال الشاعر نظامي (القرن الثاني عشر).

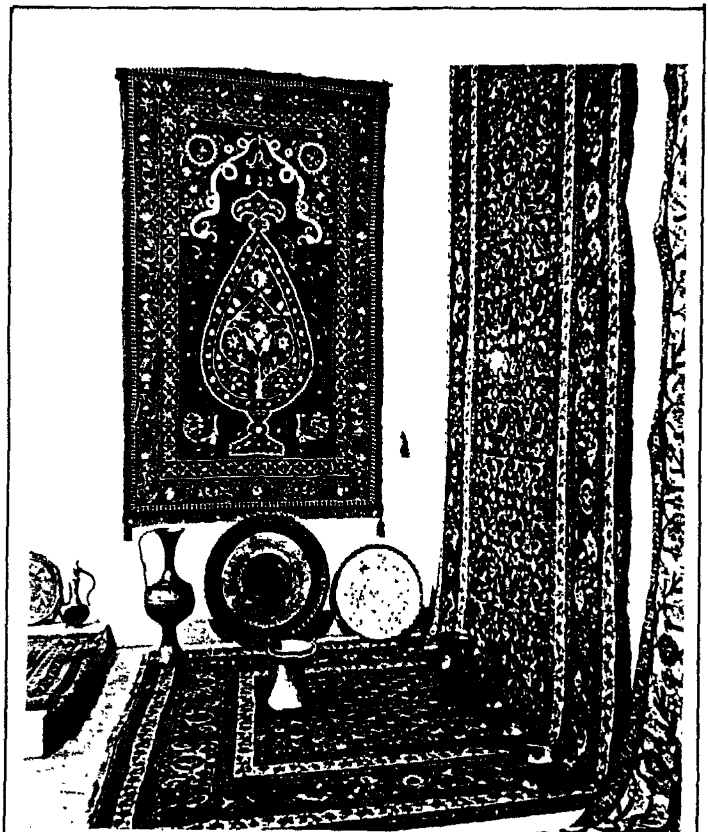


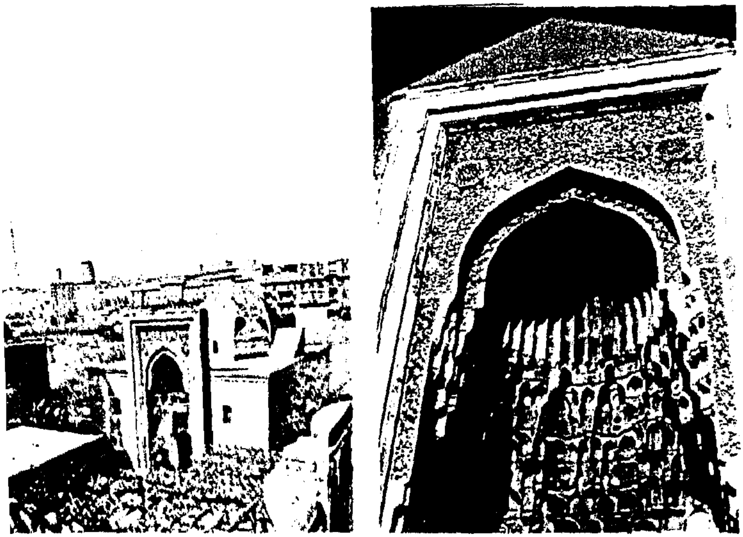


قصر الشيروانشاهيين (القرن الخامس عشر) وهو من تحف العمارة الأذربيجانية.

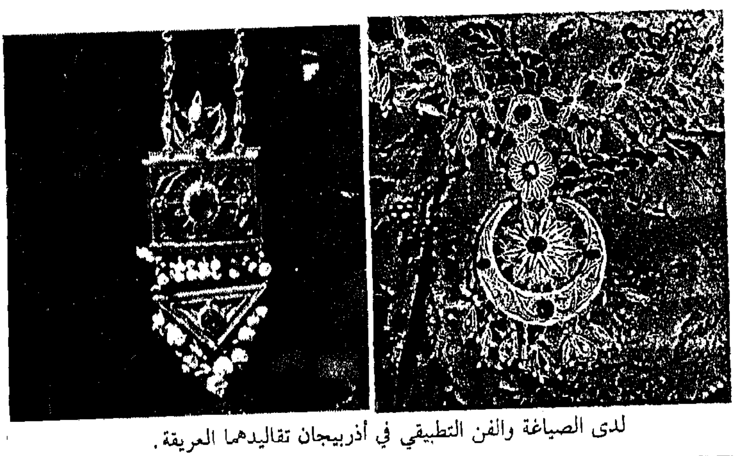


تمثال الشاعر فضولي (القرن السادس عشر) ومكتبة آخونـدوف
(القرن التاسع عشر).





تبدو القلعة كجزيرة صغيرة في باكو العصرية.



لدى الصياغة والفن التطبيقي في أذربيجان تقاليدهما العريقة.

# مدن وشعوب اسلامية

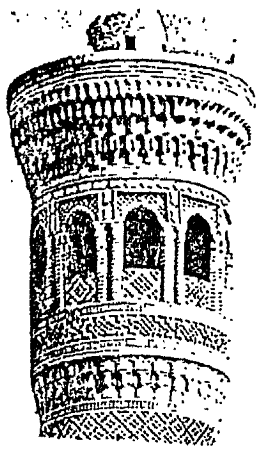
ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية

- التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري -

الدكتور حسّان حلاق

4: الكتاب الرابع

دار الراتب الجامعية - سوفنير



# سمرقند

تقع سمرقند في بلاد ما وراء النهر حسب التعابير التاريخية، وهي اليوم ثاني مدن جمهورية أوزبكستان السوڤيتية. وكانت من المدن الإسلامية الهامة في الجناح الشرقي لديار الإسلام. وكانت سمرقند عاصمة بلاد ما وراء النهر لمدة خمسة قرون منذ عهد السامانيين إلى عهد التيموريين. وقد أطلق عليها الرحالة العرب اسم «الياقوتة» الراقدة على ضفاف نهر زارافشان. وهي المنافسة التاريخية لبخارى، وهي العاصمة الرائدة التي أعدها تيمورلنك لتحتل الصدارة في عهده.

وكان لسمرقند عبر التاريخ سور قديم وأربعة أبواب: هي باب الصين الذي يقود إلى الشرق، وباب بخارى إلى الشمال، وباب النوبهار إلى الغرب، والباب الكبير أو باب كش إلى الجنوب الذي يرتبط باسم بلدة كش موطن تيمور الأصلي. وقد أشار الأصمعي بأنه وجدت كتابة بالعربية اليمنية الحميرية عند باب بخارى هذا نصها: «بين المدينة وبين صنعاء ألف فرسخ وبين بغداد وبين أفريقية ألف فرسخ، وبين سجستان وبين البحر مائتا فرسخ، ومن سمرقند إلى زامين سبعة عشر فرسخاً». سكان سمرقند حوالى ٣٠٠ ألف نسمة. مناخها قاري كالمناخ السائد في آسيا الوسطى.

وكانت فتوحات المسلمين لمناطق وراء نهر جيحون قد بدأت منذ عام ٤٦ للهجرة. وقد فتحت سمرقند بقيادة قتيبة بن مسلم في عام ٦٨ للهجرة. وتقدم الإسلام منها إلى الصين والهند وروسيا ذاتها، حتى إن الأراضي الروسية ظلت خاضعة للسيطرة التترية الإسلامية لمدة ثلاثة قرون، بل كان دوق موسكو يدفع الجزية سنوياً لأمير بخارى. هذا وقد ورد ذكر سمرقند ووصفها لدى الكثير من المؤرخين والرحالة العرب والمسلمين أمثال: الأصطخري وابن بطوطة وابن الأثير وياقوت الحموي، فأشاروا إلى موقعها وملامحها وخيراتها وعلمائها ومزاراتها وواقع الإسلام والمسلمين فيها. وأشارت المصادر التاريخية إلى أن سمرقند مرت عبر تاريخها بويلات وكوارث كان أهمها ثلاث: تدمير الاسكندر لها عام ٣٢٩ قبل الميلاد، وكانت تعرف وقتذاك باسم «مرقندا». والمرة الثانية التي تعرضت فيها للتدمير كانت في عهد جنكيزخان عام ٦١٧ هجرية - ١٢٢٠ ميلادية. أما التدمير الثالث فكان على أيدي الأوزبك حوالى منتصف القرن التاسع الهجري - القرن الخامس عشر الميلادي. وكانت قبائل الأوزبك حتى هذه الفترة لم تعتنق الإسلام.

والأمر الملاحظ إن المعالم الإسلامية العديدة في سمرقند لا تزال إلى اليوم تميز ملامحها وأهلها وآثارها. ومن أهم معالمها الأثرية التي تشهد على تاريخ المسلمين في سمرقند منشآت «شاه زنده» وتتضمن الكثير من المؤسسات والآثار الإسلامية منها: ضريح قثم بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي محمد ﷺ، الذي قيل بأنه استشهد في فتح سمرقند عام ٥٧ هجرية. وأقيم له ضريح على غاية من الروعة والجمال، غير أن تاريخ البناء الموجود حالياً

يعود لعام ٧٥٣ هجرية، وهو قد يكون تاريخ تجديد الضريح. وقد أشار ابن بطوطة في رحلته، بأن أهل سمرقند يخرجون كل ليلة اثنين وجمعة لزيارته، والتتر يأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة، ويأتون إليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير. ويضم الضريح ثلاث قاعات ومسجد وغرفة للعبادة والصوم.

والواقع فإن «شاه زنده» التي تعني «الملك الحي» تحولت بسبب ضريح ابن عم الرسول ﷺ إلى مجموعة من الأضرحة والمنشآت الدينية تقرباً وتكريماً. وكان ذلك كفيلاً بأن يوفر للأضرحة المقامة حول ضريح قثم وللمساجد أسباباً عديدة للعناية بها والإنفاق الكثير عليها، جعلت منها قطعاً فنية رائعة، واجتمعت لأجلها قدرات أمهر الفنانين والبنائين في عهد تيمورلنك وبعده، حتى أصبحت مجموعة «شاه زنده» من أهم التراث المعماري الفريد في آسيا.

وفي هذه المنطقة الأثرية الدينية مساجد حُوِّل بعضها إلى متحف لتاريخ الفن والحضارة في أوزبكستان، ومدارس عديدة. كما يوجد ضريح بُني فوق قبر العالم الفلكي قاضي زاده الرومي أستاذ الأمير أولوغ بك حفيد تيمورلنك وأمير سمرقند فيما بعد. كما توجد أيضاً مجموعة من الأضرحة تعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي عندما اختار تيمورلنك سمرقند عاصمة له. ومن الأضرحة المشهورة ضريح «طوغلوتكين» إحدى الأميرات المغوليات. وإلى جواره ضريح آخر عرف باسم «أمير زاده». وبجانبه مصلى صغير اسمه «زيارة خانه» غطيت جدرانه بنقوش كثيفة تلمع رغم الظلام النسبي الذي يسود المكان. وهناك ضريح هام هو بمثابة تحفة

معمارية وفنية هو ضريح الأميرة «شيوين بيكه آقا» شقيقة تيمورلنك. كما يوجد ضريح آخر لشقيقة أخرى لتيمورلنك هي الأميرة «تركان آقا».

ومن الملامح والمنشآت المميزة في منطقة «شاه زنده» مجموعة كاملة من المباني أنشئت بأمر من الأميرة «ترمان آقا» زوجة تيمورلنك، وتضم مسجداً (خانقاه) وضريح «ترمان آقا» الذي لا يقل روعة وجمالاً عن أي ضريح آخر في «شاه زنده» بل ويزيد عليها جميعاً ببوابة مكسوة بالفسيفساء ليس كمثلها بوابة أخرى. كما تضم هذه المجموعة حجرة متوسطة للخدمة.

ومن معالم سمرقند في شرق ميدان ريكستان، المسجد الجامع الذي شُيد في أواخر القرن الرابع عشر، ويطلق عليه اسم «مسجد بي بي خانم» زوجة تيمورلنك الكبرى. ويذكر بأن تيمورلنك هو الذي وضع أسس المسجد في أعقاب حملته الناجحة على الهند. وفي الجانبين الشمالي والجنوبي من المسجد يقوم مسجدان صغيران لكل منهما قبة تواجه الأخرى.

ومن معالم سمرقند الأثرية البارزة، مرصد الأمير أولوغ بك المقام عند سفح هضبة «تشو بان آقا». وقد بناه الأمير أولوغ بين عامي ١٤٢٨ ـ ١٤٢٩ م، وهو يحمل قيمة علمية وتاريخية. فقد كان من أكبر المراصد العلمية في الشرق. وكان أولوغ ذاته فلكياً بارزاً في العالم خلال العصور الوسطى. وله مؤلف ضخم باسم «الجداول الفلكية الجديدة» ضمنه كتالوج لـ«١٠١٩» نجمة مرتبة وفقاً للأبراج والازياج. وكان هذا المرصد مقاماً من ثلاثة طوابق، ضمت الأدوات الفلكية وأدوات الرصد.

ومن المعالم الأثرية الهامة في سمرقند ضريح الإمام البخاري الواقع في ضاحية سمرقند عند مشارف قرية «باي ازيق» حيث دفن هناك بعد وفاته في القرن الثالث الهجري عن اثنين وستين سنة، وذلك بعد هجرته من بخارى. وقد زار الضريح ابن بطوطة بعد وفاته بخمسمائة عام، وكان مدفوناً إلى جواره عدد من علماء بخارى. وقد أقيم بالقرب من ضريحه قبل سنوات قليلة مسجد حديث في أواخر السبعينات من هذا القرن. وإلى اليوم لا ينقطع المسلمون في سمرقند وضواحيها عن زيارة ضريح الإمام البخاري تبركاً وتقرباً حتى أن من العادات المألوفة إلى اليوم، هي زيارة العريس وعروسه الضريح لقراءة الفاتحة وليبارك الله هذا الزواج. وهي عادة شائعة عند الأوزبك، كما هي شائعة في بعض مناطق العالم الإسلامي. وكما هي شائعة عند مسلمي مدينة الاسكندرية الذين يزورون مسجد ومقام سيدي المرسي أبو العباس في جولة دينية بعد عقد القران، وكما كان يفعل أهل بيروت في العهد العثماني عندما كان العريسان يزوران مقام سيدي الإمام الأوزاعي.

ومن ملامح سمرقند أيضاً قبر تيمورلنك، حيث يتميز بقبته الباهرة التي تعلو الضريح. وهي قبة فيروزية مضلعة ومكسوة بكم هائل من زخارف الفسيفساء. ويسمى هذا الضريح باسم «كور أمير» أو مدفن خلفاء الأمير تيمور. وكورامير يطلق أيضاً على مجموعة من المباني المرتبطة باسم حفيد تيمور المعروف باسم محمد سلطان وتضم هذه المجموعة مدرسة خانقاه، والضريح الملحق بالمسجد، ومبان عديدة تطل مئذنة من كل ركن فيها. كما يتميز البناء بوجود حجر المرمر الرمادي السداسي الشكل وهو حجر العرش الذي لا يزال يطلق عليه الاسم التقليدي له «كوك طاش».

ومن أهم مدارس سمرقند التاريخية في قلب ميدان ريكستان ثلاث مدارس هي: مدرسة أولوغ بك، ومدرسة شيرادار أي عرين الأسد، ومدرسة طلا كاري أي المطلية بالذهب.

ومدرسة «اولوغ بك»، ذات واجهة مهيبة وعالية، وتنتصب حول بوابتها مئذنتان عاليتان، وتظهر قبة في ركن جانبي، والكل حافل بالنقوش البديعة. وكانت المدرسة تضم (٥٠) غرفة للدراسة والإعاشة ويدرس بها حوالى مائة طالب ثم ازداد العدد إلى أكثر من ذلك. وكان المبنى يشتمل على طابقين وأربع قباب عالية فوق قاعات الدراسة الركنية (درس خانه). وكان اولوغ بك قد تولى بنفسه التدريس في هذه المدرسة.

أما مدرسة «شيرا دار» فقد كانت في الأساس زاوية للصوفيين ومسجداً لهم. ثم أقام حاكم سمرقند في المكان ذاته هذه المدرسة العظيمة الموجهة لمدرسة اولوغ بك. ولكن الناظر إلى واجهتها لا يظنها مدرسة نظراً للفخامة والعظمة والروعة المعمارية التي تتميز بها لا سيما بابها وقببها والمنارتان اللتان انتصبتا بشموخ على مداخلها.

أما مدرسة «طلا كاري» فهي المدرسة الذهبية الفخمة التي تمثل المضلع الثالث في ميدان ريكستان، ويلاصقها المسجد. وهي تتميز بفن معماري جذاب وبثروة في الألوان والزخارف. وهي من بناء القرن السابع عشر الميلادي أي حوالى عام ١٦٤٦ م.

هذه المدارس الدينية والعلمية توقفت رسالتها الإسلامية بعد أن تحولت منذ عام ١٩١٨ إلى مبانٍ أثرية سياحية. وكانت

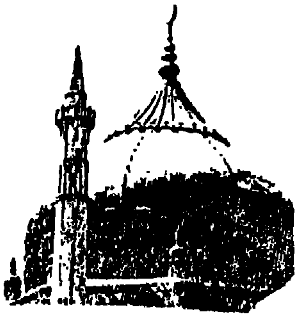
التحولات في هذه المناطق الإسلامية قد بدأت خطورتها تظهر عندما سقط بيد الروس أول حصن إسلامي عام ١٨٥٢ هو حصن «آق مسجد» في بلاد ما وراء النهر. وبينما كانت الدولة العثمانية تهدد في منتصف القرن السادس عشر وسط أوروبا وتزحف إلى افريقيا وآسيا، كانت روسيا القيصرية تهاجم المناطق الإسلامية حتى سقطت قازان في منطقة الفولغا، وبعدها دولة خانات ستراخان ثم مملكة سيبير المسلمة في سيبيريا. ثم اتجهت الجيوش الروسية إلى الجنوب إلى تركستان في القرن التاسع عشر. وتساقطت الخانات فيما وراء النهر الواحدة تلو الأخرى، حتى زحف ثمانية آلاف من جيوش الروس نحو سمرقند وعبروا نهر زارافشان في ١٣ أيار (مايو) عام ١٨٦٨ وسيطروا عليها في اليوم التالي.

وبالرغم من جميع التحولات السياسية والعسكرية في سمرقند، فإن معالمها وملامحها وسكانها وحياتها الاجتماعية لا تزال تزخر بالإسلام وبالحياة الإسلامية. ومن المرجح أنه بعد التحولات السياسية التي أدت إلى انهيار الاتحاد السوفيتي وبالتالي الشيوعية إلى تحرر المسلمين من الضغوطات التي سبق أن عانوا منها في مختلف المناطق (السوفياتية) الروسية.

# قازان


موسكو
ساري
ادمورت
نهر الفولغا
قازان
موردوف
تتاريا
أوفا
باشكيريا
أورنبورغ
نهر الفولغا
نهر أورال
كازكستان
بحر الخزر

# قازان



قازان عاصمة جمهورية تتاريا السوفيتية، وهي جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي (السابق). قامت عام ١٩٢٠. مساحة هذه الجمهورية ما يقارب (٦٨) ألف كلم مربع، وعدد سكانها حوالى ٤ ملايين نسمة. ويتجاوز عدد سكان العاصمة قازان مليون نسمة. وهي تقع في قارة أوروبا في الجانب الشرقي من جمهورية روسيا الاتحادية، يمر فيها نهر الفولغا ويلتقي بنهر كاما، كما يمر بموسكو أيضاً. ومدينة قازان تقع أيضاً على الجانب الأيسر من نهر الفولغا.

أما حدود جمهورية تتاريا فيحدها من الشرق جمهورية باشكيرية وتحدها من الغرب والشمال جمهوريات صغيرة ذات حكم ذاتي مثل: جوفاش، موردوف، ماري، ادمورت، وفي الجنوب تقع جبال الأورال وجمهورية كازاخستان الاتحادية وجمهورية شكالوف ذات الحكم الذاتي.

وكان معظم سكان هذه المناطق يدينون بالإسلام، ومن بينها جمهورية تتاريا. وأهالي قازان ومناطق تتاريا هم في الأصل من التتر المغول الذين سيطروا على أجزاء من آسيا وأوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي. وقد جاء هؤلاء التتر من شرق آسيا ووسطها أو من

وسط سيبيريا كما ترى بعض المصادر التاريخية. وبعد أن انحسرت سيطرتهم عن الشرق، ظل التتر يسيطرون على جميع مناطق روسيا وسيبيريا تقريباً. وظلت امبراطوريتهم حتى أواخر القرن الخامس عشر، حين تمزقت وانقسمت إلى خانات وإمارات مستقلة حيث سقطت في أيدي الأتراك العثمانيين والقيصر الروسي إيفان الرابع. وأصبحت تتاريا عام ١٥٥٢ جزءاً من الامبراطورية الروسية.

وكان التتر المغول في الأصل من الوثنيين، وقد أسقطوا دولة الخلافة العباسية في بغداد عام ١٢٥٨ م. وكانت بداية تحولهم من الوثنية إلى الإسلام عندما تولى بركة خان ابن جوجي ابن جنكيزخان حكم قبيلته المعروفة بالقبيلة الذهبية وذلك عام ١٢٥٦. وكان بركة خان قد دخل الإسلام منذ طفولته. واستمر حكم بركة خان إلى عام ١٢٦٧ م، وتحول في أثنائها معظم أفراد القبيلة الذهبية إلى الإسلام.

وكان سلطان الإسلام في عهد هذه القبيلة يمتد من تركستان حتى روسيا وسيبيريا بما فيه موسكو. ولم يكن أمير موسكو يُنصب إلا بعد موافقة المسلمين. وقد أقام التتر المسلمون مدينة قازان في شمال نهر الفولغا والتي أصبحت فيما بعد العاصمة والمدينة الرئيسية. واختلط سكان قازان المغول ببلغار الفولغا المسلمين اختلاطاً شديداً، وأصبح سكان هذه المناطق يعرفون جميعاً باسم «التتار». ثم نتيجة للخلافات والانقسامات الحادة بين المغول انقسمت امبراطوريتهم في مجرى نهر الفولغا وحوله إلى عدة دويلات وإمارات وخانات وذلك منذ عام ١٤٣٨ م. وهكذا بدأت تضعف وتتهادى الامبراطورية المغولية وتسقط الخانات الواحدة تلو الأخرى في أيدي الروس في تلك المناطق.

وترجح بعض المصادر إلى أن الإسلام انتشر على ضفاف نهر الفولغا منذ زمن طويل، أي قبل بعثة الخليفة المقتدر العباسي إلى ملك البلغار التي ترأسها ابن فضلان عام ٩٢١ م إلى مدينة بلغار عاصمة الدولة آنذاك التي ما زالت شواهدها قائمة على بعد بضعة كيلومترات من مدينة قازان. وكان ملك البلغار طلب من الخليفة العباسي إرسال بعثة إليه تفقهه في الدين الإسلامي وتعرفه على شرائع الإسلام وتبني له مسجداً وتنصب له منبراً يقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع مملكته.

هذا وقد قامت مدينة قازان بدور بارز في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في المناطق المتاخمة، وتنامى دورها عبر التاريخ الإسلامي والقيصري على السواء. وتلفت نظر الزائر لمدينة قازان المباني العريقة والقصور الشامخة والأبراج المرتفعة وبعض الآثار الإسلامية. كما تتميز قازان بوجود أحد المباني العريقة المعروف باسم «كرملين قازان» وهو يشبه إلى حد كبير مباني الكرملين في موسكو. وهذه المباني من عهد القيصر ايفان الذي جعل من قازان بوابة له نحو الشرق. وأضاف بقية القياصرة الذين جاؤوا من بعده بعض المباني القازانية، وهي المباني التي تعتبر المقر الرسمي للحكومة.

وفي قازان جامعة عريقة تعرف باسم جامعة قازان أو جامعة «أوليانوف» وهي إحدى أعرق الجامعات في العالم. وقد تم افتتاحها عام ١٨٠٤، وتعلم فيها مئات الألوف وتخرج منها عشرات الآلاف منهم عدد من الشخصيات الشهيرة مثل: لينين، تولستوي، وعالم النفس المشهور بافلوف، وبوتليروف اختصاصي الكيمياء،

وفشينفسكي اختصاصي الجراحة، وفانيلوف وسواهم الكثير. وكان والد لينين مفتش المدارس أوليانوف يقطن في قازان مع عائلته وأولاده، الأمر الذي دعا لينين للالتحاق بجامعة قازان عام ١٨٨٨م. ولهذا ترى في قازان تمثالاً قائماً للينين(*). وقد تخرج من هذه الجامعة في الفترة الممتدة بين ١٩٨١ ـ ١٩٨٦ حوالى عشرة آلاف طالب وطالبة من أربعين قومية منهم بعض الطلبة العرب من سوريا واليمن وليبيا وبعض الأقطار العربية والإسلامية الأخرى.

وفي جامعة قازان فرع لأكاديمية العلوم السوفياتية، وأنشيء فيها أول فرع للاستشراق في الاتحاد السوفيتي ثم انتقل إلى لينينغراد. وجامعة قازان تعتبر الجامعة الثالثة من حيث الأهمية في الاتحاد السوفيتي السابق بعد جامعتي موسكو ولينيغراد.

وفي قازان مجمع لصناعة الطائرات والقاطرات والآلات الزراعية والمطاط الصناعي والمنسوجات والمفرقعات. وتعتبر الحياة الاقتصادية الصناعية والزراعية متطورة إلى حد بعيد. فنظراً لوجود المياه الوفيرة تنتشر الزراعة فيها وفي بقية أرجاء تتاريا، وتزرع فيها كثير من أنواع الحبوب كالقمح والشعير والذرة والفواكه والخضراوات والبطاطا. كما تنتج البلاد الحليب واللحوم نتيجة تربية الأبقار.

ومما يساعد على تطور الاقتصاد في قازان خاصة وتتاريا عموماً وجود كميات كبيرة من النفط الذي يزيد على (٥٠) مليون طن

---

(*) دمر تمثال لينين في قازان عام ١٩٩١ في إطار تدمير تماثيله في المدن والجمهوريات السوفياتية لا سيما بعد حركة الانقلاب الفاشلة ضد غورباتشوف في آب (أغسطس) ١٩٩١.

سنوياً. كما تعمل الجمهورية على توسيع إنتاج المعادن، وإنشاء مشروعات صناعية كبرى مثل مصنع المعدات الطبية الذي ينتج أربعة آلاف نوع من المعدات الطبية وأجهزة المختبرات ومصنع أدوات جراحة الأسنان وهذا المصنع ينتج ٨٠٪ من احتياجات الاتحاد السوفيتي السابق من أدوات جراحة الأسنان.

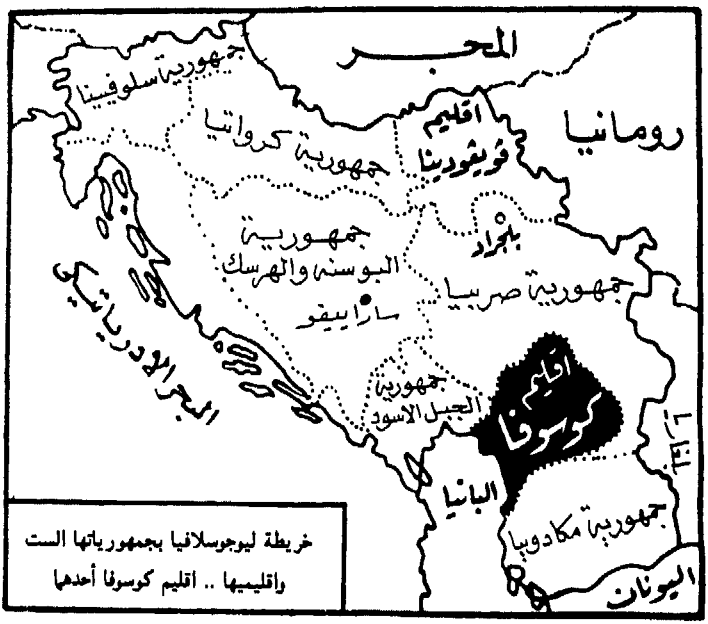
ومن معالم قازان بالإضافة إلى مبانيها الأثرية وجامعتها العريقة ونهرها الجذاب هناك مسجدها الجامع التاريخي، حيث خصص له المؤذن والإمام وقد تولى فترة هذه المهمة الشيخه كامل بن إمام الدين الذي يؤم المصلين المسلمين في قازان أو المسلمين القاطنين فيها والقادمين من مناطق إسلامية أخرى مثل أذربيجان وسواها. ويوجد في قازان تمثال للشاعر الإسلامي عبد الله توقاي صاحب القصة الشهيرة: «شيرالاي» التي ترجمت إلى العربية وهي قصة للأطفال كما يوجد في قازان «متحف توقاي» وهو كان في الأصل منزل الضابط محمد شامل الداغستاني القوقازي ابن الشيخ شامل الثائر ضد القياصرة. وتكريماً لتوقاي فقد أقيم متحف آخر له في قرية «قرلاي». وفي قازان تمثال آخر لموسى جليل الذي قاوم الألمان في تتاريا عام ١٩٤٢. وموسى جليل مناضل وأديب وشاعر له ديوان شعري مكتوب باللغة التتارية ذات الحروف العربية، مترجم إلى عدة لغات منها الانجليزية كما يوجد في قازان قصر الثقافة. ومن ملامح قازان الصناعية ترسانة السفن الخاصة بصناعة السفن وإصلاحها على نهر قازانكا أحد فروع نهر الفولغا.

إن مدينة قازان التي أنشئت منذ عام ١٤٠١ م، وبالرغم من تطورات عديدة مرت على سكانها وعلى ملامحها، غير أنها لا تزال

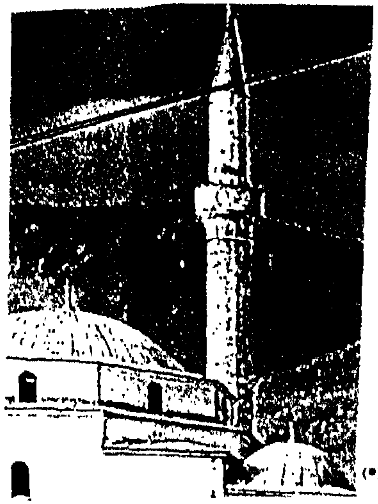
تحتفظ بالسمات الإسلامية البارزة في معتقدات أهلها وفي عاداتهم وتقاليدهم وفي مساجدهم وعمائم شيوخهم وأئمتهم وفي مخطوطاتهم الإسلامية التي يحافظون عليها كتراث إسلامي أصيل، وفي لغتهم التترية المتأثرة كثيراً باللغة العربية والتي كتبت بحروف عربية لفترات طويلة ثم تحولت إلى اللاتينية والروسية. علماً أن جامعة قازان لا تزال تدرس باللغة العربية في بعض الأقسام المتخصصة. كما أن رئيس جمهورية تتاريا «شامل مطاييف» هو من الطائفة الإسلامية. هذا وقد طالبت في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩١ باستقلالها عن الاتحاد الروسي الجديد وفقاً لإحصاء جرى بين سكانها انتخب على أثره أحد مشايخها المعممين رئيساً للجمهورية.

قازان مدينة إسلامية تحمل تراث الماضي، تحمل الوفاء لتاريخها ولجذورها ولماضيها.

# كوسوفا




خريطة ليوجوسلافيا بجمهورياتها الست
واقليميها .. اقليم كوسوفا أحدها



# كوسوفا

كوسوفا أو كوزوفو ليست مدينة بقدر ما هي اقليم. كانت تتبع البانيا، وكوسوفا حالياً تتبع يوغوسلافيا التي تتألف من ست جمهوريات واقليمين: اقليم ڤويڤودينا واقليم كوسوفا (كوزوفو)(*)

يحد اقليم كوسوفا من جهاته الأربع: جمهورية صربيا وجمهورية الجبل الأسود وألبانيا وجمهورية مكادونيا.

عاصمة الأقليم «بريشتنا»، وسكانه حوالى مليونين نسمة. ومساحته حوالى (١١) ألف كيلومتر مربع، توزعت عليها (١٣٤٨) مدينة وقرية منها: بريشتنا أو بريستيفار العاصمة الاقليمية، بريليب، بيك، بوديجوفو... وسكان كوسوفا من الألبان المسلمين ويمثلون ٩٥٪ من الاقليم، فيما يمثل سواهم من الصرب ٥٪. مناخ اقليم كوسوفا معتدل صيفاً بارد شتاءً، يعلو جبالها الثلوج التي تشكل حاجزاً فاصلاً بين كوسوفا وألبانيا.

في النصف الثاني من القرن الرابع عشر تقدمت القوات العثمانية بقيادة السلطان مراد للسيطرة على البلقان التي لم يكن

(*) شهدت يوغوسلافيا منذ عام ١٩٨٩ ولا تزال تشهد حروباً أهلية بين أقاليمها بهدف الانفصال أو الاستقلال.

ممكناً السيطرة على تلك المنطقة ما لم يتم السيطرة على كوسوفا. وبالفعل فقد توجه السلطان مراد نحو كوسوفا في عام ١٣٨٩، وفي معركة «كوسوفسكو بوليج» واجه فيها الصرب والبلغار والألبان انتصر السلطان مراد على الأمير اليعازر. ولكن العثمانيين لم يستقروا في المنطقة بشكل ثابت إلا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وخضعت بذلك منطقة البلقان للعثمانيين الذين قسموا المنطقة إلى إيالات عثمانية وعينوا على كل منها والٍ عثماني. وظلت ألبانيا ركيزة أساسية للحكم العثماني، وخزاناً هاماً ورئيسياً للإدارة العسكرية العثمانية وللفرق المحاربة. ويكفي الإشارة إلى أن محمد علي باشا الذي تولى وأسرته من بعده حكم مصر بين ١٨٠٥ ـ ١٩٥٢، وأحمد باشا الجزار والعديد من ولاة الدولة العثمانية كانوا من الألبان المسلمين.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن دخول الإسلام إلى كوسوفا خاصة وألبانيا عامة، لم يرتبط بالفتح العثماني، ولكن دخول العثمانيين ساعد كثيراً على تعزيز الإسلام، بل وعلى السرعة في «أسلمة» البلقان. وكان الإسلام قد بدأ ينتشر في المنطقة نتيجة قيام التجارة بين الشرق والغرب، ونتيجة قيام التجار المسلمين برحلات تجارية إلى بلاد البلقان. ومن الأدلة على انتشار الإسلام قبل الفتح العثماني وجود ضريح لأحد الأولياء المسلمين في كوسوفا اسمه «ساري سلطاكو» ومن العشائر الإسلامية القديمة فيها عشيرة حولاج.

وتاريخ الإسلام والمسلمين في كوسوفا وفي ألبانيا عامة مليء بالأحداث الجسام. فبعد أن كان العنصر الألباني المسلم سيداً حراً في بلاده في ظل الدولة العثمانية، فإذا بوضعه بدأ يتغير مع انحسار

نفوذ العثمانيين عن المنطقة. فبعد المد القومي في القرن التاسع عشر، وبعد استقلال اليونان والصرب والبلغار عن الدولة العثمانية، أعلنت ألبانيا استقلالها عام ١٩١٢، ولكن هذا الاستقلال لم ينقذ ألبانيا، بل جعلها لقمة صائغة للطامعين، فاحتلت مملكة صربيا اقليم كوسوفا، واقتطعت أجزاء من ألبانيا لتضم إلى اليونان ومكدونيا والجبل الأسود، وأطلقت يد ايطاليا في ألبانيا. والأمر الملاحظ أن عصبة الأمم المتحدة ومن ثم هيئة الأمم المتحدة أقرّت لصربيا سيطرتها على كوسوفا. وعندما تحولت صربيا إلى يوغوسلافيا كان الاقليم قد تكرس تبعيته لليوغسلاف.

والجدير بالذكر إن تاريخ البلقان سجل مذابح دموية شهدتها ألبانيا بعد عام ١٩١٢ راح ضحيتها ألوف المسلمين وألوف المسيحيين الأرثوذكس، الذين لم يغفر لهم الكاثوليك انتماءهم إلى الكنيسة الشرقية.

وكان من نتائج اضطهاد المسلمين في كوسوفا وألبانيا، هجرتهم إلى استانبول ودمشق والقاهرة وبيروت وبعض البلاد العربية والإسلامية، حيث التحقوا ببني جنسهم ممن تركوا ألبانيا في قرون وسنوات سابقة.

أما المسلمون الذين بقوا في كوسوفا، فقد عانوا الكثير من الاضطهاد والتمييز العنصري والديني في مختلف المجالات الاقتصادية والتربوية والسياسية والانمائية، حتى أن لغتهم الألبانية منعوا من استخدامها أو التعامل بها. ونتيجة لهذا الاضطهاد فكر أبناء كوسوفا عام ١٩٣٧ بالهجرة نهائياً إلى تركيا، غير أن قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ جمّد الموضوع. وبالرغم من

انتقال يوغوسلافيا من الملكية إلى الجمهورية، ومن النظام الاقطاعي والرأسمالي إلى النظام الاشتراكي والشيوعي، غير أن ذلك لم يغير من نظرة يوغوسلافيا إلى مسلمي كوسوفا والبانيا. وظلت السياسة اليوغوسلافية تسعى إلى تهجير المسلمين إلى الخارج. وبالفعل فقد شهدت الخمسينات حملة تهجير المسلمين إلى تركيا. ونتيجة لهذا الواقع المؤلم المستمر منذ عام ١٩١٢ ساد كوسوفا حالة من التخلف والجهل. وظل المسلمون يعانون من سوء المعاملة في المراحل المختلفة في ظل الأنظمة والحكم السائد.

وبالرغم من جميع مظاهر القسوة والاضطهاد التي عانى منها المسلمون في كوسوفا، فقد استمروا في ولائهم للإسلام رغم محاولات قطع صلتهم بالإسلام والمسلمين. ففي كوسوفا مقر للمشيخة الإسلامية مسؤولة عن إدارة النشاط الإسلامي وإدارة المساجد وتنظيم وضع الأئمة. والمشيخة الإسلامية في كوسوفا هي واحدة من أربع مشيخات تتحمل المسؤولية الدينية عن مسلمي يوغوسلافيا.

وفي العاصمة بريشتنا تتمركز المشيخة في سوق يحمل اسماً عثمانياً هو سوق البازار. وبقربها المسجد الجامع الذي يحمل اسم السلطان العثماني محمد الفاتح.

وبعد أن سمح القانون اليوغوسلافي عام ١٩٧٤ بأن يعلن المسلم عن إسلامه ويسجل ذلك في الأوراق الرسمية، بات المسلمون أكثر حرية وانطلاقاً في ممارسة شعائرهم وفي دفع الزكاة في مساجدهم. وبواسطة أموال الزكاة يبنون مدارسهم ومساجدهم ومؤسساتهم الدينية. وساعد كل ذلك على استمرار التعلق باللغة

العربية لغة القرآن الكريم إلى جانب اللغتين الألبانية والصربية. ويوجد في أنحاء يوغوسلافيا (٢٧٠٠) مسجد، بينها (٦٧٠) مسجداً في دائرة اختصاص مشيخة بريشتنا، كما أنه من بين (١٩٥٠) إماماً في يوغوسلافيا، يتبع مشيخة بريشتنا (٥٠٠) إمام. وفي كوسوفا تقليد إسلامي عريق هو العمل الوقفي، لذا يزخر الاقليم بالأوقاف الإسلامية التي يشرف عليها جهاز خاص، تتبعه في أنحاء كوسوفا (٣٠) دائرة تجمع حصيلة العقارات والأملاك الوقفية، لضمها إلى ميزانية صيانة المساجد وترميمها.

والمسلمون في كوسوفا يتحملون عبء العمل الإسلامي، سواء بالنسبة لمصروفات المشيخات أو المساجد أو المدارس الإسلامية أو رواتب الأئمة. ومن المساجد الهامة في العاصمة مسجد السلطان مراد حيث تقام فيه الصلوات وصلوات الجمع والأعياد وتجمع أموال الزكاة. كما يتحملون هجوم خطر الصرب على حاضرهم ومستقبلهم رغم أن الصرب لا يشكلون سوى مئتي ألف نسمة؛ لذا فإن شعارهم الدائم ضرورة الحفاظ على وحدة الصف الألباني لمواجهة أخطار الصرب.

وفي كوسوفا حتى اليوم بعض الطرق الصوفية الإسلامية. فبالرغم من انتشار المذهب الحنفي في البلاد منذ أن اعتمده العثمانيون في دولتهم، فإن الطرق الصوفية لا تزال موجودة ومنها: القادرية، الرفاعية، الخلوتية، السعدية، النقشبندية، البكتاشية. ويرى الناظر في مساجد كوسوفا الأئمة يعلمون الأطفال الدين الإسلامي، ويدرسونهم القرآن الكريم، وذلك للحفاظ على الإسلام في تلك الديار.

ولا تزال عادات أهل كوسوفا عادات إسلامية، فهم يحتفلون

بعيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك، ويصومون شهر رمضان، ويحتفلون بقدومه. ويحتفلون ببقية المناسبات الإسلامية. وهم شعب مضياف يستقبلون الضيوف استقبالاً إسلامياً حاراً ويعملون على تكريمه. ويلبسون الأزياء الشعبية المماثلة لألبسة المسلمين في المشرق، ويخلعون الأحذية قبل دخولهم المنزل حرصاً على طهارته. كما يزورون القبور في فترة الأعياد، ويتزاورون فيما بينهم للتهنئة ويستعملون العبارة الالبانية ـ التركية «برهير بيرمي» أي «عيد سعيد». كما يستخدمون عند التحية عبارة «تونكاجا تجيتا» أي «حفظ الله حياتكم». كما تماثل احتفالات الزفاف الاحتفالات الإسلامية، ويحرصون على أن يعقد الإمام عقد الزواج، ويقوم علماء الدين عادة بغسل الموتى ودفنهم على الطريقة الإسلامية وتلاوة القرآن الكريم على روح المتوفى. وبيوتهم من الخارج أو من الداخل أشبه ما تكون بالبيوت التركية أو الإسلامية المشرقية، حتى إنهم لا يزالون يحرصون على تسمية أبنائهم بأسماء إسلامية وعربية وتركية مثل: محمد، أحمد، محمود، شوكت، طلعت، مدحت، فاطمة، عائشة، أمينة...

وبالرغم من أن النظام اليوغوسلافي يمنع تعدد الزوجات، غير أن المسلمين لا يلتزمون بذلك، بل باستطاعتهم التزوج بأكثر من واحدة تبعاً للدين الإسلامي. ويتصف سكان كوسوفا بالحفاظ على الرابطة العائلية والاجتماعية بعكس سكان المقاطعات اليوغوسلافية الأخرى التي تشهد تفكك أسري واجتماعي وهم على وجه الإجمال يفاخرون بالتقاليد الإسلامية والتركية والالبانية المتوارثة.

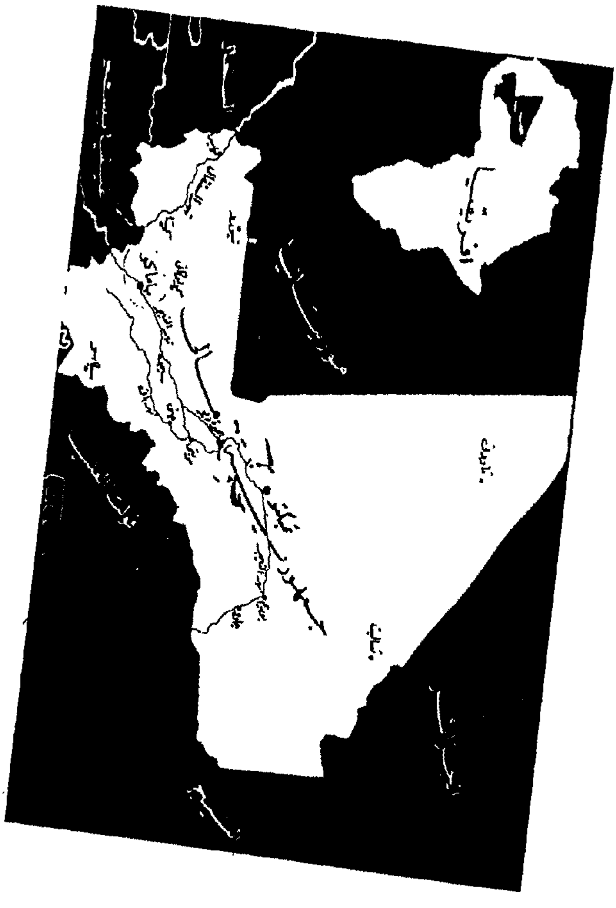
أما فيما يختص بالتعليم في كوسوفا فقد أصبح في السنوات الأخيرة متطوراً ومنطلقاً، سواء مرحلة التعليم قبل الجامعي أو التعليم الجامعي.

أما الوضـع الاقتصادي في الاقليم، فـإن الله وهبه مـواد أولية عديدة سـاهمت على تطور المنـطقة، رغـم أن هـذه المواد الخـام كانت تنقل في السابق إلى خارج الاقليم. فمن بين المواد الموجودة في الاقليم الفضـة. وفي مدينـة «بيا» أشهـر معمـل للفضيـات في الاقليم. وفيه أيضاً أكبر مصادر الرصاص والزنك والنيكل في أوروبا كلهـا، فضـلاً عن الفحم الـذي يشكـل ٥٥٪ مـن احتيـاطي يوغوسلافيا.

وفي الاقليم بعض الصناعات الثقيلة ومصنـع ضخم للنسيـج يضم ما يقارب ثلاثة آلاف عامل وعاملة أقيم في كوسوفا في منطقة «حقل الشحرور» وهو الموقع الذي انتصر فيه الأتراك على الصرب عـام ١٣٨٩. وفي مدن تـربشا وجـاكوفـا وليبيليان منـاجم للزنـك والكـروم والمغنيسيوم ومختلف الصنـاعـات. كمـا يشتهـر الاقليم بزراعات القمح والذرة والشعير والفواكـه والمراعي والـثروة الحيوانيـة، علماً أن اقتصاد كوسوفـا يقوم بنسبـة ٨٥٪ على الصناعـة، غير أن بعض مناطق كوسوفا الزراعية لا تزال تعتمد على الآلات والأساليب الزراعية التقليدية.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن المسلمين في كوسـوفا، رغـم الصعاب والمآسي التي واجهتهم لا يزالون يتميزون بالحس الألباني الذي مثّل خلال قرون عديدة قاعدة للإسلام والمسلمين في أوروبا وفي المشرق العربي أيضاً الذي شهـد موجـات عديـدة من الألبان الـذين استقروا في مصـر وبـلاد الشـام وحملوا لقب الأرنـاؤوط أو البوشناق حيث لا تزال عائلات عتيدة تحمـل هذا الاسم إلى الآن في المشرق والمغرب العربيين. وكان للعنصر الألباني دور أساسي في «أسلمـة» الكثيـر من المنـاطق التي سيـطرت عليهـا الـدولـة العثمانية.

# باماكو





# باماكو

باماكو عاصمة جمهورية مالي، وهي من أكبر جمهوريات غرب أفريقيا الناطقة باللغة الفرنسية اتساعاً، إذ تبلغ مساحتها ٤٦٤,٧٢٥ ألف ميل مربع. ليس لها منفذ بحري، غير أن العاصمة باماكو تقع على نهر النيجر. ولها حدود مشتركة مع سبع دول أفريقية يحدها من الشمال الجزائر ومن الجنوب غينيا ومن الشرق موريتانيا والسنغال ومن الغرب النيجر ومن الغرب الجنوبي ڤولتا العليا (أي بركينوفاسو حالياً) وساحل العاج. ويقدر عدد سكانها بنحو ثمانية ملايين ونصف مليون نسمة، ويدين ٩٥٪ من السكان بالدين الإسلامي. وتستأثر باماكو بعدد كبير من سكان مالي يزيد على مليون نسمة وقد استقلت البلاد عن فرنسا عام ١٩٦١.

انتشر الإسلام في باماكو وبقية مدن مالي في فترة مبكرة على غرار أكثر المناطق الافريقية. ففي غرب أفريقيا وفي مالي خاصة يعود انتشار الإسلام إلى حركة المرابطين، وإلى جهود التجار والدعاة المسلمين القادمين من وادي النيل ومن المغرب العربي.

والحقيقة فإن المرابطين لم يقوموا بنشر الدعوة الإسلامية وتوسيع رقعتها خلال القرن الحادي عشر الميلادي فحسب، ولكن

نشـاطهم شمل تنقيـة العقيدة الإسـلاميـة من بعض الشـوائب التي علقت بها بفعل التأثيرات والعادات والتقاليد المحلية. ومما ساعد على انتشار الإسلام اعتنـاق رؤساء القبـائل للدين الإسـلامي الأمر الذي شجع بقية السكان على الاقتداء برؤسائهم.

ومن الأهمية بمكان القول بأن المرابطين جهدوا على «أسلمة» زعماء قبائـل «التكرور» و«المـاندنجـو» الزنجيـة. وأرسلوا العلماء إليهم لتثقيفهم وتعليمهم مبـادىء الإسلام وتعـاليمـه. وهم الـذين نشطوا العلاقات التجارية والثقافية بين وسط القارة الأفريقية وغربها وبين العالم الإسلامي، لا سيما شمال أفـريقيا والـدول الإسلاميـة التي كانت قائمة في تلك الفترة في اسبانيا. ولقد بدأ دخول الإسلام في «باماكو» باعتناق زعماء امبراطورية مالي لهـذا الدين الحنيف. ولقـد كانت امبـراطوريـة مالي تضم في عصـر ازدهـارهـا: مـالي وموريتانيا والسنغال وغينيا وشمال ساحل العاج وجزءاً من ڤولتا لعليا أي بركينوفاسو حالياً والنيجر.

ومن الأمور اللافتة للنظر أن قبيلة «الماندنجو» الزنجية أصبحت بعد اعتناقها للإسلام من أشد القبائل تعصباً وعملاً من أجل الإسلام ونشره في مالي بين الوثنيين. وحرصت على بناء المساجد في كل المناطق التي امتد نفوذها إليهـا. وقد صـاحب انتشار الإسـلام في «بـاماكـو» ومالي انتشـار لبعض الطرق الصـوفية لا سيمـا الطريقـة القادرية والطريقة التيجانية.

ينتشر في «باماكو» الكثير من المساجـد والجوامـع والمدارس الخاصة والرسمية والمعاهد الدينية. ومن أهم مساجدها «المسجد الكبير» في باماكو. وللهيئات الدينية في بامـاكو عـلاقات طيبـة مع

الهيئات والمنظمات الإسلامية في العالمين العربي والإسلامي مثل رابطة العالم الإسلامي في مكة، وجمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا، ومع الجمعيات الإسلامية العاملة في الكويت والمملكة العربيه السعودية ومصر.

ونظراً لأن دولة مالي دولة مكونة في جذورها وأصولها من قبائل، فإن هذه التركيبة البشرية والقبلية تتمثل في أصول ثلاثة كبيرة هي الأصول: الزنجية والبربرية والعربية، يجمع بينها الإسلام وجعلها إلى حد كبير في بوتقة إسلامية واحدة. أما أشهر القبائل الموجودة في العاصمة «باماكو» وبقية المدن المالية فهي: قبيلة «البمبارا» ويعيش أفرادها في وسط البلاد وغربها وجنوبها، ويعملون في الزراعة وتربية الأغنام. وقبيلة «الفولانيون» وهم منتشرون في «باماكو» ومختلف أنحاء البلاد ويعملون أيضاً في الزراعة وتربية الأغنام. وقبيلة «الصنفاي» وينتشرون في الشمال والشرق. وفي الشمال ينتشر مع الصنفاي قبيلة الطوارق الجزائرية الأصل. وهاتان القبيلتان تعملان بالتجارة والزراعة.

وتنتشر قبيلة «المركا» في الغرب ويعمل أفرادها في الزراعة. بينما تنتشر قبيلة «البوز» في المناطق الوسطى والشرقية، ويعملون في صيد الأسماك من نهر النيجر. أما قبيلة «بوبو» فتتركز في الجنوب وهي قبيلة وثنية على وجه الإجمال. أما القبائل العربية فتنتشر في شمال البلاد ويعمل أفرادها في التجارة وتربية الأغنام. في حين أن قبيلة «المانينكا» تنتشر في غرب البلاد ويعمل أفرادها في الزراعة.

وجميع هذه القبائل تدين بالإسلام وتعمل له، باستثناء قبيلة «البوز» و«المانينكا» اللتان تضمان أقليات وثنية، بينما قبيلة «بوبو» ذات أغلبية وثنية.

أدى تعدد القبائل في مالي حكماً إلى تعدد اللغات فيها. فقبيلة «البمبارا» مثلاً هي أكبر قبائل مالي، وتمثل أكثر من ٤١٪ من مجموع السكان. فلا غرابة إذاً إن تحدث بلغتها حوالى ٦٠٪ من السكان، ولا غرابة إذا كانت هي اللغة السائدة في شوارع «باماكو» فهي لغة العامة والعمال والتجار. ويوجد عدد من اللغات المحلية الأخرى تتعامل بها القبائل مثل اللغة: الفولانية والسونتكي وسواراي، وتماشيقو، والبوجو، والسنفو. وعلى وجه الإجمال فيوجد في مالي ما يقارب إحدى عشرة لغة وضعت لها حروف وقواعد وكتبت حروفها بالحروف اللاتينية والحروف العربية. فلغة «السوننكا» مثلاً وهي لغة محلية كتبت بالحروف العربية، كما كتبت بالحروف العربية لغة قبائل «الفولانية». وتساعد منظمة الدول الإسلامية في المغرب المنظمات الإسلامية في باماكو ومالي على كتابة لغة القبائل بالحروف العربية. ويبقى القول إن اللغة الرسمية في البلاد لا تزال هي اللغة الفرنسية بأثر من الاستعمار الفرنسي، وهي لغة الإدارة والتعامل الرسمي وفي وزارات الدولة وإداراتها، كما أنها تمثل نسبة عالية من لغة التخاطب لا سيما في العاصمة «باماكو». ويبدو انتشار الفرنسية واضحاً في المدارس والمعاهد والمؤسسات التربوية عامة.

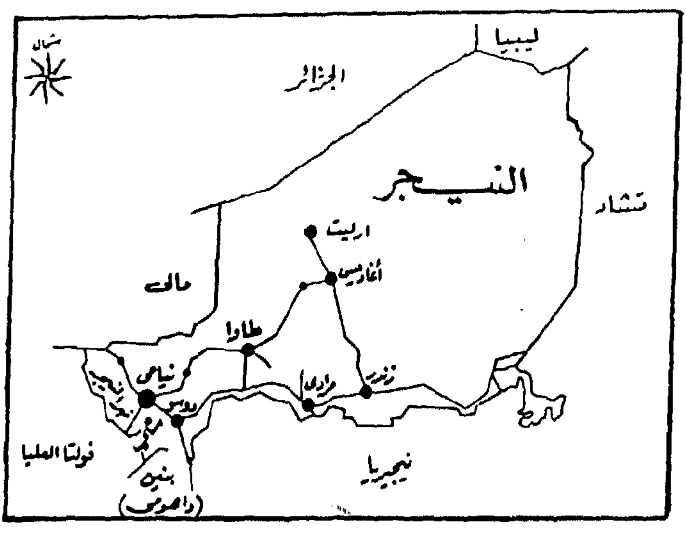
من الناحية الاقتصادية فإن «باماكو» العاصمة وبعض المناطق الأخرى، تتميز بالإنتاج الزراعي لا سيما في دلتا نهر النيجر وهي

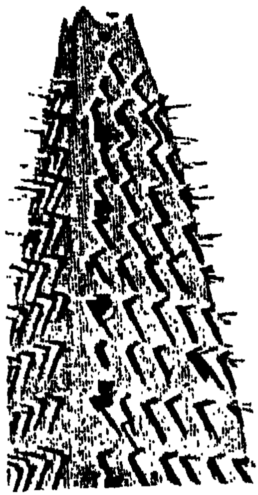
من أخصب الأراضي الزراعية في مالي، حيث تنتشر زراعة القطن والأرز والذرة والفول السوداني. ويعمل في الزراعة أكثر من ٩٠٪ من السكان. وتنتج مالي سنوياً حوالى ١٥٠ ـ ١٨٠ ألف طن من الفول السوداني، كما تنتج المانجو والموز والليمون والخضراوات. كما أن الثروة الحيوانية تأتي في المرتبة الثانية بعد الزراعة حيث تساهم في الدخل القومي بما نسبته ١٧٪. وتتمثل هذه الثروة بالماعز والأغنام والأبقار والجمال. وتقدر أعداد الماشية التي تصدرها مالي إلى الخارج بنحو مليون رأس من البقر والأغنام.

هذا ويعمل بعض أهل مالي لا سيما سكان «باماكو» في قطاع الخدمات، وقطاع الصناعة حيث انتشرت بعض مصانع الأقمشة ومصنع للأدوية. ومصانع الزيوت والصابون والألبان والجلود والأدوات الزراعية.

وبشكل عام فإن «باماكو» العاصمة ومالي الدولة تعتبر من المناطق النامية الساعية للتقدم والنمو رغم الصعاب المناخية والاقتصادية التي لا تزال تعاني منها علماً أن بعض الدول العربية والإسلامية وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية والكويت. لا تزال تقدم لها الدعم في مختلف المجالات للأخذ بيدها أكثر نحو العروبة والإسلام.

# نيامي


شمال
ليبيا
الجزائر
النيجر
تشاد
اريت
أغاديس
مالي
طاوا
نيامي
زندر
مرادي
نيجيريا
فولتا العليا
بنين



# نيامي

نيامي عاصمة النيجر، وهي دولة افريقية محاطة بسبع دول هي: ليبيا، الجزائر، تشاد، مالي، نيجيريا، ڤولتا العليا وبنين (أي داهومي). وأطول الحدود هي مع نيجيريا حيث تبلغ ١٢٠٠ كلم، ثم مع الجزائر حيث تبلغ ألف كيلومتر.

وتبلغ مساحة البلاد (١٢٦) مليون و٧٠٠ ألف هكتار، يزرع منها فعلاً (٣) مليون و١٥٠ ألف هكتار. أما الأراضي القابلة للزراعة فهي (١٥) مليون هكتار. بينما تغطي الغابات (١٤) مليون هكتار. في حين تنتشر المراعي على مساحة (٥٦) مليون هكتار.

من المدن الأخرى إلى جانب العاصمة نيامي، يوجد في النيجر مدن إسلامية أخرى مثل: أرليت، أغاديس، طاوا، زندر، مرادى، دوسو.

نالت النيجر استقلالها عام ١٩٦٠ . وهي تتمتع بأغلبية إسلامية ساحقة تصل إلى ٩٨٪ من السكان البالغ عددهم أكثر من خمسة ملايين ونصف مليون نسمة . أما ٢٪ من السكان فهم من الوثنيين أو من الوثنيين الذين تنصروا نتيجة البعثات التبشيرية الفرنسية التي

وصلت إلى البلاد في بداية القرن العشرين. غير أن هؤلاء بدورهم يقبلون في هذه الأيام على اعتناق الإسلام، حيث أن الجمعية الإسلامية أنشأت مسجداً لهم في عام ١٩٨١ لا سيما للوثنيين الداخلين في الإسلام في مدينة جورمنكه.

وكان الإسلام قد دخل إلى نيامي ومناطق النيجر مع قوات عقبة بن نافع في القرن الأول الهجري التي وصلت إلى منطقة «جادو» في أقصى الشمال. أما الجزء الجنوبي فقد دخله الإسلام بعد القرن السادس الهجري، في ظل مرحلة انتشار الدين على أيدي المرابطين. وكانت بلدة «ساي» على بعد (٤٠) كيلومتراً عن نيامي، هي أول موقع في الجنوب بلغه المسلمون القادمون من مالي المجاورة وأشهرهم الداعية المسلم الفاهم محمد جوب الذي لا يزال ضريحه مقاماً بالبلدة.

إن مسلمي نيامي كبقية مسلمي النيجر، فهم جميعاً يتبعون المذهب المالكي السائد في شمال افريقيا وغربها. من أجل ذلك لا نرى خلافات عقائدية أو فقهية بين المسلمين في النيجر في المسائل الفقهية.

ونتيجة لانتشار الإسلام في البلاد، فقد أصبح احترام المسلم يقاس بمقدار حفظه للقرآن الكريم. وبالرغم من أن اللغة العربية ليست سائدة في نيامي، غير أن المسلمين يحرصون على تعلم القرآن الكريم، والحرص على الذهاب إلى المسجد في مواقيت الصلاة. وفيما يختص بالصلاة بشكل خاص فإن نيامي وبقية المدن النيجرية تشهد ميزة بارزة وهي أنه إذا حل موعد الصلاة في أية وزارة أو إدارة حكومية أو قطاع خاص، فإن الجميع يبادرون للصلاة فوراً في المصلى.

أما فيما يختص بالحج وزيارة الأماكن المقدسة، فهذه تعتبر أمنية المسلمين في النيجر، حتى أن متوسط عدد حجاج النيجر وصل في الفترة الأخيرة حوالي ستة آلاف في كل عام. كما أن الزائر للعاصمة نيامي يرى لافتات وملصقات في شوارعها وعلى جدرانها وقد كتبت بالفرنسية عبارات: الله ربنا، ومحمد نبينا، والقرآن كتابنا. وهذه العبارات كثيراً ما نقلت عن لسان كبار المسؤولين وفي مقدمتهم رئيس الجمهورية.

وفي نيامي يبدو التوجه الإسلامي واضحاً في مختلف النشاطات، وهو يعكس التدين العميق الذي قلما يجده المرء في بقية المستعمرات الفرنسية أو الانجليزية السابقة. والجمعية الإسلامية في نيامي، هي المؤسسة الرسمية التي تقوم بإدارة النشاط الإسلامي في البلاد، ولها فروع في كل المحافظات. كما يتميز المسجد الجامع في نيامي بحشود إسلامية ضخمة في مقدمة المصلين رئيس الجمهورية. وفي مكان منفصل في المسجد تقوم النسوة بالصلاة بعيداً عن مكان الرجال.

أما مساجد نيامي والنيجر بشكل عام. فهي مساجد متواضعة بعيدة عن الفخامة، بل هي مساجد فضاء في قسم كبير منها بدون سقف، محاطة بسور قد يكون من الأسلاك. أما الطرق الصوفية فهي لا تزال موجودة في نيامي ومناطق أخرى في النيجر، ولكنها لم تعد تمثل القوة السياسية على الأقل، لأن نظام الحزب الواحد في البلاد قلّص من سلطات القوى المحلية بما فيها سلاطين المدن والأقاليم. أما أهم الطرق الصوفية في البلاد فهي «الطريقة التيجانية» وينتمي إليها أغلب أهل النيجر. وفي نيامي اتباع الطريقة

«الحموية» التابعة للشيخ حماه الله، وهي في جذورها طريقة من الطرق التيجانية.

أما فيما يختص بالحياة الاجتماعية، فلا يزال النظام القبلي سائداً في البلاد، حيث تنتشر خمس قبائل أساسية. والحقيقة فإن موقع النيجر بين افريقيا العربية البربرية وبين افريقيا السودانية الساحلية أدى إلى ظهور مجموعات متميزة من السكان منها: القبائل البدوية الراحلة في الوسط وهؤلاء هم البربر والفلانيون أو السكان البيض لأنهم ليسوا من أصول زنجية سوداء. ثم قبائل زنجية مستوطنة في النصف السفلي من النيجر، وهي تتوزع على ثلاثة فروع أساسية هي قبائل الصنغاي والزرما، وقبائل الهاوسا، ثم قبائل الكانوري. وهنا يبدو فضل الإسلام واضحاً وبارزاً وأساسياً على النيجر، لأنه كان ولا يزال الأداة الوحيدة لتوحيد البلاد.

ويمكن دراسة هذه القبائل على النحو التالي:

١ ـ قبائل البربر: وهم من قبائل الطوارق أبناء الصحراء المبعثرون في شمال النيجر. وهم فرع من البربر الذين يشكلون نسبة غير قليلة في شمال افريقيا. اضطرتهم الظروف المناخية إلى التنقل وهجرة الصحراء والاقتراب من الواحات والمدن، والتوطن حولها.

٢ ـ قبائل الفلانية: وهم الفرع الثاني بعد البربر من الجنس الأبيض، وهم منتشرون في أنحاء النيجر. وأكثرهم من الرعاة الذين يطوفون أنحاء البلاد طوال العام سعياً وراء العشب والماء.

٣ ـ قبائل الصنغاي والزرما: وهذه القبائل تنتمي إلى جنس واحد، لأنها من بقايا امبراطورية صنغي. وهم يقيمون في غرب النيجر، ويعملون في صيد الأسماك وصناعة الزوارق. ويذكر بأن قبيلة الزرما سبق أن نزح أفرادها من كينيا ومصر، ثم أقاموا في منطقة زرما، وتعلموا لغة الصنغاي، واشتغلوا بالزراعة بصفة أساسية، وهم يمثلون الأغلبية في العاصمة نيامي وبوبوي وبوسو.

٤ ـ قبائل الهاوسا: ينتشرون في وسط البلاد، ويرجح أن أصلهم صحراوي. نزحوا إلى الجنوب إلى مناطق زندر ودوكودتشي، تاركين أرضهم لقبائل الطوارق. وأفراد قبائل الهاوسا يشكلون نحو نصف سكان البلاد ومنتشرون فيما بين النيجر ونيجيريا، ويعملون في التجارة والصناعة والزراعة.

٥ ـ قبائل الكانوري: ويقطنون في أقصى شرق النيجر بين زندر وبحيرة تشاد. وهم يعيشون مع قبائل الهاوسا، الذين يطلقون عليهم اسم «البري بري». وكانوا في الماضي أتباعاً لمملكة «كانم» ثم لامبراطورية البرنو. يعمل أفراد قبائل الكانوري في استخراج الملح والصيد وتربية الحيوانات.

والأمر الملاحظ والمرتبط بالنظام القبلي، هو تمسك القبائل إلى اليوم بنظام السلاطين في المدن والمناطق التي تستقل عن بعضها من حيث نظام السلاطين الذي استمر قائماً لأسباب تتعلق بتدين أهل النيجر وارتباط السلطان تاريخياً بنظام الخلافة الإسلامية. والسلطنات الخمس التي ما تزال قائمة هي: سلطنة آيبرا وآهير في منطقة الطوارق في الشمال ومقرها أغاديس، والثانية

سلطنة داماجرم ومقرها زندر، والثالثة سلطنة مرادي والرابعة سلطنة تبري ومقرها الجنوب، والخامسة سلطنة دوسو ومقرها شرق العاصمة نيامي.

ويلاحظ أيضاً بأن العلاقة دقيقة بين السلاطين وبين الحكام الرسميين. فالسلطان يمثل القبائل والأهالي وينقل مشاكلهم إلى الحاكم، فهو يمثل الناس أمام الحكومة. بينما الحاكم يمثل الحكومة أمام الناس.

وكان السلطان يتقاضى ١٠٪ من دخل الضرائب طوال عهد الاحتلال، وهو نظام ابتدعه الاستعمار الفرنسي. أما السلاطين الصغار وهم بمثابة زعماء لقبائلهم، فإنهم يتقاضون مكافآت من الحكومة أيضاً. بينما شيوخ القبائل يعيشون على نسبة ١٠٪ من الرسوم التي يجبونها لخزانة الدولة.

وبالرغم من تغير أنظمة الحكم، غير أن سلاطين السلطنات الخمس لا يزالون يعيشون مظاهر وطقوس العصور الغابرة. فلكل سلطان ثيابه الخاصة المطرزة بخيوط الذهب وله قصره وحرسه الخاص من حملة السيوف الافريقية الطويلة، وله حاشيته الخاصة. ولا تزال في قصر سلطان زندر قبور كافة أجداده السلاطين منذ (٧٠٠) سنة، أحيطت بكافة مظاهر العناية والتكريم والإجلال. وهو الأسلوب المتبع أيضاً في فناء قصر سلطان آهير المقام في أغاديس.

ويلاحظ تقاليد السلطنة في نيامي كما في سواها. لكن المشكلة أن نيامي هي العاصمة ومركز السلطة السياسية. وهي بمثابة القلب للنيجر بعد أن نقل المركز عام ١٩٢٦ من زندر في وسط

الجنوب إلى نيامي في الطرف الأقصى من الجنوب الغربي. وكان المبرر الأول لهذا النقل هو موقع نيامي على نهر النيجر. فهذا النهر يبلغ طوله (٤٢٠٠) كيلومتر، غير أنه لا يمر منه في جمهورية النيجر سوى (٥٥٠) كيلومتراً فحسب، مما جعل أكثر أراضي النيجر صحراء قاحلة باستثناء المناطق الجنوبية الغربية.

ومن عادات نيامي وبعض مناطق النيجر الاحتفال بتنصيب السلاطين في جو احتفالي أشبه ما يكون بالعرس وسط الزينات الملونة والثياب الزاهية والرقص القبلي والطقوس المتوارثة. وفي مقدمة الحضور المشايخ والفقهاء والعلماء، ويتقدم قاضي المنطقة أو فقيهها مفتتحاً الحفل بالأدعية والتراتيل. ثم يتقدم السلطان للصلاة ساجداً لله تعالى حامداً نعمه وفضله. ثم يقرأ الفقيه الفاتحة والأدعية، فيردد الحاضرون عبارات: لا إله إلا الله محمد رسول الله والحمد لله رب العالمين. وتستمر الاحتفالات بمختلف مباهجها مع جموع المنشدين والمغنين وقارعي الطبول. وعندما ينتقل السلطان إلى قصره لا يبارحه لمدة أسبوع حيث يتقبل التهاني من وفود المهنئين من مختلف المناطق.

وفيما يختص بالعادات والتقاليد الاجتماعية فهي مرتبطة إلى حد كبير بالمعتقدات الإسلامية وبالعادات القبلية. وكانت تقاليد الزواج عبئاً ثقيلاً على العريس. فأصدرت الدولة عام ١٩٧٤ قراراً قضى بألا يتجاوز المهر ألف فرنك فرنسي (٥٠ ألف سينا بالعملة المحلية) بدلاً من خمسة آلاف فرنك في المتوسط كما تضمن القرار ضرورة اقتصار حفلة الزواج على ثلاثة أيام بدلاً من أسبوع، غير أن هذا القرار لم يُلتزم به سوى سنوات قليلة سرعان ما عادت التقاليد القديمة إلى أصولها.

أما المهر عادة في نيامي ومناطق النيجر فهي عبارة عن جمل أو بقرة مع عدة عنزات، علماً أن بعض المدن اعتمدت الدفع نقداً. وللخطبة عادات وتقاليد خاصة، يفضل أهل المناطق الزواج من أقاربهم. وعند الإنجاب لا تتم تسمية المولود إلا بعد أسبوع حيث يجتمع الأهل والأصدقاء في ساعة مبكرة من الصباح. ويقرأ إمام المسجد الفاتحة، ثم يعلن اسم المولود، ويوزع الجورو وهو نبات الكولا على جيمع الحاضرين. ويذبحون بعد ذلك شاة يأكلونها في الغداء.

أما فيما يختص بالتعليم في نيامي خاصة والنيجر عامة، فهو أن أحد أسباب انتشار الأمية في البلاد، أن المسلمين كانوا يرفضون الالتحاق بمدارس الفرنسيين. وكان الناس يكتفون بالكتاتيب ليعلموا أولادهم القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه. ثم يخرجونهم للعمل حيث يرتدون إلى الأمية بعد سنوات. ومما ساعد على انتشار الجهل أيضاً إن الفرنسيين لم يطبقوا في النيجر نظم التعليم والإدارة التي فرضوها فرضاً في مناطق أخرى خاضعة لنفوذهم.

أما فيما يختص باللغات السائدة في النيجر، فهي لغات متعددة منها لغات القبائل واللغة العربية واللغة الفرنسية. والملاحظ أن خطبة الجمعة تلقى في أنحاء النيجر باللغة العربية أولاً، ثم يقدم الوعظ باللغة المحلية للأقليم. وفي العاصمة نيامي يتعامل الناس بلغتين هما: الهاوسا وزرما بالإضافة إلى اللغة العربية. كما أن اللغات المحلية تكتب بحروف عربية.

وفي عام ١٩٦٥ صدر مرسوم بنقل الإشراف على المدارس الأهلية التي تعلم العربية من وزارة الداخلية إلى وزارة التربية والتعليم خلافاً لما كان سائداً زمن الفرنسيين. من ناحية أخرى أنشئت في وزارة التربية إدارة خاصة لتعليم اللغة العربية. وأصبحت اللغة العربية تدرس في مدارس النيجر مناصفة مع اللغة الفرنسية. ويشمل تدريس العربية القرآن الكريم والحديث والفقه والتربية. وبالرغم من تعدد المدارس في الوقت الحاضر فإن النيجر لا تزال تعاني من الأمية حيث لا يتجاوز نسبة المتعلمين ٣٪. وبالإضافة إلى المدارس الحكومية يوجد في نيامي ومدن النيجر مدارس الفرنكو آراب وعددها (٤٥) مدرسة.

أما الأوضاع الاقتصادية في البلاد، فإنها تعتمد على الزراعة، و٩٠٪من السكان يعملون في الزراعة. لهذا السبب فإن حكومة النيجر تعتبر أن توفير المياه للبلاد من أهم القضايا الحيوية التي تشغلها. كما يتوزع الاقتصاد بين مناطق الزراعة والتجارة في الجنوب ومناطق الرعي في الوسط والصحراء الجرداء في الشمال.

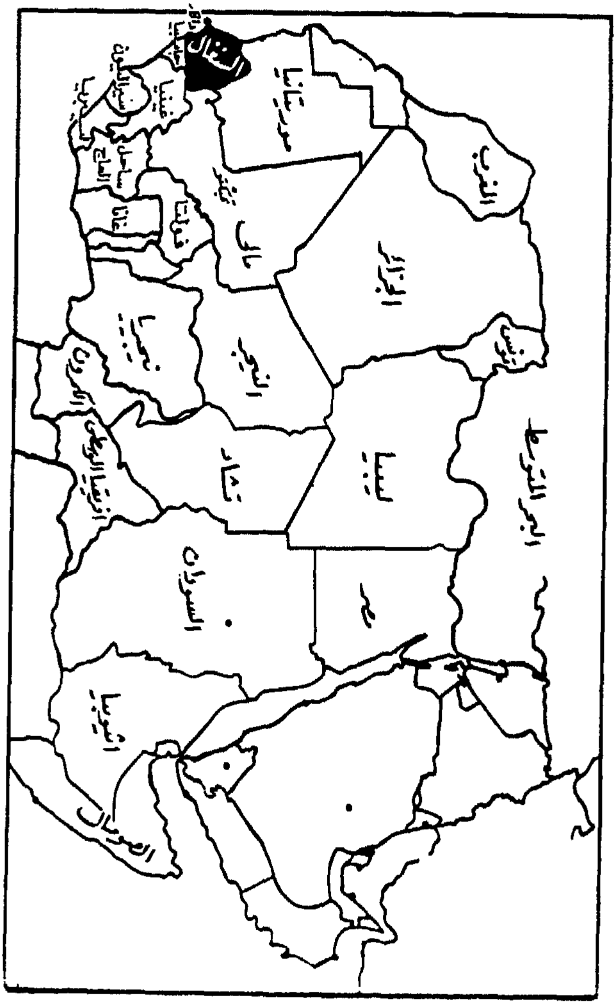
وقد احتلت الزراعة والغابات والمواشي ٤٧٪ من جملة النشاط الاقتصادي، واحتلت التجارة ١٢٪ بينما احتلت المناجم ٩٪.

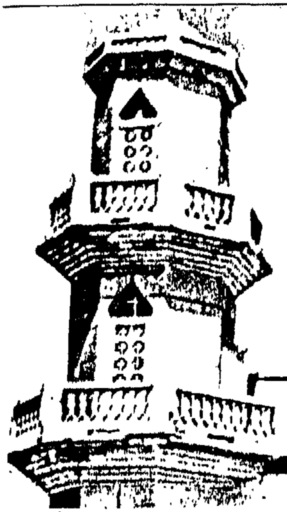
ومن المنتجات الزراعية السائدة في البلاد الذرة والأرز. والفول السوداني والقطن ونبات الكولا (الجورو). ولكن الجفاف أثر في انخفاض الإنتاج الزراعي وفي ضرب الثروة الحيوانية حيث نفق ٦٠٪ من الأبقار و٣٧٪ من الأغنام و٣٨٪ من الجمال. غير أن النيجر استطاعت في الفترات الأخيرة تجاوز هذه المحنة الاقتصادية.

على صعيد آخر فإن النيجر تمتلك كميات كبيرة من اليورانيوم لا سيما في منطقة «ارليت». ويقدر الاحتياطي الثابت من هذا المعدن الثمين بحوالى (٢٨٠) ألف طن. وهو يمثل ٧٥٪ من جملة صادرات البلاد. كما تتميز البلاد بوجود الفحم وإنتاج الفخار والصناعات الفخارية والصناعات الجلدية والأقمشة وصناعة الزوارق واستخراج الملح وصيد الأسماك.

إن مدينة نيامي مثال حي للحياة الإسلامية في النيجر، وهي مدينة نابضة بالقيم والتقاليد والعادات الإسلامية كسواها من مدن وبلدات النيجر.

# دكار


السنغال
موريتانيا
مالي
النيجر
الجزائر
المغرب
تونس
ليبيا
مصر
السودان
تشاد
نيجيريا
إثيوبيا
الصومال
البحر المتوسط
غانا
ساحل العاج
فولتا
غينيا
إفريقيا الوسطى



# دكار

دكار عاصمة السنغال موقعها في افريقية الغربية. عدد السكان في الجمهورية حوالى (٤) مليون نسمة، بينما عدد سكان العاصمة دكار حوالى ٣٧٥ ألف نسمة. مساحة البلاد (٢٠٠) مئتي ألف كيلومتر مربع. ودكار مرفأ على الأطلسي وقاعدة بحرية وجوية. كانت جمهورية السنغال تؤلف مع مالي بين عامي ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ اتحاد مالي. أما اليوم فإنها دولة مستقلة.

إن دكار التي اعتنقت الإسلام منذ قرون، تعاني من بعض جوانب حياتها «فَرْنَسةً» واضحة بسبب السيطرة الفرنسية السابقة. وكان الإسلام قد دخل إلى السنغال ـ ولم تكن تعرف بهذا الاسم يومذاك ـ منذ قرون عديدة، وبالتتابع.

وكان عقبة بن نافع مقيماً في نواحي برقة وزويلة منذ ولاية عمرو بن العاص، فجمع من أسلم من البربر، وسار إلى افريقية (تونس اليوم) واحتلها وأسلم أهلها، حتى اتصل ببلاد السود في غرب افريقيا. ومنذ عام ٥٠ للهجرة والإسلام بدأ ينتشر في شمال افريقيا وغربها. وأشارت الدراسات الافريقية في غرب افريقية إلى

وجود اثني عشر مسجداً في مدينة غانه حوالى عام ٦٠ هجرية ـ ٦٧٩ ميلادية. وساعد فيما بعد المرابطون على توسيع نطاق الإسلام في تلك المناطق.

قام التجار المسلمون برحلات إلى هذه المناطق في غرب افريقيا، وقاموا بدور بارز في مجال الدعوة الاسلامية بين القبائل الافريقية. وازداد الاتصال بهذه المناطق والقبائل في عهد حفيد عقبة بن نافع، عبد الرحمن بن حبيب الفهري (١٢٧ ـ ١٣٢ هـ). وفي هذه الفترة التاريخية لم تكن السنغال موجودة كاسم أو كدولة، وإنما كان يوجد مكانها مجموعة من القبائل والممالك والامبراطوريات الإسلامية. والتكوين السياسي للسنغال إنما تم في القرن التاسع عشر، عندما عملت فرنسا على جمع قبائل المنطقة وممالكها في مملكة واحدة هي السنغال. ثم قسمت الحدود بين دول غرب افريقيا لأول مرة عام ١٨٩٥.

وشكلت السنغال منذ القرن التاسع عشر دوراً مهماً بالنسبة لفرنسا فلم تكن مستعمرة عادية، إنما كانت قاعدة انطلاق وجسرها الأول إلى دول غرب القارة. على سواحلها وضعت أقدامها في البداية، ومنها زحفت لتغزو أركان غرب افريقيا. كما أصبحت دكار مدينة هامة لا سيما بعد أن أصبحت عاصمة للبلاد أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥. وأصبحت مقراً للحاكم الفرنسي ومركزاً للإدارة والتجارة والمواصلات الجوية والبرية.

وبالرغم من أن فرنسا سعت إلى «فرنسة» البلاد، وأنشأت منذ عام ١٩١٩ في جزيرة سان لويس السنغالية معهداً لتخريج جيل سنغالي يكون تابعاً للثقافة الفرنسية، غير أن بعض خريجي هذا

المعهد ظلوا يضغطون منذ الثلاثينات مطالبين باستقلال البلاد. ولما وصل الجنرال ديغول إلى الحكم عام ١٩٥٨، تجاوب مع مطالب السنغاليين، وأعلن استقلال البلاد في تموز (يوليه) ١٩٥٨. غير أن السنغال ظلت ضمن «المجموعة الفرنسية لما وراء البحار» واستمرت قواعد فرنسا البرية والجوية قائمة إلى الآن في دكار وفي تياسي.

إن قبائل السنغال، قبائل زنجية بالدرجة الأولى، وتتكلم (١٣) لهجة. من هذه القبائل:

١ ـ قبيلة «الولوف» وهم سكان الساحل، وهم الأكثر عدداً. حيث يشكلون حوالى مليون ونصف مليون نسمة. والمجتمع في قبيلة «الولوف» منقسم بدوره إلى ثلاث طبقات هي: الأحرار (جامبر) وهؤلاء هم الأشراف ورجال الدين والفلاحون. الحرفيون (جيج) وهم أصحاب المهن ورواة السير والمغنون والعازفون. طبقة العبيد (جام) وهي الطبقة التي تضم الأسرى والسبايا والأرقاء.

٢ ـ قبيلة «الفلان» وهم سكان الصحراء شرقي السنغال، الذين كانوا أول من اعتنق الإسلام في غرب افريقيا.

٣ ـ قبيلة «التكولور» يسكنون وادي السنغال المحيط بالنهر. وتأثرهم واضح بالموريتانيين شكلاً وملامح، وبالولوف في النظام الاجتماعي. وهم ينقسمون إلى ثلاث طبقات: الأشراف وأهل العلم، الفلاحون، أهل الحرف والمهن.

٤ ـ وأخيراً قبيلة «السرير» وهم أهل الغابات سكان الجنوب والغرب، وكانوا على الوثنية.

هذه القبائل المنتشرة في دكـار ومختلف مناطق السنغـال تبلغ حوالي ٤ مليون نسمة، يدين ٩٣٪ منها بالإسلام، و٥٪ بالنصرانية، و٢٪ بالوثنية.

والمسلمون في دكار ومدن السنغال الأخرى يدينون بالمذهب المالكي شأن مسلمي شمال افريقيا. وتتوزع أكثـرية المسلمين في البلاد على أربع طرق صوفية هي: القادرية، التيجانية، المريدية، واللاهينية. ولكل طريقة خليفة عام رئيسي.

منذ دخل الإسلام غربي افـريقيا، انتشـرت اللغة العـربية بين السكان والقبائـل. لأن الإسلام بـطبيعته وعقـائده وتعـاليمه وكتـابه الكـريم يقتضي تعلم اللغة العربية. وأثّرت هذه اللغة على اللهجات المحلية بما يزيد على ٥٠٪. ومنذ قرون ساهم الإسلام في تعريب القبائل وتعريب لهجاتها وعاداتها.

مع سيطرة فرنسا على البلاد، شهدت العربية صراعاً ومنـافساً منظماً هي اللغة الفرنسية. فقد اتبعت فرنسا أساليب سياسية وثقافية لفرنسة السنغال والقضاء على العـربية ومحتـواها الـديني والأدبي والثقافي والاجتماعي. وقد بدا ذلـك واضحاً من خـلال المدارس والثانويات.

ومنذ عام ١٩١٢ أكد أحد المسؤولين الفرنسيين في دكار هذه التوجهات بقوله «يجب أن تكون سياسة فرنسا صارمـة في أفريقيـة الغربية. يجب وضع حد لنشاط معلمي المدارس العربية والكتاتيب القرآنية والمرابطين في البلاد. إن تساهلنا مع هؤلاء يعني أننا نهيء بأنفسنا اعتناق الأفارقة التدريجي للإسلام، وبهذا نكون قد أخذنـا بيد الإسلام، ودفعنا عجلة تقدمه إلى الأمام»

وبالرغم من أن فرنسا أصدرت العديد من القوانين التربوية، وقامت بممارسات عديدة لتطويق اللغة العربية، غير أن هذه اللغة لغة القرآن الكريم استمر أهل دكار والسنغال على تعلمها وتلاوتها. ففي كل قرية سنغالية يوجد العشرات ممن يتقن العربية، بل إن قبائل «الولوف» لا يزالون يكتبون لغتهم بحروف عربية. ولكن مما لا شك فيه بأن الممارسات ضد اللغة العربية لم يكسبها مميزات، التطور والتقدم بين السنغاليين الذين احتفظوا بأساليبها وطرائقها القديمة كأساليب اللغة في القرن التاسع عشر. غير أن الخريجين السنغاليين من الجامعات العربية استطاعوا تصحيح مسار لغتهم العربية، وينتظر أن يقوموا بدور بارز في هذا المضمار في بلادهم.. بالإضافة إلى ذلك، فإن اللغة العربية تدرس في المدارس الأهلية الخاصة وفي المدارس الحكومية. وكانت اختيارية مع بدء استقلال السنغال، غير أنه منذ العام الدراسي ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ أصبحت إجبارية لا سيما لطلاب المرحلة الابتدائية. وفي المرحلة الثانوية يتعلم الطالب اللغة الفرنسية والانجليزية، وعليه الاختيار للغة ثالثة بين الايطالية أو الاسبانية أو العربية. وفي جامعة دكار يمكن لمن يرغب الالتحاق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب.

هذا، وتدرس العربية في المعهد الإسلامي في دكار في المساء وفي العطلات الصيفية. كما أن إذاعة دكار تبث برنامجاً يومياً باللغة العربية لمدة نصف ساعة. كما أن لوزارة الاعلام نشرة رسمية متواضعة باللغة العربية. وفي عام ١٩٧٩ تشكل في دكار «الاتحاد الوطني للكتاب والصحفيين السنغاليين الناطقين باللغة العربية» الذي سعى إلى تكوينه بعض خريجي الجامعات العربية لا سيما الجزائر. وصارت مهمته تكريس الثقافة العربية والدفاع عنها،

وتجميع أبناء هذه الثقافة من الجامعيين حتى لا يجرفهم تيار الثقافة الفرنسية الغالب على الثقافة السنغالية والعربية.

يحافظ سكان دكار والسنغال على عاداتهم القديمة بلبس الطربوش أو القبعة السنغالية ولبس الجلباب الزاهي وحمل السبحات الطويلة في الرقاب. وبالحفاظ على رقصاتهم الشعبية. وفي دكار عدد من المساجد والزوايا وأضرحة الأولياء وزوايا الفقه المالكي وزوايا الطرق الصوفية. ويحافظ السكان على أداء صلواتهم لا سيما أيام الجمع والأعياد. وهم يحتفلون بعيد الفطر (كور) وبعيد الأضحى (تبكسي) وبذكرى المولد النبوي (جمو) وبذكرى عاشوراء (تمخرت) وبأعياد الطرق الصوفية. كما يستقبلون شهر رمضان استقبالاً مميزاً بالأناشيد والمدائح النبوية. ومن الملاحظ أن مدائح النبي محمد ﷺ تحتل كماً كبيراً وغير عادي في إطار نتاج الأدباء السنغاليين الذين يكتبون باللغة العربية.

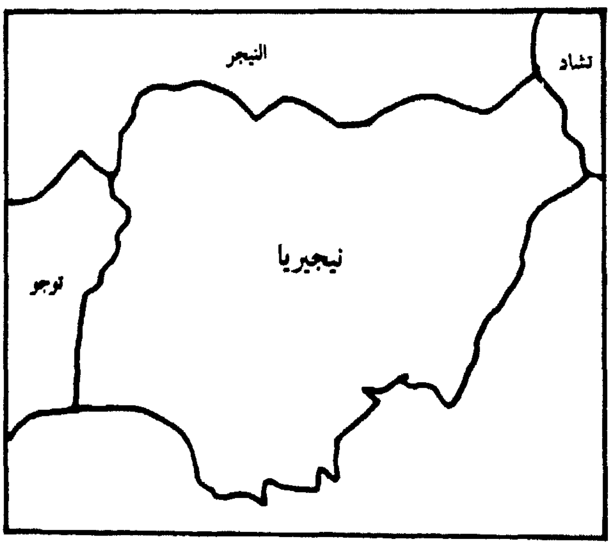
هذا ويوجد في دكار معالم ومواقع أخرى مثل جامعة دكار، ومعهد افريقيا السوداء، والمعهد الإسلامي، واتحاد الجمعيات الثقافية الإسلامية الذي يضم أكثر من أربعين جمعية ويهدف لتعليم الإسلام والعربية، جمعية النهضة الثقافية الإسلامية، وجمعية الفلاح...

وتتميز دكار ومناطق سنغالية أخرى بوجود حرف يدوية كثيرة وبصيد الأسماك. كما تميزت بزراعة الفول السوداني التي تمثل نسبة ٨٠ ـ ٨٥٪ من الإنتاج الزراعي. ويستخدم في إنتاج الزيت. بالإضافة إلى ذلك تنتج السنغال القطن، الأرز والفوسفات. غير أن

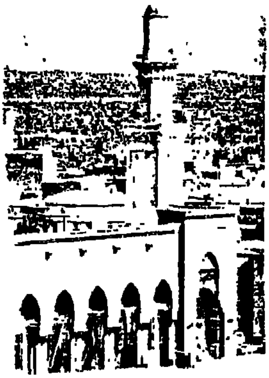
السنغال لا تزال تعـاني من عدم تـوفر الميـاه وإيصالهـا إلى جميع المنازل.

لقد مرت السنغال عبر تاريخها الطويل بتجـارب قاسيـة كانت أكثرها مرارة فترة تصدير العبيد منها بواسطة الـرجل الأبيض. وهي تستذكر ذلك الماضي بألم شديد. وتستذكر من جهة أخرى مفاعيل الإسلام عبر العصور، فترى فيه العامل الوحيد الذي وحدها وشـد من أزرها أمام المصاعب والشدائد، وهو الذي استطاع تحـريرهـا وتقويتها.

# لاغوس



# لاغوس



لاغوس عاصمة جمهورية نيجيريا الواقعة في أفريقية الغربية يحدها من الغرب والشمال داهومي والنيجر، ومن الشرق بحيرة تشاد والكاميرون. كما تقع على رأس خليج غينيا بالمنطقة المدارية. وتصل مساحتها إلى ٩٢,٤٠٠ ألف كلم٢. بينما يبلغ عدد سكان نيجيريا (١٠٠) مليون نسمة. ولهذا تسمى نيجيريا باسم «عملاق أفريقية». نالت البلاد استقلالها عام ١٩٦٠، وأعلنت جمهورية عام ١٩٦٣.

والحقيقة فإن اسم نيجيريا أطلق على هذه البلاد الأفريقية عام ١٩١٤ من قبل الاحتلال البريطاني، وذلك نسبة إلى نهر النيجر الذي يخترق نيجيريا من الشمال الغربي حتى الجنوب الشرقي.

والعاصمة لاغوس هي حسب التقسيم الإداري ولاية من أصل تسع عشرة ولاية هي: انمبرا، بورتو، بوتشي، غونغولا، كانو، كادونا، سوكوتو، نيجر، كوارا، بينوي، اويو، أرغون، أوندو، لاغوس، بندل، البحار، ايمو، عبر البحر، الهضبة.

أما عن دخول الإسلام إلى لاغوس وبقية مناطق نيجيريا، فتشير المصادر التاريخية إلى دخول الإسلام منذ القرن الثامن الميلادي،

بواسطة التجار المسلمين الذين وفدوا إليها من الشمال الافريقي عبر الصحراء الكبرى. وكانت قبائل ودولة «الهوسا» أقدم الدول التي اعتنقت الإسلام، والتي يرجع أصلها إلى القرن العاشر تقريباً. وقد اعتبرت أحد مراكز التوسع الإسلامي في افريقيا منذ دخلها الإسلام في القرن الثالث عشر مع قوافل التجار عبر الصحراء من شمال افريقيا والجزيرة العربية. فلقد اتخذت قوافل التجار وقبائل البربر طريقها صوب الجنوب للإقامة الدائمة بعد أن سيطر العرب على بلاد الغرب.

وكان تدفق الإسلام منذ دخوله إلى المغرب للمرة الأولى ثم انتشاره إلى غرب أفريقيا يتوقف على عاملين:

الأول ـ إسلام شعب الطوارق الذي تبنى الدعوة والجهاد، وخاصة في زمن عقبة بن نافع. حتى أن كثيراً من القبائل تفخر بالانتساب إليه حتى اليوم. ومنهم بعض قبائل الفولاني في شمال نيجيريا. ولقد كان عقبة أول من حمل الطوارق على الإسلام وتبعه في نشر الدعوة كثير من أولاده.

الثاني ـ ضعف مقاومة دولة غانا القديمة، وتسرب الإسلام إليها آخر الأمر، كان عاملاً أفسح الطريق لنشر الإسلام في غرب أفريقيا كله. ولقد قامت سلطنة «ملي» التي أسسها شعب المادنجو دوراً كبيراً في تفكك دولة غانا وإنشاء سلطنة إسلامية امتدت حتى منطقة النيجر الأوسط في الفترة من عام ١٣٠٧ إلى ١٣٢٢. وكذلك قامت سلطنة

إسـلامية أخـرى هي سلطنـة «سنغي» التي تقـع منـطقـة سيادتها على ضفة النيجر الأوسط. وكان أهلها قد اعتنقوا الإسلام في منتصف القرن الحادي عشر.

ولا بد من الإشارة في مجال انتشار الإسلام في لاغوس ومدن نيجيريا، هو أنه عظم أمر المسلمين في القرن الثالث عشر الميلادي نتيجـة لنفوذ (المـوحدين) و(المـرابطين) الـذين أقامـوا دولتهم في المغرب العربي.

ونتيجة لانتشار الإسلام واضمحلال الوثنية، فإن لاغوس يغلب عليها وعلى سكانهـا الطابـع الإسلامي. وبلغ عـدد المسلمين في نيجيريا ثمانون مليون مسلم، بينما بلغ عدد النصارى ١٥٪ وعـدد الوثنين ٥٪ من السكان.

يتوزع السكان على عـدد من القبائـل تضم (٢٥٠) قبيلة لكل منها لغتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها. وأكبر هذه القبائل: الهوسا، الأيبو، اليوربا، الفولان، والكنوري.

وطبقاً للتقسيم الإداري نجد في الاقليم الشمالي الذي يشغل ٧٥٪ من مساحة الدولة حوالى ٦٠٪ من جملة السكان. ويتحدث ٤٠٪ منهم بلغـة الهوسـا. ويرتبط هـذا الاقليم بحركـة الفتوحـات الإسلامية في شمال وغرب أفريقيا. ولذلك فمعظم سكانه يدينـون بالإسلام.

ومن أهم قبائل هذا الاقليم الهوسا التي تمثل ١٩٪ من سكانه. وتليها الفولاني التي تمثل ١٠٪، ثم نيوب وتيف وكانوقي.

ويلي الاقليم الشمالي من حيث تعداد السكان الاقليم الشرقي

الذي تصل مساحته إلى ٣٠ ألف ميل مربع. ويعيش فيه ٢٥٪ من سكان نيجيريا. ومن أكبر قبائله ايبو التي تمثل ١٩٪ من سكانه. وتليها مجموعة قبائل صغيرة جداً مثل قبائل ايبو وايجو.

أما الاقليم الغربي، فرغم أن مساحته ٤٥ ألف ميل مربع، فهو أقل الأقاليم الثلاثة سكاناً، فلا يتجاوز نصيبه أكثر من ١٥٪ من السكان، ومن أكبر قبائله اليوربا التي تمثل حوالي ١٨٪ من سكانه. وقد اختلف الباحثون حول الأصول الأولى لسكان الأقليم الغربي. فالبعض يقول إنهم من صعيد مصر، وفريق آخر يرى إنهم من شرق أفريقيا أو الجزيرة العربية، وهم في الحقيقة خليط من كل هذه الأجناس.

والأمر الملاحظ انتشار الطرق الصوفية وزواياها في لاغوس ومناطق أخرى. وقد قامت هذه الطرق الصوفية بدور بارز في نشر الإسلام في نيجيريا. وتعتبر القادرية أقدم طريقة صوفية أدخلها الشيخ عثمان بن فودي الفولاني. واستطاع تأسيس امبراطورية إسلامية واسعة أقامت الشريعة الإسلامية في السودان الغربي وأعالي السنغال وبلاد الهوسا منذ القرن الثالث عشر الميلادي.

وتعتبر حركة الشيخ عثمان الفولاني حركة إصلاحية إسلامية ضد العادات والتقاليد الوثنية التي كانت ما تزال سائدة في نيجيريا. وما زالت نيجيريا الإسلامية تدين حتى اليوم لحركة ذلك المجاهد. وكان لأحفاده شرف الجهاد والدفاع عن البلاد من الاستعمار البريطاني.

ومن الطرق الصوفية السائدة في لاغوس وسواها الطريقة التيجانية. غير أنه من الملاحظ أن الاستعمار البريطاني شجع على

انتشار بعض الفرق التي لا تمت إلى الإسلام بصلة وهي الفرق الهدامة منها: الفرقة القاديانية أو الأحمدية التي أسسها أحمد القادياني في الهند في القرن التاسع عشر الميلادي. وفرقة ميتاتسين التي ظهرت في الأربعينات في كانو على يد مؤسسها محمد مروه الموفي، وهو من أصل وثني ادعى أنه اعتنق الإسلام. وبواسطة ادعاءاته أثار الفتن بين المسلمين في نيجيريا والتي أسفرت عن آلاف الضحايا. ومن الفرق الأخرى البهائية، وهي انتشرت مع انتشار وسيطرة الاستعمار البريطاني في المنطقة.

ولا تزال لاغوس ومناطق نيجيريا الأخرى تعاني من دور الحركة الصهيونية في المجتمعات الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية.

وتخوفاً من نفوذ الحركات السياسية والدينية الهدامة في نيجيريا والعاملة ضد الإسلام والمسلمين، فقد سارعت «جمعية الدعوة الإسلامية العالمية» للعمل بأساليب عدة لحماية المسلمين ولدعم المؤسسات الإسلامية النيجيرية، والمساهمة في بناء واستكمال بناء المساجد والمدارس والمستشفيات ودعم صندوق الأوقاف الإسلامية الذي يتولى الإشراف على عدد من المدارس والمساجد والمراكز الإسلامية، وإرسال عدد من الدعاة إلى مختلف الأقاليم للدعوة إلى الإسلام، وتنوير المسلمين بأمور دينهم. وتقوم الجمعيات والهيئات الإسلامية النيجيرية بدورها في هذا المضمار، بالتعاون مع المؤتمر العام للدعوة الإسلامية باعتبارها من أعضاء المؤتمر.

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن أكبر دولة إسلامية في أفريقية لا تزال تعاني من أخطار ثلاثية وهي: الصهيونية، البعثات التنصيرية،

والفرق الهدامة. وقد استوجب ذلك جهود أساسية ومضنية من قبل المسلمين النيجيريين للحفاظ على دينهم ومعتقداتهم الإسلامية.

هـذا وينتشـر في العـاصمـة لاغـوس العـديـد من المعـاهــد والمدارس الإسلامية والمدنية. وتنتشر المساجد في لاغوس وكانو ومختلف المناطق والمدن النيجيرية. وهناك جامعـات منها جـامعة لاغوس وجامعة بايرو في كانو. ومن مزايا مساجدها لا سيما مسجد لاغوس إنهاتـزدحم بالمصلين بحيث أن المصلين يضطرون للصلاة في الفضاء خارج المسجد. وهذه صفة عامة في مختلف مساجـد نيجيريا.

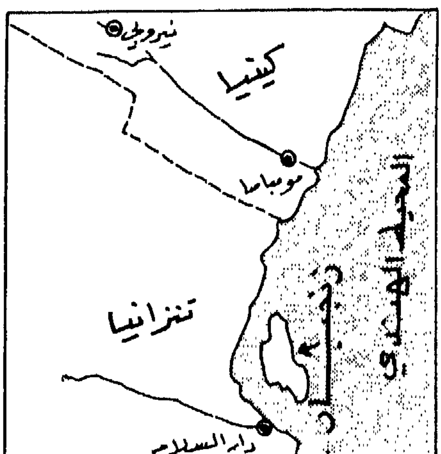
تتميز نيجيريا بالإنتاج الزراعي وإنتـاج الفواكـه وزيت النخيل وخشب الكاكاو والمطاط.

ويلاحظ بأن عدداً كبيراً من النيجيـريين يحرصـون على تعلم اللغة العربية لارتباط ذلك بحفظ القرآن الكريم. كما أن المدارس والمعاهد الإسـلامية تـدرس اللغة العـربية، وتحـرص على تعليم القـرآن الكريم. والـواقع فـإن التعاون بين المسلمين في نيجيـريا وبعض الدول العربية والإسلامية ساهم في تطور تعليم اللغة العربية وفي إرساء الدين الإسلامي في مواجهة التيارات الهدامة.

والمسلمـون في لاغوس يحـرصـون على الاحتفـال بـالأعيـاد الإسلامية لا سيما عيدي الفطر السعيد وعيد الأضحى. كما يحرص المسلمون على صيام شهر رمضان المبارك.

لاغـوس عاصمـة لدولـة إسلاميـة كبرى. وفي حـال تـوظيف المسلمين والعمل الإسلامي في نيجيريا يمكن أن تتكـون طاقـات إسلامية أفـريقية تعمـل لما فيـه خير الإسـلام والمسلمين ليس في أفريقيا فحسب، وإنما في العالم الإسلامي أيضاً.

# زنجبار


نيروبي
كينيا
مومباسا
تنزانيا
دار السلام
زنجبار
المحيط الهندي



# زنجبار

زنجبار من المَدن الإسلامية العربية العريقة، تقع على الساحل الشرقي لافريقيا حيث يحدها من الشمال مومباسا وكينيا عامة ومن الجنوب والشرق تنزانيا وعاصمتها دار السلام، ومن الغرب المحيط الهندي. وتبلغ مساحتها حوالى (١٦٠٠) كلم مربع، وعدد سكانها حوالى (٣٠٠) ألف نسمة.

وزنجبار لفظ أطلقه العرب على هذه المنطقة، وهي كلمة عربية تعني «بر الزنج». وكان العرب وتحديداً العُمانيين قد سيطروا على الساحل الشرقي لأفريقيا منذ القرن الأول الميلادي. وامتد نشاطهم التجاري حتى الهند. وتشير المصادر التاريخية إلى أن عُمان استعصت على بني أمية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، الذي فوَّض الحجاج بن يوسف الثقفي في بسط نفوذ الأمويين على عُمان. فأرسل الحجاج جيشاً كبيراً لتنفيذ هذه الرغبة، فآثر سلطانا عُمان سليمان وسعيد ابنا عبد الجلندي أن يغادرا وأهلهما عمان إلى أرض الزنج زنجبار، لأنها كانت تخضع للعمانيين وفيها تواجد عماني كثيف.

كانت زنجبار تخضع لسلطنة عمان سواء في عهد السلاطين اليعاربة أو سلاطين آل البوسعيد. وكانت السلطة العمانية تمتد إلى مومباسا وماليندي ومقديشو وأسمرة وبعض المدن في وسط أفريقيا. وقد ظلت سيطرة العمانيين على زنجبار وساحل شرق أفريقيا حوالى ألف عام. ولم تنقطع السيطرة العمانية على زنجبار وشرق أفريقيا إلا لفترات قصيرة بسبب رحلات الاستكشاف البرتغالية، ثم من الاستعمار البرتغالي نفسه، إلى أن طرد الإمام سلطان بن سيف البرتغاليين من عمان ومن ساحل شرق أفريقيا.

في عام ١٨٢٨ قام السلطان سعيد بن سلطان بزيارة إلى زنجبار، وفي الفترة ذاتها أصدر قراراً جعل من الجزيرة الزنجبارية مقره الرسمي وعاصمة لسلطنة يحكم منها عمان وساحل أفريقيا. عند ذلك ازدادت هجرة العمانيين إلى الجزيرة وتكثف وجودهم. وتبين للقوى الأوروبية أهمية موقع هذه الجزيرة، فبدأت الصراعات للسيطرة عليها بين بريطانيا وألمانيا، ثم بين ايطاليا وفرنسا وبريطانيا وأميركا. وتم التوقيع على معاهدة صداقة بين أميركا وزنجبار عام ١٨٢٣، وبين بريطانيا وزنجبار عام ١٨٣٩. ولم يكن توقيع هذه المعاهدات من واقع ضعف سلطان زنجبار، ذلك إن السلطان سعيد كان يملك أسطولاً بحرياً قوياً مؤلفاً من خمسة وسبعين سفينة في كل سفينة (٥٦) مدفعاً، فقد كان صاحب أقوى أسطول موجود في المنطقة الواقعة بين رأس الرجاء الصالح حتى اليابان.

بعد وفاة السلطان سعيد بن سلطان في ١٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٨٥٦ ثار الخلاف بين الأخوة، فتدخلت بريطانيا للمصالحة وقسمت الحكم بين الأخوين، فجعلت عمان من نصيب

السلطان ثويني بن سعيد، وجعلت زنجبار من نصيب السلطان ماجد. ومنذ ذلك التاريخ انفصلت زنجبار عن عمان. وبسبب تفاحل الخلاف بين الأسرة الحاكمة في زنجبار عقد مؤتمر بروكسل لبحث وضع القارة الأفريقية برمتها. وفي ضوئه قسمت أفريقيا بين الدول الأوروبية المتصارعة. وقسمت زنجبار عام ١٨٨٦ بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

وتبين بأن بريطانيا أحكمت قبضتها على زنجبار، وشجعت على هجرة الأفارقة إليها، ثم عملت على تعميق الهوة بين العرب والأفارقة والتمييز بين ما هوعربي وما هو أفريقي.

هذا وتنتشر في زنجبار اللغة العربية واللغة السواحلية التي ٧٠٪ منها من أصل عربي والباقي من جذور أفريقية، بالإضافة إلى انتشار الانجليزية. ولا يزال العرب العمانيون يقيمون في زنجبار يمارسون أعمالهم وشعائرهم الدينية بشكل عادي.

أما فيما يختص بشوارع ومناطق وعمارة زنجبار، فيشعر الناظر إنه في مدينة عربية إسلامية. فالعمارة على الطراز العربي، والأثر العماني واضح مع مؤثرات هندية وأفريقية. ويلاحظ بأن الأبنية القديمة يحفر على مداخلها عبارات اللغة العربية مستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية أو عبارات مستقاة من العقيدة الإسلامية مثل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، مع ذكر التواريخ الهجرية والميلادية.

ويهتم أبناء زنجبار بالزراعة المتنوعة، فإلى السلطان سعيد يعود الفضل في أنه أول من شجع زراعة شجر القرنفل في الجزيرة. وبفضله أصبحت زنجبار اليوم أكبر مصدر للقرنفل في العالم كله.

وينتشر في الجزيرة أيضاً زراعة جوز الهند والقصب السكري والذرة والمانجو وصيد السمك. ومن ملامح المدينة المميزة الغابات الكثيفة من أشجار جوز الهند «النارجيل» والقرنفل، وتعبق الطرقات العامة بروائح زهر القرنفل والزهور البرية. وتُقطع عدة ألياف شجر «النارجيل» ليستخرج منه الزيوت من ثمره. كما يمارس بعض أهالي زنجبار العمل التجاري وبيع الأقمشة والعطارة وأدوات الزينة وسواها.

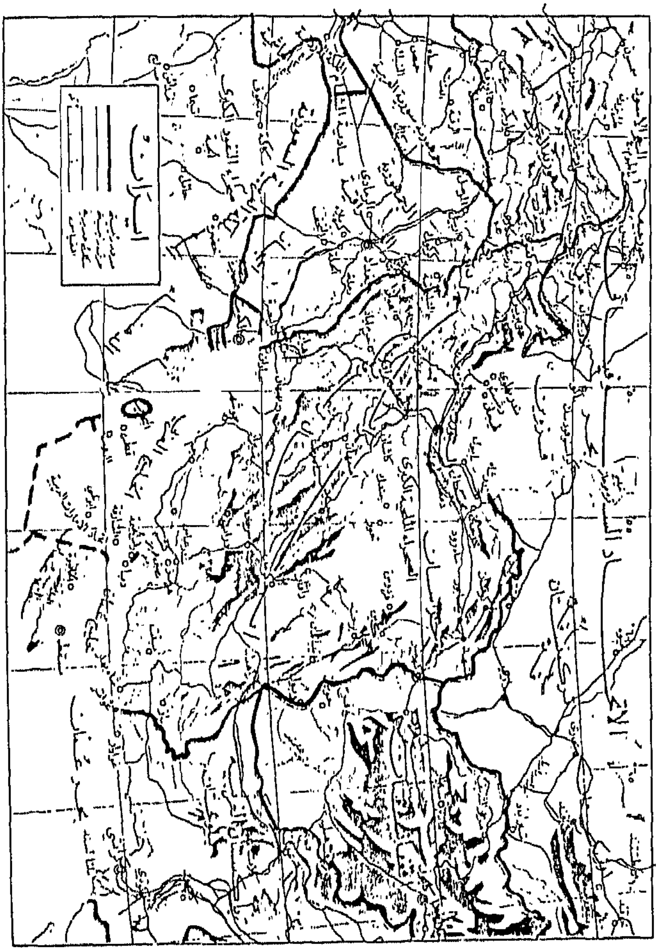
يحرص أبناء زنجبار على التمسك بأهداب الدين الإسلامي ومعتقداته، لذا يلاحظ كثرة المساجد والمعاهد الدينية للمحافظة على الإسلام. كما انهم يحرصون على إقفال محالهم التجارية لتأدية الصلاة ظهراً أو عصراً مع الجماعة في المسجد. كما تتميز زنجبار بقلعتها التاريخية القديمة وبمينائها المشرف على المحيط، وبأسواقها الإسلامية المتخصصة مثل سوق العطارين وسوق النحاسين وأسواق أخرى على غرار بقية الأسواق الإسلامية المعروفة في العواصم الإسلامية. كما أن عادات سكان زنجبار وتقاليدهم هي عادات وتقاليد إسلامية عربية وعُمانية تحديداً.

زنجبار تلك المملكة العربية الإسلامية، ومفتاح الشاطىء الشرقي لأفريقيا، زنجبار تلك الجزيرة العربية لغة وتاريخاً وتراثاً وحضارة وحكماً، لم تعد اليوم تلك المملكة أو المدينة التي عرفت عبر التاريخ، فقد جرى فيها بعض التدخلات الافريقية بعد استقلالها عن بريطانيا في كانون الأول (ديمسبر) عام ١٩٦٣، وبمساعدة بريطانية حدث انقلاب دموي في زنجبار خلع به السلطان وتدخلت القوة العسكرية في البلاد. وفي ٢٦ نيسان (ابريل) عام

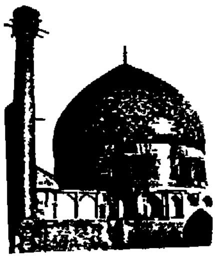
١٩٦٤ أعلن قيام الوحدة بين تنجانيقا وزنجبار، وأصبح اسم الدولة الجديدة تنزانيا واختيرت دار السلام عاصمة لها. ونص اتفاق الوحدة ثم الدستور على أن يتولى الرئاسة جوليوس نيريري من تنجانيقا وأن يليه في الرئاسة حاكم زنجبار.

وهكذا ضاعت زنجبار وانتقلت من مرحلة التعريب إلى مرحلة الأفرقة، غير أن سكانها لا يزالون يدينون بالولاء للعروبة والإسلام. وهم لا ينتمون فقط إلى زنجبار العربية الإسلامية، بل يذكرون على الدوام أن في العالم العربي توأم لمدينتهم هي مدينة زنجبار المدينة المشهورة في جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية، ويذكرون بأن جذورهم عربية إسلامية تعود إلى الجذور العُمانية العربية.

# ايران



# ايران



## جغرافية وسكان إيران

تقع إيران في قارة آسيا في منطقة من أهم المناطق الاستراتيجية والجغرافية عاصمتها طهران. يحد إيران من الشمال بلاد القوقاز وبحر الخزر والتركستان الروسية، ويحدها من الشرق أفغانستان وباكستان، ومن الجنوب بحر عُمان ومضيق هرمز، ومن الغرب العراق وتركيا. يحيط بإيران روسيا والمناطق السوفياتية السابقة التي تمتد حدودها في شمال إيران أكثر من ألفي كيلو متر، وأفغانستان، والعراق وتركيا في الغرب، ومعنى ذلك أن تلك الدول المحيطة بها هي بمثابة بؤر للتوتر والخلافات التاريخية منذ القدم.

تبلغ مساحة الجمهورية الإسلامية في إيران ١,٧٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع، أما عدد سكانها حسب إحصاء أجري قبل الثورة الإسلامية، فقد بلغ عدد السكان حسب إحصاء عام ١٩٧٧ ما مجموعه ٣٣,٥٩١,٨٧٥ نسمة، بينهم نحو مليون ونصف مليون كردي يقطنون كردستان الإيرانية، ونحو نصف مليون في مقاطعة بلوخستان، ونحو نصف مليون تركماني يسكنون صحراء التركمان. وبين الأكراد السنة عدد كبير من الشيعة يقطنون منطقة كرمنشاه. كما

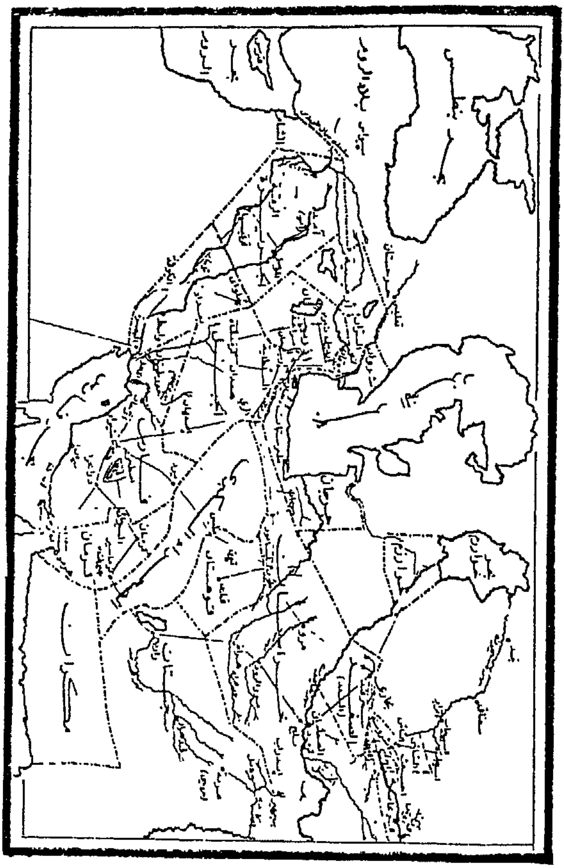
أن فيهم عدداً من العلويين الذين يطلقون على أنفسهم اسم «أهل الحق» وهم جزء من نحو مليون ونصف مليون علوي يسكنون ضواحي كرمنشاه وكرند وذهاب وزنجان وقزوين وفي طهران ذاتها وضواحيها. كما أن في إيران عدداً من الإسماعيليين الأغاخانيين أكثرهم في مناطق خراسان وكرمان[1].

ويوجد في إيران طوائف غير إسلامية من الزرادشتيين والمسيحيين الأرمن والأشوريين والبهائيين واليهود. وتنتشر هذه الطوائف في طهران ويزد وكرمان وشيراز وأصفهان وتبريز ومراغة ومناطق أخرى.

أما المناخ في إيران فيعتبر معتدل نسبياً، يشبه مناخ البحر المتوسط، غير أن البرودة تشتد شتاءً لا سيما في الأقاليم الشمالية والغربية التي تشهد تساقط الثلوج في المناطق المرتفعة. كما أن سواحل الخليج تشهد الحر الشديد. ويبلغ معدل ارتفاع هضبة إيران نحو ألف وتسعمائة قدم.

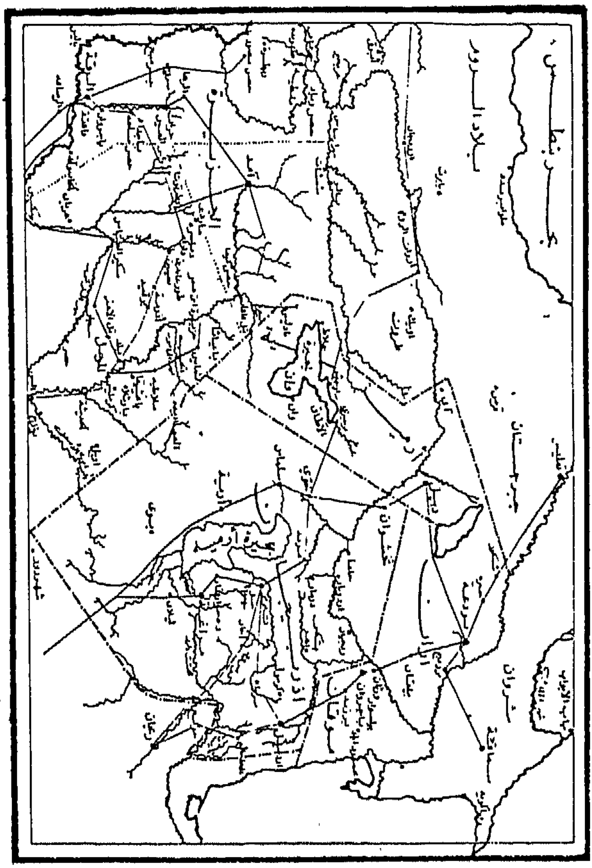
وتعتبر الزراعة في إيران من أهم القطاعات الاقتصادية نتيجة لخصوبة تربتها واهتمام السكان بهذا القطاع، ذلك أن أكثر سكان إيران يعملون في الزراعة أو في المهن أو القطاعات المتصلة بها. يوجد في إيران أكثر من ٣٣,٠٠٠,٠٠٠ هكتار من الأراضي الزراعية يزرع فيها مختلف أنواع الزراعات لا سيما القمح والقطن والأرز والشمندر والعنب والبندق والجوز واللوز والفستق وأنواع

(١) السيد حسن الأمين: ثورة إيران في جذورها الإسلامية الشيعية، ص ٥، ملف النهار - بيروت ١٩٧٩.



الطرق الرئيسية في الولايات الشرقية .. في عهد الخلافة العباسية.

(هذه الخريطة وبقية الخرائط اللاحقة نقلا عن: بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية).




ولايات الثغور في الشمال الغربي . مع قسم من الجزيرة وأذربيجان.

البطيخ والجوت والليمون والخضراوات والفواكه. أما التمر فيعتبر من أهم المنتجات الإيرانية. وتواجه إيران مناطق صحراوية كبيرة تصعب فيهاالزراعة بشكل جيد منها صحراء «لوت» وصحراء «كوير» وصحراء «التركمان». فالصحراء واسعة في إيران لا سيما في المناطق الوسطى والشرقية[1].

أما فيما يختص بالصناعة في إيران، فإنها ارتبطت منذ سنين بعيدة بالزراعة وبالحرف والمهن، ثم بدأت تتطور تباعاً مع اكتشاف البترول منذ عام ١٩٠٨، بحيث نشأت صناعات بترولية. كما تهتم إيران بالصناعات الكيمائية والصناعية والمنسوجات والألبسة والصناعات الحريرية والقطنية والصوفية بالإضافة إلى صناعة الأثاث والأخشاب والصناعات الذهبية والفضية والنحاسية والحلي وسواها من صناعات متنوعة[2].

هذا وقد كان للشعب الإيراني دور فاعل في الحياة العلمية الإسلامية، وبات جزءاً حيوياً في ميدان العلوم عند العرب والمسلمين.

## دور إيران في الحياة العلمية في العالمين الإسلامي والعربي

أفرزت فارس الإسلامية عدداً وفيراً من الأئمة والعلماء والأدباء والمفكرين، قاموا بدور بارز في نهضة العلوم عند العرب والمسلمين. ولا شك بأن الإسلام هيأ للفرس (للإيرانيين) عملية البحث والتنقيب والتأليف. ولهذا لا يمكن أن ينكر ما للمسلين الإيرانيين من دور في الحياة العلمية في العالمين الإسلامي

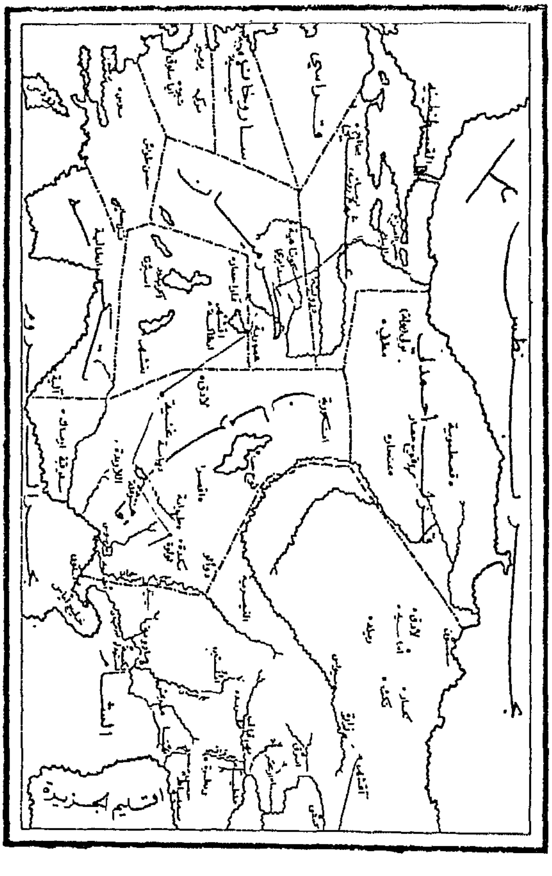
(١) السيد حسن الأمين، المرجع السابق، ص ٦.

(٢) اهتمت إيران بإقامة معارض لمصنوعاتها المتنوعة منها معارض بيروت في عامي ١٩٩١-١٩٩٢ والتي شهدت إقبالاً شديداً من الجمهور اللبناني.

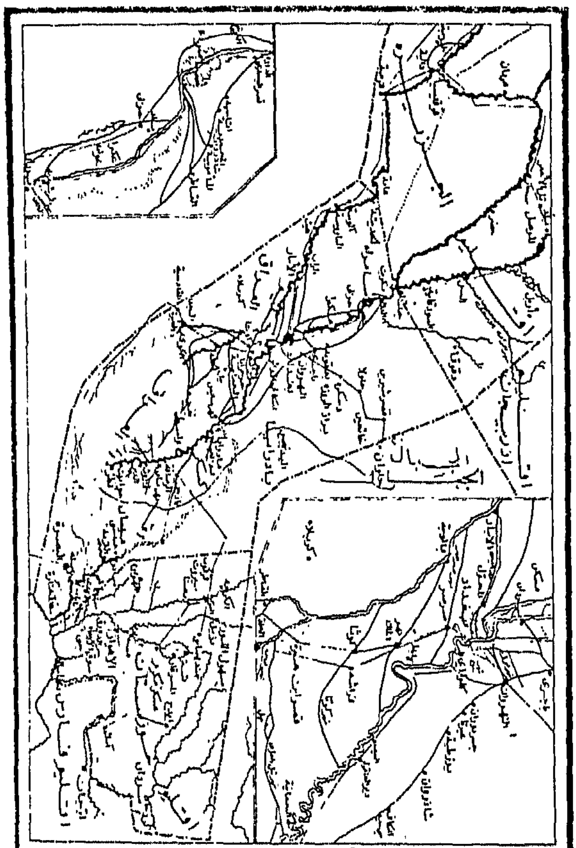
والعربي. فابتدأ دورهم يظهر في العهد الأموي، غير أن دورهم الفاعل كان في العصور العباسية. فقد سبق لإبراهيم الفزاري أن ترجم للمنصور كتاب الفلك الهندي المعروف باسم «السند هند» ثم جاء محمد الخوارزمي (من خوارزم) فلخصه للمأمون. والخوارزمي هو الذي اقتبس كتاب بطليموس في صورة الأرض وأضاف إليه، ووضع أول كتاب مستقل في الجبر. ومن هنا فإن اسمه لا يزال خالداً إلى اليوم في كلمة (Algorithm)[1]. وقد اخترع الخوارزمي نظريات وطرقاً جبرية لتسهيل عمليات الجبر، لا سيما المتعلقة منها بعلم الميراث (علم الفرائض) فألف كتاباً مشهوراً باسم «الكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة»[2]. وقد ساهم في تطور الرياضيات مع الخوارزمي كل من العلماء: الكرخي، الطوسي، البيروني وعلماء من المناطق والمدن العربية والإسلامية الأخرى.

ويعتبر صحيح بخاري ومسلم من أهم الأسانيد المعتمدة في مجال الحديث الشريف. وكان خلف بن أحمد أمير سجستان وإسماعيل الساماني أمير بخارى كانا يرويان الحديث تبركاً واعتزازاً. ونهض الإمام أبو حنيفة بعلم الفقه فأدخل فيه الرأي والقياس، واستطاع بذلك أن يجعله علماً له أسس وقواعد كسائر العلوم[3]. وكانت نيسابور أول مركز علمي هام في خراسان ظل محتفظاً بمكانته حتى زمن السلجوقيين الذين اتخذوا مرو عاصمة

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٠٣-٢٠٤.
(٢) للمزيد من التفصيلات أنظر: د. ماهر عبد القادر، د. حسان حلاق: تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٩٦-١٩٩.
(٣) السيد حسن الأمين: ثورة إيران، ص ٢٢.



ولاية «بلاد الروم»



ولايتا العراق وخوزستان وقسم من ولاية الجزيرة.

لهم، وانتقلوا بعد ذلك إلى أصبهان. ومن الأئمة العلماء المشهورين الفقيه النيسابوري (من نيسابور) الذي ترجم له ابن خلكان.

وكانت في بخارى عاصمة السامانيين مكتبة هامة ورد ذكرها في أخبار ابن سينا، وابن سينا نفسه حصل على علومه ومعارفه كلها في بخارى، وبرز في الفلسفة أيضاً البلخي والرازي. وكان من الصعب تصنيف العلماء المسلمين في علم واحد قائم بحد ذاته، لأن أكثرهم عملوا في أكثر من علم.

هذا وقد أنجبت خوارزم شخصيتين من أعظم الشخصيات العلمية في الإسلام هما: الزمخشري في العلوم النقلية وأبو الريحان البيروني أستاذ العلوم العقلية وأول من أدخل منهج المقارنة في العلم. ومن الأطباء المسلمين الفرس البارزين إسماعيل الجرجاني ومن العلماء الفلاسفة الإمام الرازي والإمام الغزالي. ومن علماء الرياضيات الشهير عمر الخيام الذي بنى الزيج المعروف باسم الزيج الملكشاهي، وهو الذي أدخل إصلاحاً جديداً في التقويم الفارسي ـ التقويم الجلالي[1]. كما برز في الأدب ابن المقفع وبرز الكثير من الشعراء بالفارسية والعربية.

وممن برز في العلوم العقلية بعد ابن سينا العالم نصير الدين الطوسي الذي ساهم مساهمة فاعلة في إنقاذ التراث الإسلامي في فترة حكم المغول. وكان أبو زيد البلخي قد وضع مصوراً جغرافياً، وجعله ذيلاً لأطلس إسلامي سبق أن وضعه الخوارزمي.

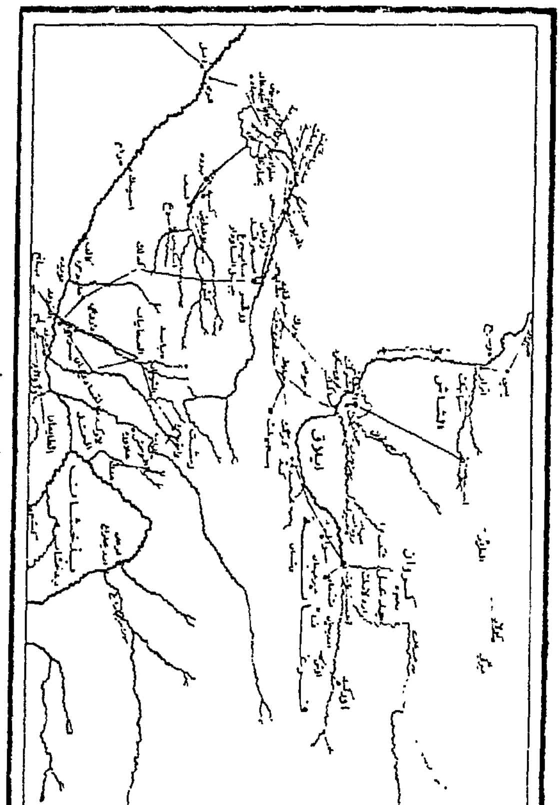
---

(١) السيد حسن الأمين، المرجع السابق، ص ٢٥، بروكلمان، المرجع السابق، ص ٢٧٦.

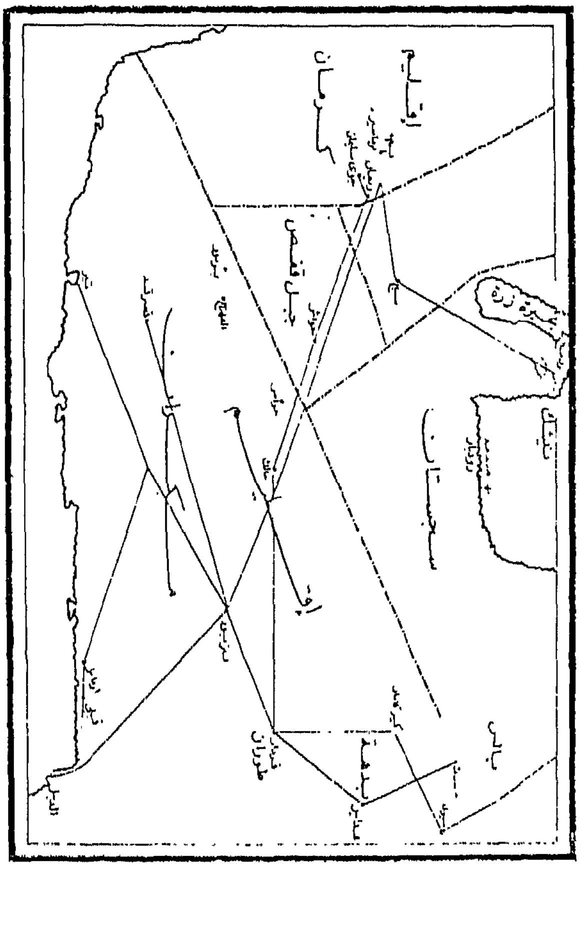
ومن الأعلام الذين عرفوا بكتاباتهم التاريخية أبو جعفر محمد بن جرير بن كثير الطبري (٢٢٤-٣١٠ هـ) من طبرستان في قزوين، الذي اشتهر في تفسيره الجامع للسنن وفي تاريخه الموسوعي «تاريخ الرسل والملوك» أو «تاريخ الأمم والملوك» وهو موسوعة شاملة للتاريخ[1]. وكذلك أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي (من بيهق في خراسان)(٣٨٥-٤٧٠هـ، ٩٩٥ - ١٠٧٧م) الذي اشتهر بالسنن وكتاب تاريخ البيهقي[2]. ومن الأعلام الذين عرفوا بكتاباتهم التاريخية في عهد سلاطين المغول المسلمين حمد الله المستوفى القزويني (ت ٧٥٠ هـ) وفي علم الهيئة والمراصد بزر نصير الدين الطوسي صاحب مرصد مراغة، ومنهم العالم قطب الدين الشيرازي. ومن أطباء العهد المغولي الإسلامي رشيد الدين فضل الله الهمداني الذي اشتغل بعدة علوم غير الطب[1].

وبما أننا لسنا هنا بصدد فهرسة شاملة للعلماء المسلمين الفرس ولمصنفاتهم العلمية فإن بإمكان الباحث أو الدارس أو القارىء الاطلاع على كتاب الفهرست لابن النديم، والفهرست للطوسي وعلى كتاب ابن أبي أصيبعة «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» وعلى مصنفات الفهارس العلمية القديمة حتى يتبين مدى مساهمة العلماء المسلمين الفرس إلى جانب أخوانهم من العلماء المسلمين العرب

(١) أنظر: حسان حلاق: مناهج الفكر والبحث التاريخي، ص ٣٥١-٣٥٧.
(٢) حسان حلاق، المرجع نفسه، ص ٣٥٨-٣٦٦.
(١) للمزيد من التفصيلات عن دور الفرس في الحياة العلمية وعن الحياة الثقافية عند الايلخانيين ومظاهرها الإسلامية أنظر: د. محمد أحمد محمد: إسلام الايلخانيين، ص ١٠٦-١٢٩، شركة الصفا - القاهرة ١٩٨٩.



ولايتا سيحون وجيحون.




ولاية مكران مع جزء من ولاية سجستان

في تطور العلـوم: في الطب والهندسة والعمارة والرياضيات والفلك والتقويم والفيزياء والكيمياء والفلسفـة والأدب والشعر والمـوسيقى والصيدلة والعلوم كافة.

## لمحة تاريخية

تعتبر البلاد الفارسية موطن الآريين القدماء وموطن لحضارات قديمة حيث تعـرضت هذه البـلاد لموجـات يونـانية وروميـانية كمـا تعـرضت البلاد لمـوجات مجـوسية وتـأسست في تلك البلاد دول عديدة منها الدولة الميدية غير أن أهم هذه الدول في التاريخ القديم مـا أسسه «كـورش» عـام ١١٨١ ق.م. وعـرفت دولتـه بـالـدولـة الأخمينية وهو الذي اعتنق الديانة الـزُرداشتية وتـوسعت الدولـة في عهده مسافات عديدة وفي عهد ابنه «قمبيز» ثم فتح مصر وفينيقيـا (البلاد السورية) وخضعت له مناطق عديدة في الشرق والغرب[1]. وكانت الامبراطورية الفارسية قد أصبحت الدولة الأولى في المنطقة وكانت دولة الفرس ودولة الروم تتنازعان على مناطق النفوذ إلى أن ظهر الإسلام وبدأ يتسع نفوذه وسيطرته وبدأت بالمقابـل قوة دولـة الفـرس ودولة الـروم تتضاءل في المنـطقة وانتصـر المسلمـون في

(١) للمزيد من التفصيلات عن الحضارة الفارسية أنظر كتابنا: ملامح من تاريخ الحضارات، ص ١٠١ - ١٠٧، أنظر أيضاً:

Dicks, B; The Ancient Persians, London 1979.

- Browne, E.G; A Literary History of persia, Cambridge 1964.

- Olmstead, A.T.e; History of the Persian Empire, Chicago 1948.

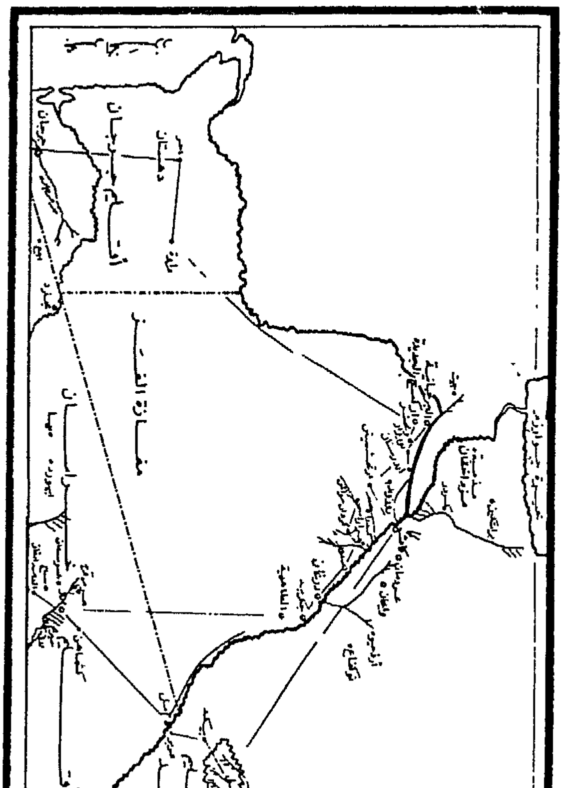
وللمزيد من التفصيلات عن تاريـخ إيران انـظر: د. عبد العـزيز نـوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٢٠ وما يليها من صفحات.

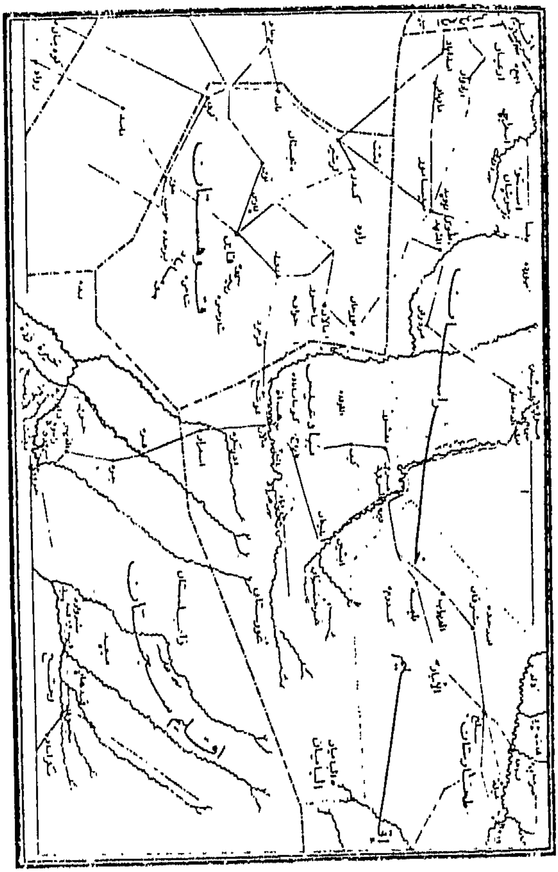
معارك عديدة خاضوها ضد الفرس مما سهل انتشار الإسلام في الامبراطورية الفارسية واعتبر كسباً للمسلمين الذين ازداد عددهم[1]. وفي عهود الخلفاء الراشدين وفي العهود الأموية والعباسية والفاطمية وسواها من العهود الإسلامية تبين بأن المسلمين الإيرانيين قاموا بدور بارز في الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية حيث اندمجوا في المجتمعات العربية والإسلامية وقد تعرضت إيران والمنطقة إلى غزوات في العهود الإسلامية منها غزوات المغول واجتياح تيمورلنك للمنطقة بقيادة جنكيزخان وقد أزال حفيد جنكيزخان القائد هولاكو الدولة العباسية في بغداد واستمر في تقدمه نحو الغرب، غير أن المغول هزموا فيما بعد في معركة عين جالوت في فلسطين عام ٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م أمام المماليك الذين حلت دولتهم مكان الدولة الأيوبية.

ومن استقر من المغول في أرض الإسلام اعتنق الدين الإسلامي. وأصبح جزءاً من المسلمين وبعد هذه الفترة برزت الأسرة الصفوية نسبة إلى «الورع التقي صفي الدين المتوفى عام ١٣٢٨ م» ثم برز الشاه إسماعيل الصفوي بين جوٍ من النزاعات الداخلية فاعتمد على القوى العسكرية التركية ويقال إن أصله تركي واعتمد إسماعيل على القبائل الفارسية الأفغانية مثل قبائل شاملو وذو القدر وقاجار وأفشار وسواها. وكان أول هجوم شنه الشاه إسماعيل الصفوي ضد منطقة باكو في أذربيجان واحتل تبريز وأعلن نفسه رسمياً شاهاً على فارس فأصبح بذلك زعيماً روحياً ودنيوياً في آن واحد. ورائداً للمذهب الاثني عشري في إيران. واجهت الشاه إسماعيل عدة قوى منافسة له تمثلت بالقوى التالية:

(١) أنظر: Girshman, A; L'Iran des Origines à L'Islam Paris 1951.

ولاية خوارزم





اقليم قوهستان وخراسان وجزء من سجستان

١ - الدولة العثمانية في العراق والزعيم مراد بن يعقوب زعيم قبائل آلاق قوينلو.
٢ - إمارة آلاق قوينلو في إمارة البستان في شمالي البلاد.
٣ - الأسطول البرتغالي في الخليج.
٤ - مناطق خراسان وشمالي شرق فارس وفيها الزعيم محمد الشيباني رئيس قبائل الأوزبك.
٥ - الأفغان في الشرق.

غير أن الشاه إسماعيل استطاع القضاء عام ١٥٠٠ على إمارة البستان كما أنه حاول التوَجه نحو العراق لأسباب اقتصادية وسياسية ودينية بسبب وجود العتبات المقدسة فيها وقد تخوف العراق وطلب مساعدة القوى المملوكية في فترة ثم اعتمد في فترات أخرى بعد عام ١٥١٧ على القوى العثمانية.

### العلاقات الإيرانية العثمانية

ظهرت الدولة العثمانية كقوة جديدة في المنطقة فبدأت في منافسة إيران والبرتغال في الخليج والقوى الأوروبية المتنافسة للسيطرة على المنطقة وبدأ السلطان سليم بشن غزواته ضد الإيرانيين فانتصر على الشاه إسماعيل عام ١٥١٤ م وهذا أحدث انقلاباً في ولاءات الإمارات والدويلات القائمة في المنطقة واستتبع ذلك انتصار الأتراك على المماليك في معركة مرج دابق عام١٥١٦م وفي معركة الريدانية عام ١٥١٧ م فدانت لهم بلاد الشام ومصر. واستمرت قوى القبائل والقوى العثمانية تشكل خطراً على

إيران إلى أن تولى الحكم الشاه «طهمسب» عام ١٥٢٤ م بعد وفاة والده الشاه إسماعيل وكان عليه مواجهة العثمانيين في الغرب وقبائل الأوزبك في الشرق وزعيمهم في هذه الفترة عبيد الله خان الموجود في العراق الذي سبق له اجتياح خراسان[1]، غير أن استخدام الجيش الإيراني للأسلحة النارية الحديثة أخلَّ الميزان العسكري وجعل هزيمة الأوزبك ممكنة وقد انتصروا فعلاً عليهم وبدأ التنافس واضحاً بين إيران والدولة العثمانية للسيطرة على العراق الأمر الذي أفرز تحالفات جديدة في كلا الطرفين فقد تحالفت إيران مع المجر في حين تحالفت الدولة العثمانية مع فرنسا. ولما توترت الأوضاع بين الجانبين سارعت الدولة العثمانية إلى احتلال العراق وتبريز وشيراون وجيلان وسلطانية واستمرت الحروب بين الطرفين في هذه الفترة إلى عام ١٥٤٨ م ولكن نتيجة للتسويات السياسية بينهما فقد تم الصلح بين الجانبين وعرف باسم صلح أماسيا عام ١٥٥٤ م الذي نص على ما يلي:

١ - تترك ولاية قارص وقلعتها للدولة العثمانية.
٢ - تحديد حدود ولاية شهرزول منعاً لوقوع الحوادث المعكرة لصفو الأمن بين الدولتين.
٣ - تأمين سلامة الحجاج الإيرانيين الذاهبين لزيارة العتبات المقدسة في العراق والأماكن المقدسة في الحجاز.

---

(١) أنظر: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٩٩، د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

في هذه الأثناء تردت الأوضاع الاقتصادية في إيران وابتدأت العداوة بين الشاه وأولاده فانتهى الأمر بدس السُم له فصرع عام ١٥٧٦ م فتولى الحكم من بعده ابنه إسماعيل الثاني ولكن لم يتسنَ له الحكم كثيراً فانتهى الأمر بمقتله بعد سنتين من توليه الحكم عام ١٥٧٨م. وبعد وفاته وقعت الحرب الأهلية بين أخوته في سبيل الصراع على السلطة وكان ذلك مقدمة لبروز شخصية إيرانية قوية هو الشاه عباس الكبير (١٥٨٨-١٦٢٩) الذي حكم ما يقارب ٤٠ عاماً وقد وجد الشاه عباس الأعداء التقليديين لإيران ما زالوا كما هم ولكنه استطاع أن يخفف من حدة التوتر بعقد معاهدة مع العثمانيين عام ١٥٩٠ م[١]. وبالرغم من توقيع هذه المعاهدة وتجميد المناوشات العثمانية غير أن خطر الأوزبك كان لا يزال ماثلاً على البلاد حيث امتدت سيطرتهم على هراة وخراسان وعلى مشهد وفي ضريح الإمام الرضا وعلى سرخس ومرو وكانت الخلافات بين قبائل الأوزبك ووفاة زعيمهم عبد الله خان مقدمة لضرب الشاه لهم. ولما انتهى الشاه من الخطر الداخلي الممثل بالأوزبك نقض المعاهدة التي وقعها مع العثمانيين فبدأ في عام ١٦٠٣ بمهاجمة العثمانيين فاسترد منهم قارص وتبريز وشيروان كما نقل عباس عاصمته من قزوين إلى أصفهان ثم حاول الشاه التمدد نحو العراق منتهزاً تمرد الضابط الانكشاري بكر صوباشي في بغداد عام ١٦٢١ م. غير أن العثمانيين استطاعوا استيعاب تمرد بكر

(١) بمقتضى هذه المعاهدة تنازل الشاه عباس الكبير للعثمانيين عن أذربيجان والكرج (جورجيا) وجزء من لورستان. بروكلمان، المصدر السابق، ص ٥٠٣.

صوباشي ثم القضاء عليه. ثم رأى الشاه ضرورة العمل لاحتلال البصرة لأسباب اقتصادية ومنها ضرب البرتغاليين الذين يسيطرون على التجارة في المنطقة، وفي هذه الأثناء توفي الشاه عباس الكبير عام ١٦٢٩م. خلف الشاه عباس الكبير حفيده سام ميرزا[١] الذي تسمى باسم أبيه «صفي» عند ارتقائه العرش. وكان عهد ميرزا من أسوأ العهود الفارسية باعتباره طاغية، غير أنه على الصعيد الخارجي وفق في صد غارات التركمان في خراسان، ولكنه أضاع قندهار وبغداد.

في عام ١٦٤٢ تولى الحكم عباس الثاني الذي استرد قندهار وأخمد ثورة الكرج عام ١٦٥٩، وأقام العدل بين رعاياه، غير أنه تورط في الإدمان والمسكرات. ثم خلفه في الحكم صفي الذي سمي بسليمان عند ارتقائه العرش عام ١٦٦٧. ثم جاء من بعده ابنه حسين عام ١٦٩٤ الذي أوكل شؤون الدولة إلى رجال الدين وفي مقدمتهم الملا محمد باقر مجلسي[٢].

وكان السلطان العثماني مراد الرابع قد تولى الحكم وبدأ حملته العسكرية ضد إيران ابتداء من عام ١٦٣٨ م وانتهى الأمر كالعادة إلى تسوية سياسية بين الجانبين وإلى عقد معاهدة عام ١٦٣٩ م التي يمكن اعتبارها من الأسس التي قامت عليها معاهدات الحدود بين إيران والعراق فيما بعد وقد تضمنت المعاهدة:

---

(٢) سبق لعباس أن قضى على ابنه البكر صفي ميرزا، لذلك خلفه حفيده.

(٢) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٥٠٦. لا بد من التنبه إلى منهج بروكلمان في كتابه الذي اعتمد في بعض فصوله وصفحاته على إثارة النعرات بين السنة والشيعة كما ورد مثلاً في صفحات ٤٩٩، ٥٠٦...

١ ـ تحديد موقع الحدود بين إيران والعراق على اعتبار أن بـدرة وجيسان ومندلـه ودرتنك والسهـول الواقعـة بين تلك المدن وعشائر الجاف وعشائر قطور تابعة للدولة العثمانية.
٢ ـ إن الممـر المؤدي إلى شهـرزور هـو الحـد الفـاصـل بين الدولتين.
٣ ـ يتم الاتفاق لاحقاً حول منطقة عربستان (المنطقة الجنوبية).

**العلاقات الإيرانية ـ الأفغانية(١)**

تعتبر أفغانستان من المناطق الأكثر أهمية في العـالم الآسيوي نظراً لأهميتها الاستراتيجية وسكان أفغانستـان هم شعب «الباثـان» ولهجته هي الباشتو بينما اللغة الرسمية هي اللغة الفارسية ويتكلمها كـل الأفغـانيين ويتكـون الشعب الأفغـاني من قبـائـل العبـدلي ـ غيلزاي ـ الأوزبك ـ المغول تيماني وطاجيق. وكانت أفغانستان تتجاذبها قوتان عملاقتان هما امبراطورية المغول في الهند والأسرة الصفوية في إيران وقد احتـل الفرس فتـرة منطقـة قندهـار وأسندوا حكمها إلى أمير جورجيا جوركين الذي كان تابعاً للشاه وقـد كانت معاملة أمير جورجيا لـلأفغانيين معـاملة سيئة ممـا حدا بـالأفغانيين للقيام بالثورة ضد هذه الممارسات وجرت معارك بين إيران وقندهار انتصر فيها الأفغانيون وكان ذلك مقدمة لغزو الأفغانيين لخراسان.

بـدأت الحملة العسكريـة الأفغانيـة ضد إيـران بقيادة القـائـد أسد الله زعيم قبيلة العبدلي وبقيادة حاكم هـراة مع خمسـة آلاف مقاتل وتحالف قبائـل الأوزبك الأفغانية، وقـد واجهت هذه القـوى

(١) أنظر: د. عبد العزيز نوار: تاريـخ الشعوب الإسـلامية، ص ٢٧٣ ومـا يليها من صفحات.

القوات الفارسية وانتهت المعارك بانتصار الأفغان وبذلك ظهرت إمارة أفغانية جديدة على حدود فارس الشرقية من هراة ثم شرعت قوات العبدلي في اجتياح خراسان وشيروان واستمرت الحملات الأفغانية باتجاه المدن الإيرانية التي تساقطت الواحدة تلو الأخرى. وفي هذه الأثناء تولى الأمير محمود الأفغاني مهمة اجتياح إيران فعرض عليه الإيرانيون التوقف عن الزحف لقاء مبلغ كبير من المال غير أنه رفض العرض وصمم على الاستمرار في التقدم نحو أصفهان مستقوياً بالمدفعية الأفغانية وكان لا بد من لقاء بين القونين في معركة جلنباد في عام ١٧٢٨ م.

وكانت نتيجتها لمصلحة الأفغان وتقدم الأفغان نحو أصفهان وكان سقوطها يعني حدثاً هاماً بالنسبة للإيرانيين وللأفغانيين أنفسهم فاستسلمت مدينة أصفهان عام ١٧٢٨ م وبذلك سقطت عاصمة الصفويين وكانت مؤشراً لانتهاء الأسرة الصفوية ذاتها.

تسلم الأمير محمود الأفغاني سلطة البلاد وبدأ الأفغان يراقبون سير الأعمال فعاملوا الفرس والأوروبيين معاملة جيدة ومما يلفت النظر في الأمير أو الشاه محمود بأنه كافأ زعماء إيران الذين استمروا في ولائهم لبلادهم وأنزل العقوبة بأولئك الذين خانوا بلادهم والشاه حسين. غير أن الشاه محمود وجد أن القوى التقليدية لا تزال تشكل خطراً على إيران وهي:

١ ـ العثمانيون من جهة الغرب.
٢ ـ الروس من جهة الشمال.
٣ ـ بقايا الأسرة الصفوية.
٤ ـ العشائر الكردية والفارسية.

حاول الشاه الجديد تدعيم حكمه بالوقوف قدر الإمكان ضد هذه القوى فبدأ أولاً بحملة للقضاء على ولي العهد الشرعي «طهمسب ميرزا» ولكنه فشل في حملته تلك، في حين وفق في احتلال مدن قم، قزوين، قاشان، وبدأت تواجه الشاه محمود مشكلة إعداد الجيش الأفغاني القليل نسبياً إذ ما قيس بالأخطار والقوى التي يمكن أن يواجهها، فحاول الشاه تجييش الفرس في جيشه ففشل في ذلك ثم حاول تجييش وحدات من أفغانستان ذاتها ولكنه لم يوفق لأنه سبق له أن استغل طاقة أفغانستان البشرية عسكرياً. من جهة ثانية واجه الشاه محمود بعض الثورات الجديدة ضد حكمه وأهمها ثورة قزوين وتحركات معادية في مناطق أخرى وقد أسهم ذلك في تناقص عدد أفراد جيشه ولم يجد وسيلة لزيادته إلا بواسطة تقريب الأكراد إليه فعمل على تجنيدهم في الجيش الأفغاني وبواسطة هذا الجيش الجديد شن الشاه محمود الأفغاني حملات على المدن الثائرة. وفي الوقت نفسه كان على الشاه محمود أن يواجه الشركات الأجنبية المسلحة وأيضاً كان عليه أن يواجه الروس الذين احتلوا بعض المناطق الأفغانية والذين ضايقوا الشاه محمود باتفاقهم مع العثمانيين عام ١٧٢٤ م.

والحقيقة فإن المشكلات المحلية والإقليمية والدولية أرهقت الشاه محمود الأفغاني وضغطت عليه لتغيير سياسته العادلة بارتكاب بعض المذابح ضد الفرس وضد بقايا الأسرة الصفوية وقتل الآلاف من أفراد الشعب الأمر الذي أدى إلى اتفاق القادة الأفغان على عزله بعد أن أصيب بالجنون فعلاً عام ١٧٢٥ م ونصبوا مكانه الأمير أشرف من أفغانستان، ولكن الشاه الجديد لم يستطع في الواقع أن

يواجه المشكلات ذاتها التي سبق أن واجهت الشاه محمود الأفغاني وهكذا يلاحظ بأن فارس كانت تتنازعها عدة قوى في هذه الفترة هي :

١ ـ الشاه أشرف الأفغاني .
٢ ـ ولي العهد السابق طهمسب الصفوي .
٣ ـ السلطان العثماني .
٤ ـ القيصر الروسي .

ويمكن القول بأن الفترة المقبلة أدت إلى تغير الأوضاع الداخلية ومن ثم تولى الحكم نادر شاه الذي حكم فترة في إطار من الصراع الفرنسي والبريطاني والروسي والعثماني .

**مشكلة الحدود الإيرانية ـ العراقية وإبعادها المحلية والدولية**

تعتبر مشكلة الحدود بين إيران والدولة العثمانية من المشكلات المعقدة، ففي هذه الفترة طرحت قضية عربستان التي كانت موضع خلاف بين إيران والدولة العثمانية وقد تزايد الخلاف لا سيما بعد تولية نجيب باشا ولاية بغداد (١٨٤٢ـ١٨٤٧) وتزايد الخلاف حول السليمانية في كردستان التي كان الإيرانيون يطالبون بها أيضاً على غرار مطالبتهم عربستان وقد هددت السلطات الإيرانية بإرسال جيش لاحتلال البحرين والكويت وطالبت بلواء السليمانية وعربستان حتى القرفة وبإبعاد الأمراء الفرس عن بغداد الذين كانوا يتآمرون ضد الشاه، فما كان من العثمانيين إلا أن جهزوا أنفسهم عسكرياً للرد على هذه التهديدات وبدأت المناوشات فعلاً بين الجانبين غير أن التدخل الروسي والبريطاني لدى الدولتين جمد العمليات العسكرية. وكان أول مشروع للحدود بين الدولتين هو مشروع بريطاني من

وضع الانكليزي لايارد وفي هذا المشروع جعل لايارد المحمرة تابعة للدولة العثمانية وجعل نهر «بهماشير» المنفذ المائي الوحيد لفارس في عربستان مؤكداً أن الحفار قناة صناعية وليس للدولة الإيرانية أي حق للملاحة في شط العرب لأن نهر «بهماشير» يسد حاجات إيران كمنفذ لها إلى الخليج.

اتخذت لجنة الحدود مدينة «أرضروم» مقراً لها وأخذت تجمع الوثائق المتعلقة بالحدود في عام ١٨٤٣ م غير أن اللجنة لم تستكمل أعمالها بسبب العمليات الحربية التي قام بها نجيب باشا ضد كربلاء مما سبب انزعاجاً لدى الإيرانيين فقدموا مطالب شديدة اللهجة إلى الحكومة العثمانية منها إقالة والي بغداد ودفع تعويضات لمنكوبي كربلاء، غير أن الدولة العثمانية لم تقبل بهذه المطالب ولكن وساطة انكلترا وروسيا نجحت في تسوية واستيعاب هذه الأزمة وبالرغم من هذه التسوية غير أن كل من إيران والدولة العثمانية كانت لها مطالب ومطالب مضادة.

غير أنه في عام ١٨٤٧ تم الاتفاق بين الدولتين على اقتسام منطقة «زهاب» على أن تتنازل إيران عن أية مطالب لها في السليمانية مقابل تنازل الدولة العثمانية عن المحمرة وجزيرة الخضر وأن تحدد الضرائب على التجار الإيرانيين ٤٪. ثم شكلت لجنة لتسوية مشكلات الحدود كلها من مصب شط العرب حتى الحدود المشتركة عند الأناضول وقد انتهى الأمر بأن حصلت إيران بموجب معاهدة ١٨٤٧ على عربستان بينما تخلت عن جميع مطالبها في السليمانية وكردستان وفي عام ١٨٦٩ وقعت الدول الأربع: العثمانية والإيرانية والبريطانية والروسية على بروتوكول يضمن

اعتراف الدولتين المتنـازعتين «العثمانيـة ـ الإيرانيـة» بخط الحدود المبين على الخريطة التي وضعتها لجنة الحدود.

غير أن المشكلات كانت تبرز بين الحين والآخر مما أدى إلى عودة مشكلة الحدود إلى الظهور عام ١٨٧٦ واجتمع الجانبان أكثر من مرة ولكن دون التوصل إلى أية نتيجة. ونتيجة لبعض التـطورات الداخلية في الدولة العثمانية وقيام ثورة جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ وتنامي حركة التتريـك المناهضة للعرب بعد خلع السلطان عبـد الحميـد الثـاني عن العـرش عـام ١٩٠٩[١] انعكست هـذه الأحداث على الأوضاع في العراق وعلى العلاقـات مع إيـران وتم التوصل إلى بروتوكول بين الدولتين عام ١٩١٣ تم فيه الاتفاق على موضوع الحدود بين الدولتين واستمرت هذه المشكلات عالقة رغم الاتفاقيات المتكررة ورغم سيطرة بـريطانيـة بعد الحـرب العالميـة الأولى على العراق.

## تفاقم التدخلات الأوروبية وظروف نشأة الثورة الإسلامية[٢]

لما عاد حكم إيران للإيرانيين بدأت إيران تتطلع إلى أفغانستان فهاجمتها عام ١٨٣٣ فما كان من حاكم أفغانستان إلا أن تحالف مع البريطانيين لرد الهجمات المحتملة ضد مملكته واعتبرت بريـطانيا

---

(١) للمزيد من التفصيلات الوافيـة أنظر كتـابنا: مـوقف الدولـة العثمانيـة من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ـ١٩٠٩، وكتابنا: دور اليهود والقوى الـدولية في خلع السلطان عبد الحميد عن العرش ١٩٠٨ـ١٩٠٩.

(٢) أنظر: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، صاحب حسين الصادق: قصة الانتصار الكبيـر (تاريخ الثورة الإسلامية في إيران).

أن التحرك الإيراني ضد أفغانستان كان بإيعاز من الروس ولكن الشاه احتوى الموقف بالاتفاق مع البريطانيين وذلك في هذا العهد وفي عهد الشاه ناصر الدين عام ١٨٤٨. وبالمقابل استطاعت بريطانيا أن تمسك بسياسة أفغانستان وأن يكون لها نفوذ في إيران ولكن روسيا لم تترك بريطانيا تتصرف منفردة في إيران بل كانت لها بالمرصاد حيث بدأ الصراع والتنافس واضحاً بين الدولتين على إيران وكان الشعب الإيراني ينظر إلى الشاه وإلى القوى الأجنبية على أنها مستغلة وتتصرف بالبلاد وفق إرادتها ومصالحها.

لقد أثارت التصرفات الاستعمارية الأوروبية في البلاد الإسلامية حفيظة الشعوب في المشرق والمغرب على السواء فقد ضاعت امبراطورية المسلمين في الهند في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أيدي البريطانيين وضربت بريطانياوروسياوالنمسا عام ١٨٤٠. عبر تسوية لندن أول محاولة في التاريخ الحديث لإقامة وحدة إسلامية بين مصر وبلاد الشام بزعامة والي مصر محمد علي باشا كما احتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ واحتلت فرنسا تونس والجزائر ومناطق في غرب ووسط أفريقيا...

لقد كانت هذه المعاناة للشعوب الإسلامية قد أثارت حفيظة المصلحين والمفكرين المسلمين وفي مقدمتهم السيد جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده[1] والسيد محمد رشيد رضا الذين

---

(١) أنظر كتاب جمال الدين الأفغاني، محمد عبده: العروة الوثقى.

طالبوا بتحقيق الجامعة الإسلامية. لقد كان جمال الدين الأفغاني في مصر في عهد الخديوي توفيق. وفي عام ١٨٨٦ وبعد أن سمع الشاه ناصر الدين عن أفكار الأفغاني دعاه إلى زيارة طهران وبعد أن شعر الشاه أن الأفغاني يمكن أن يكون خطراً على النظام حاول طرده من البلاد، غير أن أفكار الأفغاني شكلت تياراً إسلامياً في إيران. ومن بين المشكلات التي أثارها الأفغاني مشكلة احتكار التنباك بواسطة البريطانيين. فرأى في هذا الاحتكار ضياع لثروات المسلمين في إيران فاتفق مع المجتهد الأكبر على إصدار فتوى في تحريم شرب التنباك وتحريم بيعه للبلاد الأجنبية. وقد تجاوب الشعب تجاوباً تاماً مع هذه الفتوى مما اضطر الحكومة الإيرانية إلى العدول عن ذلك الامتياز للشركة البريطانية وبعد أن قام الشاه بطرد الأفغاني من البلاد تخوفاً من استفحال خطره على النظام شن جمال الدين الأفغاني من على صفحات جريدة القانون الانكليزية[1] هجوماً شديداً على الشاه وكانت هذه الصحيفة تصل من لندن إلى إيران خلسة ومما زاد في تدهور الأوضاع وتزايد النقمة الشعبية الإسراف الباهظ في وقت كان الناس يتقاتلون للحصول على الخبز في طهران. ونتيجة لأفكار الأفغاني فقد سقط الشاه ناصر الدين صريعاً عام ١٨٩٦ أي قبل سنة من وفاة الأفغاني على يد رجل إيراني من المؤمنين بأفكار الأفغاني الإصلاحية الذي قال له عندما نفذ عملية القتل «خذها من يدي جمال الدين» وقد تولى الحكم مكانه مظفر الدين الشاه ١٨٩٦-١٩٠٧ وفي عهده سارت

(١) تأسست صحيفة «القانون» في لندن عام ١٨٩٠ بواسطة الأمير «ملكوم خان» الأرمني بالاشتراك مع السيد جمال الدين الأفغاني.

إيران شوطاً بعيداً في سياسة عقد القروض مع بريطانيا وروسيا وقدرت هذه القروض عام ١٨٩٨ بمليون جنيه استرليني. وفي عام ١٩٠٠ وقعت إيران على قرض مع بنك روسي قدره مليونان وأربعمئة ألف جنيه استرليني وهذه القروض أدت إلى الهيمنة البريطانية والروسية على إيران في وقت كانت تتزايد فيه مظاهر الإسراف والتبذير فبدأت حركة علماء الدين ١٩٠٥ الذين اعتصموا في المساجد منددين بالشاه وبقواته التي كانت تحاصر المساجد والمعتصمين. وقد رأى المجتهدون العلماء أن يغادروا طهران والتوجه إلى قم وكانت مطالبهم تتضمن أن يصدر الشاه دستوراً جديداً وأن تؤلف حكومة برلمانية يمثل فيها الشعب وإلا فإن العلماء والمجتهدين سيغادرون إيران وكان معنى ذلك ترك البلاد معطلة دينياً حيث يتوقف فيها تنفيذ أحكام الشرع فانتهى الأمر برضوخ الشاه إلى مطالب العلماء والشعب. غير أن الدستور الجديد الذي أصدره الشاه كان ألعوبة بيده ولكن حاول الشاه إرضاء علماء الدين بمنحهم حق الاعتراض على القوانين التي يصدرها المجلس الوطني في حال تعارضها مع الشريعة الإسلامية(١).

(١) كانت شرارة الثورة الأولى عام ١٩٠٥ بسبب الطغيان الذي مارسه الشاه ضد الإيرانيين وأساليب الجلد بحق التجار، ثم أعقبتها حركة العلماء الثانية عام ١٩٠٦ وهجرتهم إلى مدينة «قم» المقدسة، ثم ثورة عام ١٩٠٩، ثم الاستياء الشعبي عام ١٩١٢ من جراء حصار تبريز وقصف الروس لضريح الإمام الرضا وخلال أعوام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) كانت الحركة الإسلامية المسلحة في شمال البلاد بقيادة «ميرزا كوجك خان» مستمرة في النضال، وفي آذربيجان كان الجهاد الإسلامي الشعبي يتصاعد وينمو. وفي خراسان كان يقود النضال الكولونيل «محمد تقي خان». وفي =

في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٧ تولى العرش محمد علي شاه بعد وفاة مظفر الدين ولكن عهده لم يكن عهداً موفقاً نتيجة ازدياد تدخل بريطانيا وروسيا في البلاد بل وتقسيم فارس إلى منطقتي نفوذ بينهما ونتيجة لازدياد الفقر والتبذير في مختلف القطاعات، ابتدأت الثورة من تبريز وامتدت إلى رشت وأصفهان وطرد الثوار القوات الملكية. وكانت الثورة بقيادة سبه دار وقيادة زعيم عشائر البختيار سردار أسعد. لقد تقدم الثوار الإيرانيون نحو طهران وفر الشاه لاجئاً إلى السفارة الروسية ثم أبعد عن البلاد ورفع إلى العرش ابنه القاصر الأمير أحمد الذي كان تحت الوصاية وكان عهده بداية النفوذ الأميركي حينما استعان بالخبراء الأميركيين لتنظيم أوضاع إيران[1].

وبالرغم من حياد إيران في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ـ١٩١٨ غير أنها تأثرت بهذه الحرب بشكل أو بآخر وتعرضت إيران لعمليات عسكرية ولم تتوقف هذه العمليات إلا بعد هزيمة الأتراك في العراق عام ١٩١٧ وبعد قيام الثورة البلشفية في روسيا في العام ذاته.

= كل نواحي إيران كانت الثورة الشعبية الإسلامية في تفاقم وتصاعد. واستمرت الثورات الشعبية حتى استقالة حكومة «مصدق» الوطنية عام ١٩٥٣ ثم تكررت تلك الحركات والثورات حتى عام ١٩٧٩ أنظر: صاحب حسين الصادق: قصة الانتصار الكبير (تاريخ الثورة الإسلامية في إيران) ص ١٧ـ٢٠ دار المنهل ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(١) بناء على اقتراح ناظر الخارجية الأميركية عين أحد موظفي بنك (Union Trust) في واشنطن «مورفان شوستر» (Morgan Shuster) أميناً عاماً للخزانة الفارسية، يعاونه أربعة مساعدين من مواطنيه الأميركيين.

في عـــام ١٩٢٠ تخلت روسيا عن مـطامعهـا في الأراضي الإيـرانيـة بعـد معـاهـدة (Brest-Litovsk) بينمـا بـريـطانيـا تثبتت بالأراضي الإيرانية المحتلة. إن المعاهدة الإيرانية البريـطانية عـام ١٩١٩ كبلت الشعب الإيراني ووضعته تحت الحماية البريطانية مما أثار نقمة الشعب الذي طالب هذه المرة المؤازرة من الثورة الروسية باعتبارها ثورة ضد القيصريـة وضد الفسـاد. في وقت تهيأ لإيـران ضابط من ضباط فرق القوزاق هـو رضا بهلوي الـذي تحالف مـع الزعيم ضياء الـدين طباطبـاني فزحف بقـواته إلى طهـران وسيطر عليها في شباط (فبراير) عـام ١٩٢١ فخضع الشـاه لإرادة الشعب وأحدث تغييراً وزارياً عين رضا بهلوي بموجبه وزيراً للحربية. وفي الفترة «١٩٢١ـ١٩٢٥» أثبت رضا بهلوي قدرة على التحرك وتثبيت النظام فأصبح الرجل الأول في إيران في الوقت الذي كان فيه الشاه أحمد القاجاري في أوروبا قـد تزايـدت النقمة عليـه وقرر الشعب خلعه وأعلن المجلس النيابي التمثيلي رضا بهلوي شاهاً على إيران في نيسان (أبريل) عام ١٩٢٦ وبذلك انتهت الأسرة القاجارية وحل محلها رضا بهلوي الذي استمر في الحكم حتى عام ١٩٤١ وتوفي عام ١٩٤٤ فحل مكانه ابنه عام ١٩٤١ محمد رضا شاه الذي حكم لغاية عام ١٩٧٩ عهد قيام الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمـام آية الله الخميني[1] وهو الذي قاد الثورة أولاً من العراق ثم واصـل

---

(١) للمـزيـد من التفصيـلات عن حيـاة وسيـرة الإمـام آيـة الله الخميني (١٩٠٢ـ١٩٨٩) أنظر كتاب: عبرات وعبارات الصادر بمناسبة وفاة الإمام الخميني في شوال ١٤١٠ هـ ـ أيار (مايو) ١٩٩٠ عن المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيـرانية في بيـروت. أنظر أيضـاً كتاب: صـاحب حسين الصـادق المـذكـور سـابقـاً، ص ٢٣ـ٢٦ وصفحـات متفـرقـة من الكتاب.

قيادتها من باريس وانتهت برحيل الشاه ونفيه خارج البلاد متنقلاً بين دولة وأخرى إلى أن توفي ودفن في القاهرة حيث كان الرئيس أنور السادات قد استضافه فيها وبعد عودة الإمام آية الله الخميني وإجراء التعديلات اللازمة ألغي النظام القديم وأقام مكانه النظام الجمهوري الإسلامي.

## ـ مؤلفات وبحوث د. حسان حلاق
## (تطلب من دار الراتب)

١ ـ موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩.
٢ ـ دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩.
٣ ـ موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٥٢.
٤ ـ دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ ـ ١٩٤٣.
٥ ـ التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ ـ ١٩٥٢.
٦ ـ لبنان من الفينيقية إلى العروبة (دراسات لبنانية وعربية ١).
٧ ـ أية ثقافة أية سياسة للتعايش في لبنان (دراسات لبنانية وعربية ٢).
٨ ـ الجذور التاريخية للميثاق الوطني اللبناني والاتجاهات الوحدوية والانفصالية في لبنان (دراسات لبنانية وعربية ٣).
٩ ـ الأبعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان (دراسات لبنانية وعربية ٤).
١٠ ـ اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية (دراسات لبنانية وعربية ٥).
١١ ـ دور اللبنانيين في معركة النضال العربي (دراسات لبنانية وعربية ٦).
١٢ ـ مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦.
١٣ ـ أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني ـ سجلات المحكمة الشرعية في بيروت.

١٤ ـ التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والـولايات العثمانية ـ سجلات المحكمة الشرعية.

١٥ ـ بيروت المحروسة في العهد العثماني.

١٦ ـ منـاهـج الفكـر والبحث التـاريخي والعلوم المسـاعـدة وتحقيق المخطوطات.

١٧ ـ العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصـور الوسـطى ـ الأندلس ـ صقلية ـ الشام.

١٨ ـ المؤرخ العلامة محمد جميل بيهم ١٨٧٨ ـ ١٩٧٨.

١٩ ـ مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ ـ ١٩٣٨.

٢٠ ـ العلامة الدكتور عمر فروخ ١٩٠٦ ـ ١٩٨٧.

٢١ ـ تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي.

٢٢ ـ الإدارة المحلية الإسلامية ـ المحتسب ـ.

٢٣ ـ دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية.

٢٤ ـ تاريخ العلوم عند العرب بالاشتراك مع د. ماهر عبد القادر.

٢٥ ـ تاريخ العلوم والتكنولوجيا.

٢٦ ـ ملامح من تاريخ الحضارات.

٢٧ ـ دراسات في تاريخ المجتمع العربي بالاشتراك مع د. عبد العزيز قانصو، ود. عدنان السيد حسين، د. مصطفى فواز.

٢٨ ـ مقدمة في تاريخ العرب بالاشتراك مع د. عبد العزيز قانصو، د. مصطفى فواز.

٢٩ ـ مدن وشعوب إسلامية.

# الفهرس



# الدكتور/حسان حلاق
# في سطور

- مواليد بيروت «١١ أيار (مايو) ١٩٤٦».
- أستاذ التاريخ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية.
- أستاذ التاريخ في جامعة بيروت العربية.
- أستاذ سابق في كلية الاعلام ـ الجامعة اللبنانية.
- عضو مجلس أمناء وقف البر والإحسان في بيروت.
- عضو المجلس الأعلى لجامعة بيروت العربية.
- عضو سابق لمجلس جامعة بيروت العربية.
- نائب رئيس مجلس أمناء المركز الإسلامي للتربية في بيروت.
- عضو المجلس العلمي لكلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية.
- أستاذ مشرف على رسائل وأطروحات الماجستير والدكتوراه في الجامعات العاملة في لبنان.
- شارك في ندوات ومؤتمرات علمية محلية وعربية ودولية.
- ترجمت بعض مؤلفاته إلى اللغات: الألمانية والإنجليزية والتركية.
- اعتمد المؤتمر العلمي الذي عقد في برلين عام ١٩٨٨ والندوات العلمية الألمانية على مؤلفاته لفهم تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي والاجتماعي. كما اعتمد المؤتمر العلمي الذي عقد في لندن عام ١٩٩١ على تلك المؤلفات والبحوث.
- له العديد من المؤلفات التاريخية والسياسية والحضارية في ميادين الدولة العثمانية، لبنان، بيروت، فلسطين، شخصيات إسلامية، حضارة إسلامية، اشتهر عن د. حلاق، بأنه قام عبر سنوات بتصحيح جوانب هامة من التاريخ العثماني وتاريخ بيروت ولبنان وفلسطين.